مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الثامنة والعشرون : العدد مئة وتسعة - رجب ١٤٤١ هـ / مارس (آذار) ٢٠٢٠ م

تخميس الكواكب الدرية في مدح خير البرية

نحيفي: سليمان بن عبد الرحمن بن صالح الرومي ١١٥١ هـ

تاريخ النسخ: سنة ١١٦٨هجري

Takhmis al-Kawakib al-Durriyyah fi madhi khairil bariyyah

Naheefi, Suleman bin Abdul Rahman bin Salih al-Rumi (D 1151 AH) Scribed in: 1168 AH

شروط النشر في المجلة

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ – ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ – لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ – تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ – يعطى الباحث نسختين من المجلة.

مركـــز جمعـة المـاجـد للثقـــــافة والتـــــراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،

فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١٠٩) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.

راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.

مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا

و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;

Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (109). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.

Thank you for your kind cooperation

We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبـادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيـمة اشتـراك

Subscription Order Form

سنة ☐ One Year

أكثر من سنة ☐ More Than One Year

عدد السنوات ☐ of Years

للأعداد : ..... Issues

عدد النسخ : ..... of Copies:

ابتداء من تاريخ : ..... Subscription Date :

شيك ☐ Check

حوالة مصرفية ☐ Bank Draft

حوالة بريدية ☐ Postal Draft

التاريخ : ..... Date :

التوقيع : ..... Signature :

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع : Date : ..... التاريخ :

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصـــدر عن قسم الدراســـــات والنشر والشؤون الخارجية
بمركـــز جمعـــة الماجـــد للثقـــافة والتـــراث
دبـــي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتـــف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكـــس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولـــة الإمـــارات العربيـــة المتحـــدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة الثامنة والعشرون : العدد مئة وتسعة ـ رجب ١٤٤١ هـ / مارس (آذار) ٢٠٢٠ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليـــل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيـــئة التحـــرير

مديـر التحرير
د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير
أ. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير
د. أبوبـــكـــر الصديـــق
د. محـمـد أحـمـد الـقـرشـي
د. فكـري عبـد المنعـم النجار
د. محـمـد فـاضـل الـحـطـاب

الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها
ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الإفتتاحية

العدل أس العمران وعمود نظام كل شيء

مدير التحرير ٤

المقالات

قضايا النساء في الأندلس (القرنين الخامس والسادس الهجريين)
من خلال نوازل ابن الحاج التجيبي (ت:٥٢٩هـ)

هشام البقالي ٦

تشكيل الأسلوب في البلاغة العربية
حضور المتلقِّي

أ. د. وليد إبراهيم القصَاب ٣٥

الأُسر الشاعرة – أسرة سُلمي بن ربيعة الضّبّي

أ. د. عبداللطيف حمودي الطائي ٥٦

من مظاهر عناية السلطان أحمد المنصور الذهبي بالخط العربي

عبد الحكيم حمادي خلفي ٧١

التقنيات الهندسية في جوامع حلب خلال العصر العثماني وكيفية الحفاظ عليها «جامع العادلية بحلب أنموذجا»

د. م. وفاء عبد الرحمن النعسان ٨٧

تحقيق المخطوطات

كتاب الكَسْب
على مذْهَب الإمَام الأعْظَم أبِي حنيفَة رحمَه الله
للقَاضِي محَمَّد بن سَمَاعَة عن الإمَام محمَّدٍ بن الحسن رحِمَهم الله تعالى
تحقيق

د. تيسير عبد الله النَّاعِس ١٠٩

رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا
لمؤلف مجهول كان حيا عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م
دراسة وتحقيق

د. محمد عبد السلام عباس إبراهيم ١٤٥

الملخصات ١٩٠

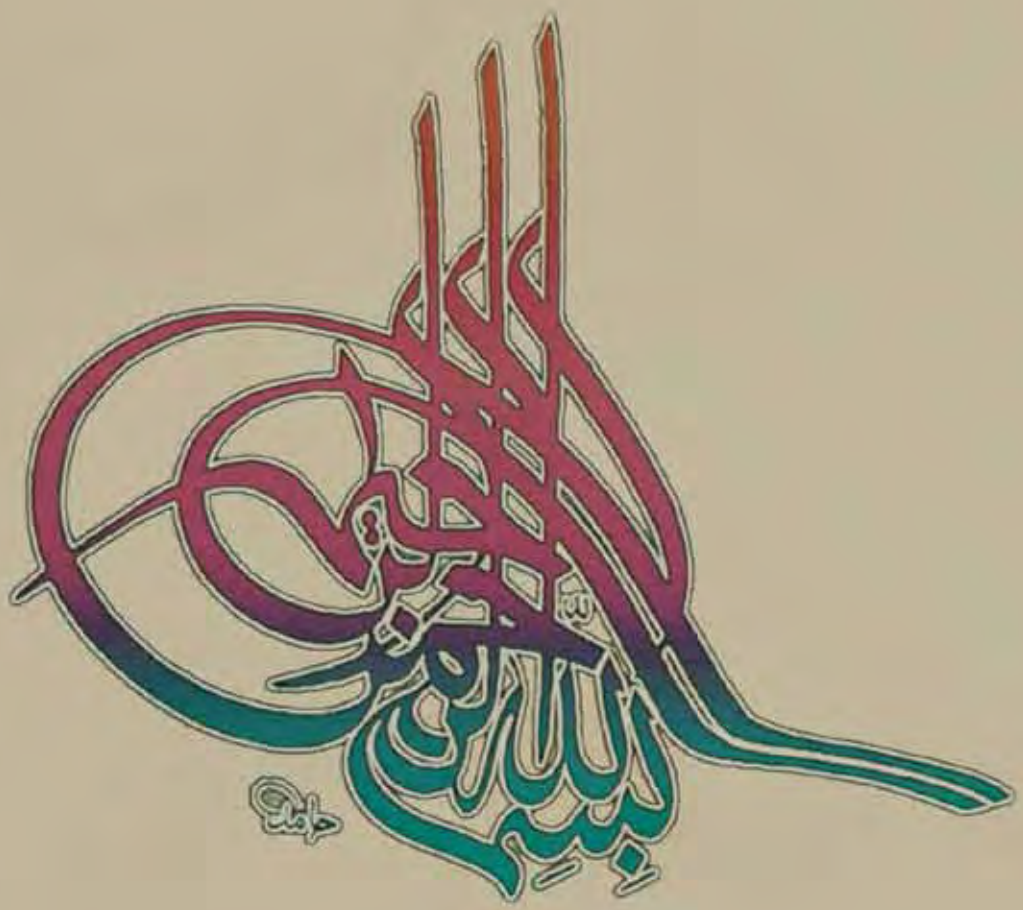
بسم الله الرحمن الرحيم
حامد

العدل أس العمران وعمود نظام كل شيء

إن اسم العدل مشتق من المعادلة بين شيئين، وهو بذلك يقتضي وجود شيء ثالث وسط بينهما، وقد جاء في كلام العرب استعمال اسم الوسط بمعنى العدل في بعض الأحيان، فقد أخرج الترمذي في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣) قال: (عدلا، والوسط العدل).

وقد عرف ابن عاشور العدل في تفسيره التحرير والتنوير بقوله: «هو مساواة بين الناس، أو بين أفراد أمة، في تعيين الأشياء لمستحقيها، وفي تمكين كل ذي حق من حقه بدون تأخير».

وعن سفيان الثوري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٧)؛ أي أنهم لم يجعلوه في غير حقه فيضيعوه، ولم يقصروا عن حقه، «وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا»؛ أي عدلا وفضلا، وبناء عليه قال ابن عاشور في تفسيره: لا يُعدُّ من العدل توزيع الأشياء بين الناس بالتساوي بدون استحقاق.

ولما كان العدل ميزان الله المبرأ من كل زلة، ووسيلة استقرار نظام الأمم، عدّه الحكماء من جملة الفضائل، فقالوا: الإنفاق الكثير هو التبذير والتقليل جدا هو التقفير، والعدل هو الفضيلة.

وعلّق الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب على هذا بقوله: وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ (البقرة: ٢١٩)، ومدار شرع محمد صلى الله عليه وسلم على رعاية هذه الدقيقة، فشرع اليهود مبناه على الخشونة التامة، وشرع النصارى على المسامحة التامة، وشرع محمد صلى الله عليه وسلم متوسط في كل هذه الأمور، فلذلك كان أكمل من الكل.

ولما كانت نفوس الناس مجبولة على حب الماديات والماليات والوجاهات والتسلطات، وما أورثها ذلك الحب من سوء تمييز بين ما لها وما عليها، وبين حقها وحق غيرها، مما تولد عن ذلك إنخرام لقاعدة العدل والإحسان التي أمر الله بها، وقاعدة التعاون على البر والتقوى التي حث الله المؤمنين عليها، عمدت الشريعة إلى تعيين أصحاب الحقوق، وبيان أولية بعض الناس ببعض الأشياء، أو بيان كيفية تشاركهم في الانتفاع بما يقبل التشارك على طريق فطري عادل، لا تجد فيه النفوس نفرة، ولا تحس في حكمه بهضيمة، فهي لم تعتمد في هذا على المصادفة، ولا على الإرغام، ولكنها توخت نظر العدل والإقناع حتى لا يجد المنصف حرجا، ثم لما أحكمت سدها وركزت مداها أمرت الأمة بامتثاله، وحددته تقريبا لنواله، ولهذا كان العدل واجبا في جميع التصرفات بين الناس، فمتى بني التصرف على هذا الأصل تحسنت طرق أدائهم في الحياة، وترسخ التعاون والتعامل العادل بينهم، وحصلت الثقة بين أفراد المجتمع، وقلت الخصومات والمشاجرات، وحسمت المنازعات كلها أو معظمها.

ولئن كانت الشريعة قد ألزمت الناس بالعدل في جميع تصرفاتهم بإيجابه عليهم، فإننا نجدها في المقابل قد ندبت إلى الفضل، وحثت المسلمين عليه؛ حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ (البقرة: ٢٣٧)، والفضل هو العفو عن بعض الحق، والمحاباة في المعاملة كما قاله العلماء.

وبناء عليه فإن ما يقع من وجوه الفساد في تصرفات الناس المختلفة مرجعه أو نتيجته الخروج من حال العدل إلى حال الجور والظلم؛ لأنه لا يمكن أن يوجد فساد كان العدل علة وقوعه، قال الماوردي في كتابه تسهيل النظر: إنك لن تجد صلاحا كان الجور علة وجوده، ولا فسادا كان العدل علة ظهوره، وإنما تجتذب العلل إلى الأصول نظائرها.

ولما كان نظام الكون كله مبنيا على تعاون جميع أجزائه وتكاملها فيما بينها متجانسة وغير متجانسة، كان الإنسان الذي هو جزء من هذا الكون لا يمكنه أن ينفرد بمصلحة نفسه، بل لابد له من الاستعانة ببني جنسه، فوجب التعاون عليه ضرب من ضروب الدنيا والدين، فلو لم يجب على بني آدم أن يبذل هذا لهذا ما يحتاج إليه لفسد الناس، وفسد أمر دنياهم ودينهم، ومن ثم فإن مصالحهم لا تقوم إلا بتعاونهم، وصلاح التعاون لا يكون إلا بالعدل الذي بعثت به الرسل، وأنزلت به الكتب، وجعل هو الأصل في التصرفات كلها؛ حيث قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ (الحديد: ٢٥)، وانطلاقا من هذا المعنى ذكر علماؤنا: إن مناظرة غير المسلمين وأهل البدع ودعوتهم يجب أن تكون قائمة على العدل، فلا ينكر ما عندهم من حق، كما لا يسكت عما عندهم من باطل، قال ابن تيمية في منهاج السنة: والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني فضلاً عن الرافضي قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق.

ولما كان القضاء أكثر مجالات الحياة احتياجا للعدل، بل هو ركنه الركين وأسه المتين، جاء الأمر به متكررا في آيات متعددة وبصيغ مختلفة، قصد التنبيه على خطورته في الحياة، وتأكيد وجوبه على القضاة فيما أسند إليهم من الحكم في الخصومات.

ولم يقتصر اهتمام القرآن بالعدل كمقصد من مقاصد الشريعة يجب نشره وإشاعته في المجتمع فحسب، بل اعتنى أيضا بوسائل إقامته، وذكر أخص الأمور له وهو الميزان والمكيال؛ لأن بهما تضبط مقادير الأشياء وتحدد مقاييسها، ويدخل في هذا المعنى كل ما كان الغرض من وجوده ضبط مقادير الأشياء، وتحديد مقياسها؛ حيث قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩﴾ (الرحمن: ٧، ٨، ٩).

والنتيجة التي نخرج بها من هذه الفقرات هي عنوان هذا المقال: «العدل أس العمران وعمود نظام كل شيء».

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

العدل أس العمران وعمود نظام كل شيء

قضايا النساء في الأندلس
(القرنين الخامس والسادس الهجريين)

من خلال نوازل ابن الحاج التجيبي (ت:٥٢٩هـ)

هشام البقالي
المملكة المغربية

تشد المتتبع لنشاط البحث التاريخي بالمغرب خلال العقود الأخيرة ظاهرة مثيرة للانتباه، تتعلق بتحول البحث التاريخي من دراسة الجوانب السياسية في تاريخ المغرب والأندلس، إلى دراسة المواضيع ذات الصلة بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني، بالإضافة إلى مواضيع أخرى تهتم بتاريخ العقليات والذهنيات.

ويسعى المقال لتبيان صورة واضحة عن قضايا وأوضاع المرأة من خلال ما احتوته نوازل ابن الحاج التجيبي (ت:٥٢٩هـ) من إشارات عنها.

فإلى أي حد تساعدنا نوازله في رسم ملامح واقع المرأة الأندلسية عصري الطوائف والمرابطين؟

١- أهمية كتب النوازل في البحث التاريخي:

لا يخفى على الباحثين أهمية كتب النوازل الفقهية؛ أو ما يسمى أيضا بـ: الأجوبة أو المسائل أو الفتاوى[١]، من الناحية التاريخية[٢]؛ فهي كتب ناطقة بمرونة الفقه الإسلامي وبراءته مما قد يلصقه به البعض من عدم القدرة على مواكبة مستجدات الحياة وتطورات العصر، فقد اهتم فقهاء المغرب والأندلس أكثر من غيرهم بتدوين النوازل الفقهية في تصانيف مفردة تحمل اسم النوازل[٣].

ومما لا مشاحة فيه أن قلة الوثائق والمصادر تعد من أولى المشاكل التي تواجه الباحث لدراسة التاريخ الإسلامي، وبخاصة في العصر الوسيط؛ لذلك اتجهت أنظار الباحثين إلى مصادر جديدة لسد بعض الثغرات في المادة التاريخية المتوفرة[٤].

جاء اهتمام المؤرخين بكتب النوازل والأجوبة في سياق اهتمامهم بتجديد الكتابة التاريخية التي تستدعي استعمال أجناس مصدرية مختلفة[٥]، لا سيما وأنها غنية بالمعطيات النظرية – الفقهية[٦] والتاريخية[٧]. ورغم اختلاف المؤرخين لمدة لا يستهان بها حول قيمة هذا النوع من المصادر في الكتابة التاريخية، فقد أضحى من الشائع استغلالها

خاصة بالنسبة للحقب التاريخية التي تشح فيها المادة المصدرية، وبخاصة أنها "الأكثر قربا من الوقائع اليومية المكشوفة"[٨].

أشاد الكثير من الباحثين بكتب النوازل، وبيَّنوا أهميتها في الدراسات الخاصة بالمجتمع وحياة الناس اليومية الاجتماعية[٩] والاقتصادية[١٠]، ودعوا إلى ضرورة الْغَوْر في مسائل كتب النوازل، وَنَفْض الغبار عن القضايا التي أهملتها كتب التاريخ السَّابِحَة في بحور السياسة والحروب وأهملتها كتب المناقب والتراجم والطبقات التي أبحرت بدورها في الجوانب السياسية والعلمية والثقافية[١١]. ويرجع الفضل للمدرسة الاستشراقية في التنبيه إلى قيمتها المصدرية وإمكانية استغلالها وتوظيفها ضمن البحث التاريخي، وذلك مع مطلع القرن العشرين؛ فقد صدرت بباريس ضمن نشرة "الأرشيف المغربي" ترجمة فرنسية لمختارات من فتاوى المعيار للونشريسي على يد إميل عمار سنة ١٩٠٨ و ١٩٠٩م[١٢]. ومن جملة المستشرقين الأوائل الذين تنبهوا لأهميتها في الكشف عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للأندلس المستشرقان الإسبانيان: Lopes ortis، وSalvador villa [١٣]، وغيرهم. وقد قام المستشرقون بتشخيص عدد من الملاحظات والايضاحات تتعلق بكيفية استغلال واستثمار النصوص الفقهية في العلوم الانسانية[١٤].

يرى المستشرق الفرنسي جوزيف شاخت، بأن "فهم المجتمع الإسلامي سيظل رهينا بمدى فهم ودراسة هذه النوازل والاستفادة من مادتها الخام"[١٥]، بل ذهب البعض إلى اعتبارها مصادر أساسية للمؤرخ، إذ لا يمكن اعتبار ما نكتبه من تاريخ عملا كاملا وقريبا من أعمال الماضي إلا إذا تم استغلال كتب النوازل[١٦]، كونها تشكل "أهمية عظمى ليس فقط في مجال الفقه الإسلامي في الأندلس فحسب، إنما أيضا في غزارة المعلومات التي تقدمها لنا حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيه، هذه المعلومات تكاد تخلو منها تقريبا كتب المؤرخين"[١٧]؛ وغيرهم من الباحثين الذين انفتحوا على دراسة هذا الصنف من المصادر[١٨].

أما المؤرخون المغاربة فقد تنبهوا لأهميتها في وقت متأخر نسبيا، فقد استفاد منها على سبيل المثال لا الحصر: محمد حجي[١٩]، ومحمد المنوني[٢٠]...، ومنذ سنة ١٩٧٠ شهدت الدراسات التاريخية المغربية طفرة نوعية وكمية لكتب النوازل[٢١]، مع عبد الله العروي[٢٢]، ومحمد حجي، وأحمد التوفيق[٢٣]، والعربي مزين[٢٤]، ومحمد مزين[٢٥]، وعبد العزيز التمسماني خلوق[٢٦]...؛ لتشهد العقود التالية انفجارا في الدراسات التاريخية التي نهلت من كتب النوازل أو جعلتها محورا لدراساتها التاريخية[٢٧].

٢. أهمية الكتاب من الناحية التاريخية:

عُدَّ كتاب نوازل ابن الحاج من المصادر المفقودة، إلى أن اكتشفه الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش وعرف به[٢٨]. هذا؛ وتعد نوازله من أبرز النوازل الفِقْهِيَّة الخاصة بالْمَغْرِب والأَنْدَلس، لاسيما وأن صاحبها كان شاهدًا على العصر؛ وأحد أبرز وجوهه، وكان من جلة الفُقَهَاء وكبار العُلَمَاء بالنوازِل، بصيرًا بالْأَحْكَام ومتقدمًا في معرفتها، وكانت لنوازله قيمة حقيقية في حلول كثير من مشكلات عصره، إذ هي

حلول لمشاكل أهل بلاده بالأندلس والمغرب، نظرا "لخضوع المنطقتين معا لسلطة واحدة هي سلطة المرابطين"[٢٩].

والحقيقة أن لنوازله جوانب متعددة عن الْحَيَاة الاجْتِمَاعِية والاقْتِصَادِية في غاية الأهمية؛ فهو يتضمن الكثير من النّصوص والوَثَائِق التي قلما ترد في المَصَادِر التَّارِيخية والتي تمس كل جوانب المُجْتَمَع الأندلسي، بل وتختلف عن "المعلومات الواردة في جميع المصادر الأخرى التي تطرقت لهذه الحقبة التاريخية"[٣٠]. فهي لا توفّر لنا مادّة فقهيّة تتمثّل في فتاوى لها صلة بأسئلة معينة تعود إلى عصر المؤلف فقط، وإنّما تقدم لنا فائدة عظيمة يستفاد منها في مختلف الدّراسات الفقهيّة المعاصرة، نظرا لما تتضمّنه من مبادئ في صياغة الفتوى وتنزيلها، وضوابط مراعاة المآلات والمقاصد، وقواعد في الفقه والأصول، وأسس معتمدة في الاستنباط والتّنزيل والتّخريج الفقهي، التي يعزّ وجودها في مصادرها المتخصّصة. ناهيك عما تحفل به من الإشارات التّاريخية الاجتماعيّة؛ كعادات الأفراح والأتراح، وأساليب الزواج وتقاليد اللباس والطعام، وطبيعة العلاقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة السّائدة خلال تلك الحقبة التّاريخيّة؛ ممّا يجعل فائدتها غير مقصورة على المشتغلين بالفقه وعلومه فحسب، بل تتعدّاهم إلى غيرهم من المتخصّصين في سائر العلوم الإنسانيّة، والدّراسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتّاريخيّة والسياسية والثقافية والدينية للمجتمع الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين[٣١].

٢. دور المرأة الأندلسية في الحياة الاجتماعية:

إن البحث في موضوع المرأة، واستحضار مختلف القضايا التي يثيرها، لمن شأنه أن يصحح الكثير من المزالق في التفسير والتدليل والتأويل، ويراجع العديد من المعلومات التاريخية المشوهة والمتواترة بالخطأ والتي تفيض بها متون معظم الدراسات الاستشراقية المترهلة، التي اتخذت من موضوع المرأة ميدانًا خصبًا لحبك الكثير من نظرياتها اللامنهجية، وتقويماتها الانطباعية وأحكامها القبلية[٣٢].

أ- تكوين الأسرة وأهميتها:

مما لا مشاحة فيه أن الأسـرة هي النواة الأساس لتكوين المجتمعات؛ لا بد لوجودها من اتفاق مسبق بين الزوجين، ناهيك عن العيش المشترك بينهما تحت سقف واحد، نتيجة لعقد شرعي جمع بينها.

حث الإسلام على أهمية النكاح لما له من أثر في تكثير الأمة بالتناسل وحفظ الأنساب الذي يحصل به التعارف والتآلف والتعاون... فلولاه لضاعت الأنساب ولأصبحت الحياة فوضى.

- **الزواج:**

ولتأسيس الأسـرة لابد من الـزواج، الذي يمر بمراحل عديدة؛ وأولى تلك الخطوات هي الخطبة. ومن مراعاة ذلك أن يكون الرجل كفؤا، فقد كان شرطا أساسيا لإتمام الزواج[٣٣].

اختارت الأندلسيات الرجل الكفء، غير المتسم "بالفسق والفقر"[٣٤]، وأن يكون متدينا، وألا يكون "ممن يخرج إلى السخافة فيسكر ويخرج إلى الطرقات ويسخر منه الصبيان"[٣٥].

• **الخطبة ومواصفات الزوجة:**

تولت بعض النسوة المسنات عملية الخطبة[٣٦] على سبيل حب الخير والوصل بين أهل العريسين[٣٧]، أو بمقابل في حالة وجود ولي الفتاة؛ أما في حالة عدم وجود ولي الفتاة فيقصدها شاهدان يعرضان عليها أمر الخطبة ويسمعان منها[٣٨]، فإن سكتت عن ذلك رضى وقبولا منها تتم الخطبة[٣٩]، ومن علامات موافقتها أيضا ضحكتها أثناء استشارتها[٤٠]، ومن علامات رفضها البكاء[٤١].

اختار الرجال المرأة الجميلة للزواج بها[٤٢]، بل وصل الأمر ببعضهم الزواج بالكتابيات نظرا لجمالهن الباهر[٤٣]، هذا؛ مع العلم أنهم بحثوا عن الفتاة الصغيرة السن[٤٤] وإن لم تصل لمرحلة البلوغ[٤٥]، واشترطوا الزواج بالمرأة الخالية من العيوب[٤٦]؛ ففي هذا الصدد كان من حق الرجل أن يَعْلَمَ بمرض من يريد الزواج بها[٤٧]، وذلك قبل أن يعقد عليها.

• **عدم الغصب على الزواج:**

ترد في نوازله إشارات صريحة على أن العديد من الفتيات تم استشارتهن في مسألة الزواج، فمسألة تزويج الآباء لبناتهن لم يكن قصرا دائما، وبخاصة في الأوساط الغنية، وبدرجة أقل في أوساط العامة، "فليس لأحد أن يجبر أحدا على النكاح"[٤٨]؛ ذلك أن "الزواج مسألة قوامها الحرية في الاختيار، واتخاذ القرار بالنسبة للمرأة"[٤٩].

مع العلم أن أَمْرَ المرأة كان بيد وليها، أو أحد محارمها: الابن[٥٠]، العم[٥١]، الخال[٥٢] والأخ[٥٣]؛ فقد كان أحدهم وصيا على أخته في عقد نكاحها، شريطة أن يكون "شخصا سديدا"[٥٤]، ويستعمله في حدود الشرع. أما دون ذلك؛ فتضطر المرأة لتوكيل شخص آخر من غير محارمها، ففي هذا الصدد وَكَّلَت إحداهن امرأة أخرى في عقد زواجها[٥٥].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أغلب حالات الزواج كانت تتم بموافقة الأب الذي يعد الوصي الأول على الفتاة، وبخاصة البكر منهن[٥٦].

• **أهمية العذرية:**

فضل الرجل الزواج بالفتاة البكر[٥٧]؛ وهو أهم شرط اشترطه الرجل في المرأة؛ لأن العفة ارتبطت بالبكورة والعذرية، فلا تكون المرأة عفيفة إلا إذا عف فرجها[٥٨]. ولذلك تم تخصيص امرأتين للشهادة أن الفتاة عذراء[٥٩]؛ لأن بعضهن ادعين أنهن أبكارا[٦٠]؛ ففي هذا الصدد تزوج رجل بفتاة "على أنها بكر فوجدها ثيبا من زوجين"[٦١].

ومما تجب إليه الإشارة هنا، أن غشاء البكارة يمكن أن يسقط لعدة أسباب، منها: "الوثبة"[٦٢] أو "الحيضة والتعنيس"[٦٣]؛ لذلك تنبه فقهاء العصر المدروس لهذه المسألة، فنجدهم يفتون بما يمنع ظلم المرأة؛ ففي نازلة سُئِلَ فيها ابن الحاج "عمن تزوج امرأة وأصابها ثيبا... وجدتها مفتضة"[٦٤]، فأفتى بجلده جلد الحد[٦٥]؛ لأن "العذرة قد تسقط من الوثبة وما أشبهها"[٦٦] وتسقط أيضا من "الحيضة والتعنيس"[٦٧].

وقد كان فقدان الفتاة لعذريتها سببا لجلب العار والذل لأسرتها؛ لذلك التجأت الأسر إلى كتابة عقود لبناتهن اللائي فقدن عذريتهن لسبب خارج عن إرادتهن[٦٨]؛ وذلك قصد دفع الشبهة

والعار الذي يلحق بها وأسرتها إذا تبين ليلة البناء بها أنها ليست بكرا، ونظرًا لذلك يقوم الزوج بإرجاعها لبيت أسرتها[٦٩]، مع ما يسببه ذلك من عار كبير لأسرتها؛ لذلك حرصت البنات على الحفاظ على عذريتهن أشد الحرص[٧٠]. مما يدل على أن البكورة اضطلعت بأهمية كبرى في النسق القيمي للمجتمع الأندلسي، فبفضلها يغدو جسد المرأة حاملا لشرف الأسرة والصائن لكرامتها، وأي مساس له هو بالضرورة مساس لشرفها وانتهاك لحرمتها[٧١]. مع العلم أن بعض الرجال لم يجدوا غضاضة في الزواج بالثيب[٧٢] طمعا في مالها ومكانتها الاجتماعية[٧٣].

• المهر وجهاز المرأة:

توضح مسائل ابن الحاج أن مقدار الصداق كان متباينا في قيمته، وذلك حسب ثراء الزوج ومنزلة من يريد الزواج بها في قلبه، ويكون مهر الزوجة في بعض الأحيان عينا[٧٤]، وفي حالات عدة يكون نقدا[٧٥]، أو هما معا[٧٦]، في "مُعَجَّلٍ وَمُؤَجَّلٍ"[٧٧]، وذلك بالدينار الذهبي المرابطي[٧٨]. أما بخصوص جهازها[٧٩] فيتكون من الثياب، فقد جُهِّزَت فتاة بـ"غفارة مُحَرَّرَة وثوب رازي"[٨٠]، وقد كتب رجل ليتيمة ما مقداره خمسة عشر مثقالا لتجهيز نفسها في عرسها[٨١].

أما في أوساط النساء الثريات فقد كان جهازهن على قدر غنى أُسَرِهِنَّ، ففي هذا الصدد نحل "رجل ابنته دارا عند عقد نكاحها مع زوجها"[٨٢]، وَجُهِّزَت أخرى بـ"ستارتي ديباج بخمسة عشر دينار، ومرفقة ديباج بخمسة وعشرين دينارا، وقميص جرجاني، وثلاثة قمص حرير... وغلالتي كتان مصنفة... وتسع غلائل ملونة... وأربعة معاجز خز، وسبعة مخاد، ونمط كتان قيمته سبعة دنانير، وسادجة، وعشرة فُرُش كتان مرقومة، وقبة كتان مصنفة، ومقطع شوري ورداء كتان، ومنديل كتان، وأربعة مناديل صغار، وخمسة أُزُرِ كتان، وعشر ملاحف كتان للرقاد، وعشر شُقَقِ كتان، وخمسة وسائد قرطبية، وخمسة مواسر قرطبية، وعشر وسائد، وثمان قطف صوف، وفردة وطاء، وبساط دبي، وحنبل صوف، وكسائين أحدهما براري والثاني قشي، وثلاثة أعلاق جوهر، ولحاف نارنجي، يُجْمَلُ في قيمة جميع ذلك ألف دينار وأربعمائة دينار وخمسة وعشرون دينارا"[٨٣].

ب- لباس المرأة وزينتها:

• لباس المرأة:

أما فيما يخص لباس أهل الأندلس -وبخاصة المرأة- فقد وردت إشارات مهمة عنه بين ثنايا مسائل ابن الحاج، ذلك أن المرأة اتخذت ملابس عديدة تتلاءم وطبيعة جسمها؛ وقد خضع كل ذلك للمستوى المادي للمرأة.

ففي هذا الصدد يذكر أنهم اعتادوا ارتداء أنظف وأحسن الثِّيَاب فكان من ملابسهم الغفارة[٨٤] التي أخذها أهل الأَنْدَلُس عن الْمَغْرِب، بالإضافة إلى "فروة نسر بوجه خز"[٨٥].

تمدنا نوازله بمعلومات قيمة فيما يخص لباس النساء؛ حيث ارتدت الأندلسيات في العصر المرابطي المقنع[٨٦] كغطاء للرأس، كما اتخذن الخمار من الصوف أو من الأقمشة الحريرية التي تختلف من حيث درجة جودته في ثمنها.

قدم لنا ابن الحاج وصفا لملابس الميسورات

الحال، سواء في فصلي الشتاء والصيف أو فصلي الربيع والخريف، وذلك من خلال ما فرضه زوج ثري لمطلقته من قمصان وسراويل[٨٧]، وفي نازلة أخرى فرض لمطلقته من الكسوة في فصل الشتاء "فروة نسر بوجه خز"[٨٨] و"دراعة خز عن فصلي الربيع والخريف"[٨٩] إلى جانب قميصين جديدين وثوب مثلث وزوجي قرق جيد[٩٠]، بينما جهز أحدهم بنته بالعديد من الملابس، من بينها "قميص جرجاني وثلاثة قمص من حرير، وغلالتا كتان مصنفة، وتسع غلائل ملونة، وأربعة معاجز..."[٩١].

كما أن المملوكات كن يلبسن القمصان والسراويل وزوجي خف للقدمين[٩٢] في الصيف، أما في الشتاء فارتدين الفرو والمحشو، والملحفة والمرفقة[٩٣]. وكل ذلك قصد التودد لأزواجهن وكسب وُدِّهِن.

• الحلي ومواد التجميل

حرصت المرأة الأندلسية على الاهتمام بجمالها، ففضلا على جمالها الطبيعي عملت على تحسينه؛ فاهتمت بأدق تفاصيل جسمها من شعرها إلى باقي أطراف جسدها[٩٤]. ففي هذا الصدد تزينت الأندلسيات بالحناء؛ حيث قمن بوضعها في أيديهن وأرجلهن، وصباغة شعورهن بها[٩٥].

كما أنهن كن يلبسن الذهب[٩٦] والحلي والمجوهرات[٩٧]، ففي هذا الصدد ترد إشارة في نوازله بشيوع ظاهرة كراء الحلي والمجوهرات في الأوساط العامة، وهو ما ينهض قرينة بأن الأندلسيات ارتدين الحلي بكثرة، سواء في المناسبات الخاصة أو في حياتهم اليومية، حجتنا في ذلك أن إحداهن كانت تحتفظ بحليها في أوعية أو درج أو حش[٩٨]، وقامت أخرى بالتصدق بخُرَصَهَا وَسِخَابَهَا"[٩٩].

ولاكتمال زينتهن، قصدت المرأة الأندلسية الحمامات، فقد شاعت بينهن عادة ذهابهن للحمامات وقت الزواج، وبُعَيْدَ الولادة، وقُبَيْلَ الأعياد، وذلك قصد الاستجمام والتطهر من دم الحيض والنفاس[١٠٠]؛ ولما يقدمه من منافع وفوائد صحية للجسم، وذلك على الرغم من الخطاب الديني قد تشدد في مسألة الذهاب إلى الحمام في سياقه الاجتماعي والتاريخي؛ لأنه نظر له "كمحل لكشف العورة وإظهار المحاسن وإيثار الشهوات المؤدية إلى تفشي بعض الممارسات الشاذة"[١٠١]. وهذا التشدد والمنع لم يكن في الأندلس فقط؛ بل في منطقة الغرب الاسلامي ككل[١٠٢].

ت- وضعية متميزة للمرأة في الأسرة والمجتمع:

حظيت المرأة في العصر المدروس بمكانة اجتماعية مرموقة، وأعطاها الفقهاء حقوقا كبيرة، فهذا فقيهنا ابن الحاج قد أقر صراحة بأنها غير ملزمة بخدمة زوجها، وأنه لا يحق له منعها من ممارسة التجارة[١٠٣].

ومن صور مكانتها المتميزة أن زوجها يشترط على نفسه في عقد الزواج أنها طالق إن تزوج عليها بزوجة ثانية[١٠٤]، وتطلق نفسها إذا أقدم على الزواج بغيرها[١٠٥]، وبتطليق الزوجة الأولى لتوافق الثانية الزواج به[١٠٦]، فهي تفضل الموت على أن تدخل عليها أخرى.

كما أنها اشترطت عليه ألا يغيب عنها غيبة

متصلة أكثر من ستة أشهر، إلا في أداء فريضة الحج[١٠٧]، وفي حال أخل بالشرط المذكور في عقد نكاحها تقوم المرأة بتطليق نفسها؛ حيث قامت "عند القاضي فتثبت الشرط والمغيب... وجرى عندنا فيها أنها من غاب أكثر من ستة أشهر أن تأخذ بشرطها ويقضي القضاة بذلك"[١٠٨]، بل كان لها الحق في أن تتزوج غيره في هذه الحالة[١٠٩].

ومما لا مراء فيه، أن هذه المكانة حظيت بها ثلة قليلة من النسوة الأندلسيات عصر الدراسة ممن انتمين لعائلات عريقة معروفة، أو ذات المناصب والجاه، فقد كان لهن الحق في خلع أزواجهن[١١٠]؛ فقد خالعت امرأة "زوجها على أن حطت عنه جميع كالِئِهَا وغير ذلك مما تضمنه عقد الخلع"[١١١].

بالإضافة إلى ذلك؛ فلم تجد المرأة عصر الدراسة حرجا في المطالبة بحقوقها الزوجية، وطالبن بالطلاق نظرا لضعف قدرات أزواجهن الجنسية[١١٢]، بل منهن من ادعت أن زوجها "لا ذَكَرَ لـه"[١١٣]، الأمر الذي أدى إلى هدم كيان الأسرة برمتها[١١٤].

كما ترد نوازل أخرى تبين مدى مكانتها؛ حيث يتم استشارة البكر للزواج[١١٥]، بالإضافة إلى رؤية المتقدم لها قبل عقد القران[١١٦]، "فنظر الرجل إلى المرأة، أو المرأة إلى الرجل محظور إلا عند الضرورة كالشهادة ونظره إليها ليتزوجها"[١١٧].

ومنهن من طالبت بطلاقها لطول مكوث زوجها بالسجن[١١٨]؛ بل وردت إشارة صريحة بأن بعضهن عقدن زواجهن بأنفسهن دون أوليائهن[١١٩]، كما قامت المرأة الحاضنة بعقد قران محضونتها[١٢٠]، وفي حالة أخرى تولت سيدة عقد نكاح خادمها الرجل؛ حيث أقر ابن الحاج هذا الأمر بقوله: "وللمرأة أن تُزَوِّجَ عبدها لأنه كسلعة من سلعها"[١٢١].

وعلى العموم فنوازل ابن الحاج تزخر بحالات كثيرة اشترطت فيها الزوجة شروطا معينة على الزوج قبل موافقتها عليه بعلا لها[١٢٢]، وهذا الأمر كان يتم في أوساط الأسر العريقة والغنية وذات المكانة الاجتماعية المرموقة.

هذا؛ مع العلم أن إحداهن ألزمت زوجها بألا يعود لزوجته الأولى أبدا طيلة حياته، وأن يلتزم بذلك في عقد الزواج[١٢٣]، ومنهن من فرضت على زوجها السكن معها في منزلها الذي تملكه سلفا[١٢٤]، مع العلم أن فئة من النسوة الأندلسيات عصر الدراسة تميزن بالغنى والثراء الكبيرين[١٢٥]؛ حيث امتلكن أموالا وفيرة[١٢٦] ومنازل وعقارا[١٢٧] وأراضي فلاحية شاسعة المساحة[١٢٨] إضافة لقطعان الماشية والدواب[١٢٩]؛ وذلك إما عن طريق التجارة أو الإرث[١٣٠] أو التحبيس[١٣١]. ففي هذا الصدد وصف ابن الحاج إحداهن بأنها من ذوات العقار الكثير[١٣٢]، وأخرى لها أملاك ضخمة[١٣٣]؛ ومن شدة الثراء الفاحش، فقد امتلكت إحداهن أراض وعقارا في أكثر من قرية[١٣٤].

هذا؛ مع العلم أن منهن من قامت بالتصدق بمالها على أقاربها[١٣٥]؛ كما أن العديد منهن – خاصة من الأسر الغنية- امتلكن خادما خاصا بهن في بيوت أزواجهن[١٣٦]. ومن النوازل التي تبين مكانة المرأة، أن العديد من النسوة كن

يكتبن عقدا ثابتا به وصف دقيق ومفصل عنهن وصفاتهن، وأنهن حرائر بنات أحرار[١٣٧].

كما أن العديد منهن عشن حياة رغيدة سعيدة مع أزواجهن، حجتنا في ذلك أن إحداهن تصدق عليها زوجها بماله وعقاره[١٣٨]، وتشاركت إحداهن مع زوجها في امتلاك المتاع؛ حيث كانت لها معه "شركة في الغنم والبقر"[١٣٩]، ووهبت أخرى "رياضا لها" لزوجها[١٤٠]. الأمر الذي يؤكد ما خلصت إليه العديد من الدراسات التي قاربت موضوع المرأة بالمجتمع الأندلسي؛ حيث أقرت أن المرأة تمتعت في هذا المجال الجغرافي من الغرب الاسلامي بحرية نسبية ووضع متميز[١٤١]. هذه الحرية مكنتها من الخروج والحديث مع الرجال دون رقيب[١٤٢]. فقد أظهر المرابطون للمرأة كل الاحترام، وظهرت قصائد عدة في مدح النساء[١٤٣].

وللدلالة على هذه المكانة التي احتلتها المرأة في الأندلس، فإن بعض المؤلفين الأندلسيين ألفوا كتبا عامة في شهيرات السيدات الأندلسيات، ولعل أقدمهم مسلمة بن القاسم الذي ألف كتابا في النساء[١٤٤] بالإضافة إلى تأليف آخر لأبي الحسن علي بن محمد المعافري المالقي المتوفى سنة ٦٠٥هـ، سماه: الحدائق الغناء في أخبار النساء: تراجم شهيرات النساء في صدر الإسلام[١٤٥].

ث- وضعية صعبة للمرأة في الأسرة والمجتمع:

ففي هذا الصدد عانت العديد من النسوة من كثرة الطلاق[١٤٦]، ولأسباب واهية[١٤٧]، فمنهن من تم تطليقها بالإقالة[١٤٨]؛ كما عانت الفتاة من تزويجها في سن مبكرة[١٤٩] وقبل البلوغ[١٥٠]، ورغما عنها[١٥١].

وفي هذا الصدد تم تزويج فتاة صغيرة[١٥٢] رغما عنها، وقد كانت في حالة "باكية كئيبة في الوقت الذي استأذنها في ذلك"[١٥٣]، وحينما وصلت للطلاق أخبرت القاضي بأنها "لم تُعْلِن بالرضا ولا نَطَقت بـه"[١٥٤]، وأُكْرِهَت أخرى وذلك للزواج من رجل وهي صغيرة السن[١٥٥]. لذلك "ينظر إلى الصبية تقيتان من النساء، فإن شهدتا أن بها أثر البلوغ نفذ النكاح... ورأتا أنها أنبتت"[١٥٦].

بينما قام العديد من الأزواج بمعاشرة زوجاتهن تحت الإكراه[١٥٧]، الأمر الذي يؤكد ما خلصت له بعض الدراسات التاريخية من أن المرأة عصر الدراسة لم يكن لهن حق رفض الخاطب، فهذا "الحق كان جد نسبي بين النساء المحظوظات، فالبعض منهن، ولا يستبعد أن تكون القلة منهن فقط، امتلكن حق قبول أو رفض المتقدم لخطبتها إذا لم يستهويها لسبب من الأسباب"[١٥٨]، الأمر الذي أفضى بالبعض للقول بأن المرأة في عصر الدراسة قد "أضحت مبتذلة لدى الطبقة الخاصة"[١٥٩]، حجتنا في ذلك أن أحدهم قام بتطليق أَمَتِهِ من زوجها رغما عنها[١٦٠].

وفي بعض الحالات قامت الفتاة باغتصاب نفسها لئلا يتم تزويجها غصبا عنها، ناهيك عن منافرتها لزوجها بعد الزواج وفي ليلة البناء بها نظرا لصغر سنها؛ حيث "نافرت الزوج منافرة عظيمة، وتزعم أنها متى جبرت على ذلك قتلت نفسها"[١٦١]، ومنهن من كرهته[١٦٢] وبغضته منذ الوهلة الأولى من الزواج[١٦٣].

وترد إشارات تنهض قرينة على إقدام بعض الفتيات على الهروب من بيت الزوجية[١٦٤] نظرا

لأنهـا أُجْبِرت على الزواج به؛ وأنها "لا رضيت بذلـك النكاح"[١٦٥]. كمـا أن بعضهن أنكرن أنهن تزوجـن أصلا، فقد أنكرت إحداهن أنها متزوجة مـن رجـل، وهربت رفقـة والدها بعد انكشـاف وفضـح أمرها، وذلـك بالاتفاق مـع والدها[١٦٦]. هـذا؛ مـع العلم أن بعـض الزيجـات تمت على الرغم من تأخير صداق الزوجة[١٦٧].

كما أن بعضهن منعن من رؤية أولادهن[١٦٨]، وتم حرمانهن من فلذات أكبادهن[١٦٩]، بل والتفريق بينها وبين أطفالها؛ حيث قام أحدهم ببيع امرأة كان يمتلكها وفرقها عن طفلها[١٧٠]. ناهيك عن منعهن من زيارة آبائهن وإخوانهن[١٧١] والاستحواذ على ممتلكاتهن من طرف أزواجهن[١٧٢]، وبيعه[١٧٣]، وعـدم تمليكها إرثها من زوجها، فقد عانت أرملة من عدم تنفيذ وصية زوجها بالنفقة عليها وتمليكها إرثها منه[١٧٤]؛ وقام زوج آخر بالسطو على مال زوجته كله[١٧٥]، وتعرضت أخرى لظلم كبير من طرف رجل يهودي؛ حيث استحوذ على مالها وعقارها كله[١٧٦].

إن تعدد جرائم السرقة والاستحواذ على ممتلكات الزوجة والتعدي على المال، قد استفحلت بكثرة عصري الطوائف والمرابطين، والأمر مرتبط بظرفية تاريخية حرجة، وبخاصة في فترة انهيار الدولتين حيث غاب الأمن والسلطة المركزية[١٧٧].

بل وصل الأمر بأحدهم أن أقسم بقتل زوجته إن هي أنجبت له بنتا[١٧٨]؛ وفي حالة غريبة قام أحدهم بقتل شقيقته عمدا[١٧٩]. كما أن بعضهن عانين من الفقر والعوز ومن ظروف معيشية صعبة؛ حيث وصف ابن الحاج إحداهن بأنها كانت "عديمة"[١٨٠]، الأمر الذي أجبرهن إلى الخروج للعمل في الحقول والمزارع نظرا لشدة فقرهن؛ حيث اشتغل بعضهن في "التصييف ولقط السنبل"[١٨١]؛ ومن شدة الفقر وللظروف الصعبة اضطررن للاستقرار بمنزل أهل الزوج[١٨٢].

هذا؛ مع العلم أنهن عانين من ممارسة العنف من طرف أزواجهن أثناء عملية الجماع، لدرجة تفضي إلى الموت أحيانا[١٨٣]. ففي هذا الصدد عانت إحداهن من جروح كثيرة في مواضع مختلفة من جسدها جراء اعتداء زوجها عليها ظلما وعدوانا حسب النازلة[١٨٤].

إن تعدد حالات الاعتداء هذه؛ مرده لكون المجتمع الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين قد شهد الكثير من حوادث الاعتداءات الدامية التي جـاءت انعكاسا لانعدام الأمـن؛ ومن ثم صار مشهد القتل من الأمور العادية والمألوفة في المجتمع، في إطار ما يعرف بسوسيولوجيا الحرب[١٨٥].

وبالإضافة إلى العنف الجسدي، فقد عانت المرأة من العنف اللفظي، حجتنا في ذلك أن أَقْسَمَ زوج على قتل زوجته إن هي أنجبت له بنتا[١٨٦]، إضافة إلى العنف المعنوي؛ حيث عاقب الرجل زوجته بالزواج عليها من أخرى[١٨٧].

إلـى جانب ذلـك، عانت النسوة من سوء المعاملة والبغض من طرف أزواجـهن[١٨٨]، ورفضهم النفقة عليهن[١٨٩]، إضافة إلى إنكار حمل زوجته منه[١٩٠]؛ بينما تعرضت أخريات للاغتصاب[١٩١]، فقد ورد سؤال إلى ابن الحاج "عن صبية تزوجها رجل فغُصِبَت على نفسها قبل أن يبني بها زوجها وافتضت" بكارتها[١٩٢].

كما تمت سرقتهن وإخفاؤهن[١٩٣] وبيعهن في الأسـواق، فقد ثبت أن رجلا باع امرأته وابنتها[١٩٤]، ناهيك عن تعرضهن للضرب من طرف أزواجهن[١٩٥].

بل لا نعدم من الشواهد التي تثبت أن بعضهن وافقن طواعية على بيعهن مع بناتهن[١٩٦]. ولا نعدم من الإشـارات التي تدل أنها عانت من التمييز العنصري، ففي هذا الصدد يورد نازلة تتحدث عن لون المرأة ووصفها بـ"المملوكة السوداء"[١٩٧].

ومن صور معاناة المرأة في عصر ابن الحاج الجمع بين الأختين[١٩٨]، وبين الأمة وابنتها[١٩٩]، بالإضافة إلى شيوع ظاهرة التسري بالإماء[٢٠٠]، فضلا عن الـزواج بطرق غير شرعية[٢٠١] والوقوع في الزنا[٢٠٢].

وفي نازلة غريبة، ادعى رجلين الزواج بنفس المرأة في نفس الـوقت[٢٠٣]؛ كما تدخل الأهل بين الزوجين، وتحريض الزوجة على زوجها، وبذلك أسهموا في التفريق بينهما[٢٠٤].

كما عانت المرأة من طول غياب زوجها[٢٠٥]، أو اختفائه[٢٠٦]؛ مما جعلها تخرج للعمل في الحقول والمزارع نظرا لشدة فقرها[٢٠٧]. فنوازل ابن الحاج – كغيرها من نوازل العصر الوسيط- قد حوت العديد من المسائل المتعلقة بالمفقودين، الأمر الذي أدى إلى استشراء ظاهرة غياب الرجل في المجتمع الأندلسي والوسط القروي[٢٠٨].

ومن أشد صور معاناة الزوجة الأندلسية عصري الطوائف والمرابطين، إقدام الزوج على هجران سرير الزوجية، وذلك إما نكاية فيها، أو بسبب ضعف قدراته الجنسية[٢٠٩]؛ الأمر الذي اضطرها إلى رفع شكواها لِأُولِي الأمر، ومن ثم يتم إرسال قابلتين لينظر إليها[٢١٠]، إضافة إلى البناء بزوجتين في ليلة واحدة[٢١١].

وبعد الزواج تبين نوازله أن هنالك زوجات سعين إلى كسب محبة أزواجهن عن طريق وهب أموالهن لهم[٢١٢]، ولا يمكن أن تقدم الأنثى على مثل هذا الفعل إلا إذا كانت تُكِنُّ لزوجها مشاعر الحب الجياشة، وأنه استولى على مشاعرها بحسن معاملته لها، على الرغم من موضوع الحب والمشاعر والأحاسيس من المواضيع التي جرى التكتم حولها في الكتابات التاريخية العربية الوسيطية، ذلك أن المؤرخين أحجموا عن الخوض فيها؛ لأنها "شأن شخصي"[٢١٣].

بـل ومساعدتهم فـي الأعمـال الفلاحية والتجارية[٢١٤]؛ حيث أكد ابن الحاج على أنه لا يجوز للرجل منع زوجته من التجارة[٢١٥]، فقد قامت إحداهن بتربية دود الحرير، وكل ذلك من أجل التودد له وحسن معاشرته[٢١٦]. مما يؤكد أنها فعلا قد شاركت مع الرجل في كثير من الأعمال الخاصة بالزراعة والرعي، والعمل بصفة عامة؛ كما أنها شاركت الرجل في إبداء الرأي[٢١٧].

• المشاكل الزوجية:

كـما تـنـاول بـعـض المـشـاكـل الـزوجـيـة والأسرية[٢١٨] التي عادة ما تفضي إلى الخلاف بين الزوجين؛ منها عدم انصياع الزوجة لأوامر زوجها، وإن كانت هذه الظاهرة متفشية أكثر في أوساط العائلات الوجيهة[٢١٩]، ذلك أن "زوجين من ذوي الهيئات وأهل التصاون أقاما على الزوجية سنين عددا، ونشأت بينهما ذرية، وكانت

المرأة تنشز في خلال ذلك متجنية عليه في ذلـك"[٢٢٠]. كما قامت بعضهن بمغادرة عش الزوجية دون إذن زوجها[٢٢١]، إلى غير ذلك من المشاحنات بين الزوجين بسبب سوء معاملة الزوجة لوالدة زوجها[٢٢٢].

كما كان لغياب الزوج عن زوجته، واستمراره لمدة طويلة أن أسهم في تفاقم المشاكل الزوجية وأدى أحيانا إلى الطلاق، وهو ما يفهم من النازلة التي أوردها "ابن الحاج" والتي حكم فيها لزوجة ادعت غياب زوجها أن تنتظر أربعة أعوام، فإن لم يرجع إليها أصبحت حرة في تطليق نفسها.

ومن بين أهم الأسباب التي أدت حدوث المشاكل بين الزوجين عصري الطوائف والمرابطين، مسألة زيارة المرأة لوالديها وأقاربها، لذلك تعدد حالات استُفْسِرَ فيها ابن الحاج عن منع الزوج امرأته من زيارة أهلها[٢٢٣]. هذا؛ بالإضافة إلى مشكلة أخرى تردد بكثرة في نـوازل العصر المدروس، وتتمثل في جنس المولود؛ حيث فضل الرجل الأندلسي المولود الذكر على الأنثى، وتسبب ذلك في مشاكل أسرية عويصة جدا، حجتنا في ذلك أن أحدهم هدد زوجته بالقتل إن هي أنجبت له بنتا[٢٢٤]، وهذا الأمر نجد له صدى كبيرا في أمثال العصر المدروس، إذ اعتبرت الأنثى عبئا على الأسـرة، فـ"هم البنات إلى الممات"[٢٢٥]، و"من عنده ولية عندو بلية"[٢٢٦].

• الطلاق والنفقة:

أ- الطلاق:

شكل الطلاق[٢٢٧] على العموم عبئا كبيرا على الرجل بسبب النفقات المفروضة عليه. وقد تعددت أسباب الطلاق، فمن أسبابه سوء معاملة الزوجة لوالدة الزوج[٢٢٨]، ولسوء أخلاقها[٢٢٩]. كما طالبت بعض النسوة بالطلاق؛ نظرا لمرض أصاب زوجها[٢٣٠]، وبخاصة في الأوساط الغنية والعائلات الوجيهة؛ وتم تطليق أخريات نظرا لإصابتهن بأمراض مختلفة[٢٣١]. ففي هذا الصدد طلق رجل امرأتـه؛ لأنها عانت من "عيب الفـرج"[٢٣٢]، ويقصد به "الرّتَقُ أو القَرَنُ أو العَفَلُ"[٢٣٣]، بالإضافة إلى "داء الجرح" الذي لا يمكن الجماع والمرأة مصابة به[٢٣٤].

وفي بعض الحالات تدخل القضاة والسلاطين لتطليق المرأة من بعلها، وبخاصة في الحالات التي عانى خلالها الزوج من بعض الأمراض المستعصية الشفاء، من قبيل: الجنون والجذام والبرص[٢٣٥]، كما تم الطلاق لعدم قدرة الزوج على وطئ زوجه[٢٣٦]، وفي حالات أخرى لضعف قدراته الجنسية، ففي هذا الصدد طالبت امرأة الطلاق بسبب عدم قدرة زوجها على الإيلاء[٢٣٧]؛ لأنه "عنين" لا يقدر على وطئها[٢٣٨]. ومنهن من تم تطليقها وهي حامل[٢٣٩]، ومنهن من طُلقَت ليلة البناء بها أو حتى قبل الدخول بها[٢٤٠].

كمـا أن هنـاك حالات عـدة كان السـبب في الطـلاق امتنـاع الرجـل عـن أداء نفقـة زوجه وعيالـه، حجتنـا في ذلـك أن امـرأة قامت على زوجها "في نفقة نفسها فادعى العُدْمَ"[٢٤١].

مع العلم أن هناك من قام بتطليق زوجته وإعادتها إلى ذمته مجددا، بعدما تبين له تسرعه في تطليقها[٢٤٢]، وذلك "ما لم تدخل في الحيضة الرابعة"[٢٤٣]؛ ومن ثم فإنه يقوم بمبارئتها[٢٤٤]؛ لأن ذلك "من حقوق الله"[٢٤٥].

وفي حالات عديدة قام الرجل بتطليق زوجته

وإعادتها ثلاث مرات[٢٤٦]، مما يؤكد أن ظاهرة الطلاق كانت متفشية بشكل كبير في العصر المدروس، وبخاصة في أوساط العامة.

ب- النفقة:

أما بخصوص النفقة، فقد حدد ابن الحاج نفقة الزوج الغني كل شهر، وهي: "ربعا دقيق، وثمنا زيت، وحمل واحد من حطب، وخمسة عشر درهما في الصرف، كل ذلك لشهر واحد، ويكري لها مسكنا"[٢٤٧]؛ وإن كان متوسط الحال فعليه "ربعا دقيق وثمن، ونصف ثمن زيت، ونصف حمل حطب، وستة دراهم صرف، وخرج مسكن"[٢٤٨]؛ في حين كان نصيب الرجل الفقير على زوجته المطلقة هي: "ربع ونصف ربع دقيق وثمن زيت، وحزمة حطب، وأربعة دراهم عن صرف، وبيت تسكن، وعن كسوة اللباس والرقاد نصف درهم في الشهر"[٢٤٩].

مع العلم أن النفقة المفروضة على الزوج قد اختلفت حسب ظروفه المادية، فكانت نفقة الرجل المتوسط الحال في حال تطليق زوجته، وهي حامل أو مرضعة هي: ربع دقيق وثمن ونصف زيت ونصف حمل حطب، وستة دراهم صرف، ومسكن وكسوة، في حين فرض على الرجل الغني الإنفاق على امرأته المطلقة ما مقداره "ربعا دقيق، وثمنا زيت، وحمل واحد من حطب، وخمسة عشر درهما في الصرف، كل ذلك لشهر واحد، ويكري لها مسكنا مثل الذي كانت تسكنه معه، فإن كانت في أول الحمل ابتاع لها قميصا وسراويل ..."[٢٥٠].

وترد حالات كثيرة امتنع فيها الزوج عن النفقة على زوجته على الرغم من غناه، ففي هذا الصدد "كان لرجل زوجة وله مال حاضر فقال لا أُنْفِقُ"[٢٥١]، الأمر الذي يدفع المرأة إلى رفع "أمرها وأمر ولدها إلى القاضي"[٢٥٢]، وعجز آخرون عن أدائها[٢٥٣].

• أمراض النساء:

عانت النساء في العصر المدروس من عدة أمراض، فقد أصيبت إحداهن بمرض الجذام[٢٥٤]، وعانت أخريات من أمراض مختلفة في فروجهن[٢٥٥] من قبيل داء الرتق[٢٥٦]، وهو انسداد مسلك الفرج بحيث لا يمكن معه الجماع[٢٥٧]، وداء الفرج[٢٥٨]، ويقصد به الرتق أو القرن[٢٥٩] أو العفل[٢٦٠]؛ ويقصد به لحم يبرز في فرج المرأة يشبه أدرة الرجل، أو رغوة تحدث عند الجماع؛ وهو من الأمراض الذي تُرَدُّ المرأة فيه؛ لأنه لا يتأتى معه الجماع عرفا إما لتعذره أو لعدم طيب النفس معه[٢٦١]. وهي الأمراض التي يشترط خلو المرأة منها قصد إتمام النكاح.

وقد تم تخصيص نسوة ثقات من طرف أولي الأمر والقضاة مهمتهن الكشف عن النساء إذا كان بهن مرض أو عيب في أجسادهن وفروجهن[٢٦٢]، أو للتأكد من إصابتهن بالرتق من عدمه[٢٦٣]، الأمر الذي أدى إلى إطلاق أوصاف ونعوت عليهن بسبب مرضهن، وذلك من قبيل وصفهن بالزوجة "القرناء والرتقاء"[٢٦٤]، هذا مع العلم أن بعضهن أُصِبْنَ بالجنون[٢٦٥].

وقد كانت ظاهرة الاستشفاء منتشرة في الأندلس في العصر المدروس، حجتنا في ذلك قول ابن الحاج: "ويشهد الأطباء في الجذام يوجد بالمرأة قبل تاريخ عقد النكاح"[٢٦٦]، مما يؤكد ذهاب المرأة للأطباء قصد إيجاد حلول للأمراض التي عانين منها.

يعد الفرج من أكثر الأعضاء الجسدية التي تضررت المرأة منه حسب نوازل ابن الحاج؛ ذلك لاتصال فرج المرأة بجل نشاطاتها، وأي عيب فيه ينتج عنه عودتها إلى منزل والديها؛ لأن الزوج يشق عليه البقاء معها.

- **بعض الظواهر المذمومة:**

برزت في الوسط النسوي بالعصر المدروس ظواهر اجتماعية مشينة وغير أخلاقية، فقد انتشرت ظاهرة الزنى[٢٦٧]، ففي هذا الصدد وردت عدة أسئلة على ابن الحاج متعلقة بالزنى[٢٦٨]، بل قام أحدهم بممارسة الزنى مع امرأة وهي حامل[٢٦٩]، وغالب الظن أن هذه الآفة انتشرت بين أوساط العامة؛ لأسباب متعددة أهمها الفقر والعوز.

كما أن العديد من الرجال تفاجؤوا ليلة الدخلة بعدم توفر زوجاتهم على غشاء البكارة، حجتنا في ذلك أن ابن الحاج وردت عليه مسألة فيمن "لم يجد امرأته عذراء"[٢٧٠].

وقد تخلى العديد من النسوة عن فلذات أكبادهن[٢٧١]، حجتنا في ذلك أن "امرأة طلقها زوجها فبقيت أزيد من عام ثم ولدت فطرحت ولدها فعُثِرَ على ذلك، فقالت: ولدته من زوجي وخفت أن يقام علي الحد"[٢٧٢]. ويعزى قيامهن بذلك إما لشدة الفقر أو بعد الطلاق، أو خشية افتضاح أمرهن.

وانتشرت ظاهرة زواج المتعة، على الرغم من أن ابن الحاج عدها من الأمور المحرمة شرعا[٢٧٣]؛ ذلك أن هذا النوع من الزواج يُعَدُّ غطاء شرعيا للزنا، ناهيك عن ظاهرة النكاح بالهزل[٢٧٤]، وهو من الأمور المشينة، ويوضح مدى التهاون بكيان المرأة في عصر ابن الحاج. وقد كان هذا الأخير ممن يرفضون هذا النوع من الزواج، الأمر الذي يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه أصبح ظاهرة منتشرة في الأندلس زمن ابن الحاج التجيبي، ناهيك عن انتشار زواج السماع[٢٧٥]، والأنكحة الفاسدة؛ حيث وردت عليه عدة أسئلة بخصوصه[٢٧٦].

هذا؛ مع العلم أن حمل الزنا دفع المرأة إلى التخلص منه إما بقتل المولود أو ادعاء حملها من زوج غائب، وذلك تجنبا للعار والفضيحة والسخرية التي لقيتها المرأة في هذه الحالات من طرف المجتمع الذي لم يرحمها أبدا[٢٧٧]، والذي ما فتأت عامته تترصدها بقولهم: "جواب أولاد الزنا السكوت"[٢٧٨].

ومن الأمور الغريبة التي أفتى فيها صاحبنا، أن امرأة تزوجت بولي مزعوم، مما تسبب في الزج بها في السجن[٢٧٩]، وتزوجت أخرى برضاها؛ وهي ما تزال في عدتها من زواجها الأول[٢٨٠].

هذا؛ مع العلم أن بعض الزوجات تعاملن مع أزواجهن معاملة سيئة[٢٨١]، وتدخل الآباء بين الزوجين؛ حيث قام البعض بتحريض بناتهم على أزواجهم[٢٨٢]؛ الأمر الذي أدى إلى نشوب خصومات بين الزوجين، وقد أفضى ذلك إلى الطلاق في حالات عدة. وفي حالة غريبة قامت إحداهن بسرقة متاع زوجها[٢٨٣].

ومن الظواهر المذمومة التي عرفها المجتمع الأندلسي عصر ابن الحاج، ادعاء النسوة الحمل،

وذلك بغية الحصول على النفقة من طليقها[٢٨٤].
وقد أفتى ابن الحاج بعدم دفع الرجل للنفقة في هذه الحالات حتى تضع مولودها[٢٨٥] "فكم من امرأة تدعي مثل هذا ثم ينكشف أمرها على أنه ليس بها حمل"[٢٨٦]، فالنفقة في مثل هذه الحالات "تَجِبُ بِثُبُوتِ الحمل"[٢٨٧].

خاتمة:

خلاصة القول، أسهمت نوازل ابن الحاج التجيبي في إماطة اللثام عن دور ومكانة المرأة في المجتمع الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين. ومن خلال عرضنا لأهم قضاياها نخلص لما يأتي:

- ❖ اهتمام الفقهاء بأحوال المرأة.
- ❖ اعتناء الأنثى الأندلسية بالناحية الجمالية، وهو ما يدفعنا للقول بأن المجتمع الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين قد بلغ شأوا كبيرا من التطور، جعله يتحول من مرحلة تلبية الضروريات إلى مرحلة البحث عن الكماليات، حجتنا في ذلك الاهتمام بالزينة والتزين.
- ❖ تمتع المرأة بحرية نسبية جعلها تتخذ العديد من القرارات المهمة المتعلقة بحياتها الشخصية، من قبيل رفضها للمتقدم لها.
- ❖ تجديد الدعوة التي سبقنا إليها المؤرخون ومفادها ضرورة الانفتاح على أدب النوازل، واستغلالها في الدراسات التاريخية المتعلقة بالاقتصاد والمجتمع والعقليات الوسيطية، والعمل على تحقيق ما بقي منها مخطوطا.

الحواشي

١- يطلق عليها النوازل والفتاوى والأجوبة والأحكام والمسائل، وكلها مصطلحات تعكس مفاهيم متقاربة، إبراهيم القادري بوتشيش: "النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (ق ٥ ٦ هـ/ ١٢ ١٣ م)"، مجلة التاريخ العربي، عدد ٢٢، ربيع ٢٠٠٣ م، محمد بن شريفة: "وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض"، مجلة دعوة الحق، عدد ٢٦٤، أبريل مايو ١٩٨٧، ص ٩٤، مبارك جزاء الحربي: "جهود فقهاء المالكية المغاربة في تدوين النوازل الفقهية"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الرابع والستون - السنة الحادية والعشرون - مارس ٢٠٠٦، محمد حجي: نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للبحث للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء ١٩٩٩، ص ٣٠، نسيم حسبلاوي: "التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي: من البداية إلى عصر الونشريسي"، مجلة الحكمة، عدد ١٢، ٢٠١٢، ص ٢٢٥، محمد بن حسن شرحبيلي: تطور المذهب المالكي في الغرب الاسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، منشورات وزارة الوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، ٢٠٠٠، ص ٣٣٥، محمد الحبيب الهيلة: "مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن ٥هـ/١١م إلى نهاية القرن ٩هـ/١٥م"، مجلة دراسات أندلسية، عدد ٩، ١٩٩٣، ص ٢٤.

Thami AZEMMOURI, les Nawazil d'Ibn Sahl, Section relative à l'Ihtisab, 1 partie : Introduction texte arabe et bibliographie, HESPERIS TAMUDA, UNIVERSITE MOHAMMED V, FACULTE DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES, VOL XIV_ Fascicule unique, EDITIONS TECHNIQUES NORD AFRICAINES 1973, p : 7.

٢- تميز العصر المرابطي بكثرة المجاميع الفقهية والمؤلفات النازلية التي ألفت خلاله، لدرجة أن المرحوم محمد بنشريفة يتحدث عن: "الانفجار الفقهي في عهد المرابطين"، انظر: أوائل الإفتاء

والمفتين بالمغرب" ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ٤٦، المحمدية، ١٩٩٥، ص ٤٠، وأنها "بلغت حد التراكم"، نفسه: "نوازل غرناطية لابن عاصم"، ضمن كتاب: التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٣، ص ٢١٥، مصطفى بنسباع: "ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي"، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الخامس: العلوم الشرعية، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٥، ص: ٢٨٥، إذ حصل "تراكم إنتاجي في ميدان معرفي هو ما عرف بكتب الفتاوى أو الأحكام أو النوازل أو المسائل في كل من المغرب والأندلس"، وتفردت الأندلس "خلال العصر المرابطي بإنتاج العديد من الكتب في هذا الفرع من الفقه الاسلامي"، نفس المرجع والصفحة. يوسف نكادي: التراث الفقهي المالكي الأندلسي بين التنوع والتكامل إسهامات كتب الأحكام وكتب الفتاوى وكتب العقود في تسليط الضوء على الاستغلاليات الخاصة وعلى نظم استثمارها، مقال على الرابط التالي:

https://www.alukah.net/publications_competitions/0/40525/#ixzz5iKZFAcde

٣- يتضح لنا حجم التراث الفقهي المالكي الذي خلفه علماء الغرب الإسلامي من خلال تصفح كتب التراجم المغربية الأندلسية، وحول تلك المصنفات انظر:

María Arcas Campoy, "Algunas consideraciones sobre los tratados de jurisprudencia mālikí de al-Andalus" ; Miscelánea de estudios árabes y hebraicos. Sección Árabe-Islam. Vol. 37 (1988) ; pp : 13- 21.

٤- رقية بن خيرة: الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين (ق ١١- ١٢م): دراسة في ظاهرة الانحراف، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ٢٠١٧، ص ١٦٤، محمد مزين: "حصيلة استعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية"، ضمن ندوة البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤، جامعة محمد الخامس ١٩٨٩، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، ص ٧٧ ، نفسه: "التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج: النوازل الفقهية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، عدد خاص ٢ سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، دراسات في تاريخ المغرب، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، ص ١٠٥، ابن ورد الأندلسي: أجوبة ابن ورد الأندلسي، دراسة وتخريج الدكتور محمد الشريف، الرباط ٢٠٠٨، ص ٤١، إبراهيم القادري بوتشيش: "ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة"، ضمن أعمال ندوة: حضارة الأندلس في الزمان والمكان، منشورات جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، ١٩٩٣، ص ١٥٧.

٥- عمر بن حمادي: "النوازل بين طرافة القضايا ومشاكل النسخ وصعوبات التحقيق"، مجلة دراسات اندلسية، ع ٤٤، تونس ٢٠١٠، ص ٣٩، المنوني محمد: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، ١٤٠٤ه-١٩٨٣م، الجزء الأول، ص ٨، عمر أفا: نوازل الكرسيفي مصدرًا للكتابة التاريخية، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٩٥م، ص٢٠٥، بنحمادة سعيد، "الفلاحون والفلاحة في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية"، كان التاريخية، السنة السادسة، العدد الثاني والعشرون/ ديسمبر (كانون الأول) ١٤٣٥هـ -٢٠١٣م، ص: ١١٦، عبد الرحمن كريب: "النص النوازلي بين حاجة المؤرخ وصعوبة التعاطي المنهجي معه"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثاني- شتاء ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م، ص ١١٩.

٦- الـهـلالـي محمد يـاسـر: نـــوازل بـلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، تقديم وترتيب ببليكرونولوجي، ضمن: فقه النوازل في المذهب المالكي قضايا وأعلام، مجلة دعوة الحق، ع ٣٩٦، جمادى الثانية ١٤٣١هـ/ يونيو ٢٠١٠م، ص، ١٤١.

٧- انظر إبراهيم القادري بوتشيش: "النوازل الفقهية في الأطروحات الجامعية: التوجهات، الإضافات المعرفية والإشكالات المنهجية"، مجلة عصور الجديدة، ع ١٦-١٧، أبريل ٢٠١٤- ٢٠١٥، ص ٤٥، عيسى بن الذيب: المغرب والأنـدلـس في عصر المرابطين، دراسـة اجتماعية واقتصادية (٤٨٠هـ- ٥٤٠هـ/ ١٠٥٦م- ١١٤٥م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، ٢٠٠٨- ٢٠٠٩، ص ١٦.

٨- بنميرة عمر: "جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية"، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الأول التاريخ وفلسفته، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٩٩٦م، ج١، ص ٢٠٥.

9- Hadi Roger Idris, La Berbérie Orientale sous les Zirides des, Xe-XIIe Siècles, Paris; 1962, R. Brunschvig, Études d'islamologie, paris 1976, Muhamed. Talbi, Les courtiers en vêtements en Ifriqiya au IXe-Xe Siècle, d'après les Masā'il al-samāsira d'al-Ibyānī, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 5, No. 2 (Jul., 1962), pp. 160-194, María Jesús Viguera, "La censura de costumbres en el Tanbih al-Hukkam de Ibn al-Manasif (1168- 1223)", Actas de las II Jornadas de Cultura Arabe e Islámica, 1985, p 591.

١٠- سعد غراب: "كتب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية، مثال نوازل البرزلي"، حوليات الجامعة التونسية، ع١٦، ١٩٧٨، عبد العزيز خلوف: "قيمة فقه النوازل التاريخية"، مجلة البحث العلمي، ع٢٩-٣٠، ١٩٧٩، محمد حسن: "الريف المغربي في كتب النوازل"، الكراسات التونسية، عدد (١٣١- ١٣٢)، ١٩٨٥، محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الدار البيضاء ١٩٩٩، ص ١٩، حسبلاوي نسيم، التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي، م س، ص. ٢٢٨،

Thami AZEMMOURI, les Nawazil d'Ibn Sahl... op.sit, p: 7, Hady Roger Idris, Contribution à l'étude de la vie économique en Occident musulman médiéval, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 1973, 15-16 pp. 75-87, Pierre, Guichard; Littérature jurisprudentielle et histoire de l'Espagne musulmane: la lente intégration des fatwâ/s malikites à l'historiographie d'al-Andalus, in Compte rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Année 1999, 143-n2, pp. 757-779.

١١- مما تجدر الإشـارة له هنا أن مصنفات النوازل الفقهية نُظِرَ إليها في الميدان التاريخي بأنها كتب فقهية خالصة، لا يمكنها أن تكون في مستوى تطلعات المؤرخين، بلهواري فاطمة: "النص النوازلي للغرب الإسلامي أداة لتجديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية"، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران-الجزائر، ع ١٧، جوان/ ديسمبر ٢٠١١، ص: ٨٣، واعتبرها المستشرق Jean Sauvagetفي كتابه: مدخل لتاريخ المشرق الإسلامي، الصادر العام ١٩٤٣، من "التآليف التي لا طائلة تُرتجى منها، بل حذر المؤرخين من استعمالها في دراستهم للأوضاع الاجتماعية"، أحمد اليوسفي شعيب: "أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية (نوازل ابن الحاج) القرطبي نموذجا"، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الأول التاريخ وفلسفته، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٩٩٦م، ج١، ص: ٣٨٥، سعد غراب: "كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية... م. س، ص: ٦٦-٦٧. ونظرا لحاجة الباحثين لاقتحام جوانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فرض عليهم الانحياز نحو هذا الصنف الفقهي نظرا لعدم وجود وثائق أخرى، تسهم في نفض الغبار عن جوانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني...، انظر بوداود عبيد: "كتب نوازل وفتاوى الغرب الإسلامي

الوسيط مصدرا للدراسات التاريخية والتشريعات القانونية"، ضمن ندوة التاريخ والقانون، التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة، أعمال مهداة للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل، أيام ٣-٤-٥ نونبر ٢٠٠٩، الجزء الأول، سلسلة الندوات رقم ٢٢، ٢٠٠٩، جامعة مولاي إسماعيل مكناس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، ص ٣١، إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع- الذهيات- الأولياء، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ط ٢، ٢٠٠٤، ص ٥.

12- Ahmad alwancharisi, la pierre de touche des fétwas: choix de consultations juridiques des faqihs du Maghreb, traduites et analysées par Émile Amar T, I, in archives marocaines, V, XII , publication de la mission scientifique du maroc, Ernest Leroux, paris, 1908.

١٣- انظر تنويه الدكتور محمود علي مكي بأعمالهما بمناسبة تقديمه لكتاب الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف: وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس، القاهرة ١٩٨٠، ص ٣- ٤، محمد حجي: نظرات في النوازل الفقهية، م. س، ص ١٦٨، شعيب أحمد اليوسفي، "أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية (نوازل ابن الحاج) القرطبي نموذجا"، م. س، ص ٣٨٣- ٣٨٤- ٣٨٥، ابن ورد الأندلسي: أجوبة ابن ورد، م. س، ص ٤١ من مقدمة التحقيق.

14- Hadi Roger Idris, Le mariage en Occident musulman d'après un choix de fatwas médiévales extraites du Mi'yar d'Al-Wansarisi, Studia Islamica, XXXII (Memorial J. Schacht), 1970, p 158- 159.

١٥- زناتي أنور محمود: "كتب النوازل مصدرا للدراسات التاريخية والقانونية في المغرب والأندلس"، ضمن ندوة التاريخ والقانون، م. س، الجزء الثاني، ص: ٥١٨ .

١٦- عمر بنميرة: النوازل والمجتمع: مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط، القرنان الثامن والتاسع/١٤ و١٥، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط: اطروحات ورسائل ٧٦، ٢٠١٢، محمد مزين: "حصيلة استعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية"، م. س، ص ٧٣ ، نفسه: "التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج: النوازل الفقهية"، م. س، ص ١٠٥، ابن ورد الأندلسي: أجوبة ابن ورد الأندلسي، دراسة وتخريج الدكتور محمد الشريف، الرباط ٢٠٠٨، ص ٤٣،

Maria J. Viguera : En torno a las fuentes juridicas de la al Andalus " ; Actes de colloque : La civilisaion d'al Andalus dans le temps et dans l'Espace , Mohammadia, 1993, pp 71- 78.

17- R. ARIÉ: España musulmana (siglos VIII - XV): Historia de España dirigida por Manuel Tuñón de Lara, III, Barcelona 1989, p.100.

١٨- محمد حجي: نظرات في النوازل الفقهية، م. س، ص ١٦٨- ١٦٩، ابن ورد الأندلسي: أجوبة ابن ورد الأندلسي، م. س، ص ٤٢- ٤٣ من مقدمة التحقيق، الهلالي محمد ياسر: نوازل بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، م. س، ص ١٤٣،

١٩- يعد المرحوم محمد حجي من أوائل المؤرخين الذين اعتمدوا على كتب النوازل في الدراسات التاريخية، وذلك في كتابه: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط ١٩٦٤، ص ١٦٣.

٢٠- محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، كلية الآداب بالرباط، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠ م، ٥٨٨ صفحة.

٢١- سواء تعلق الأمر باستغلالها في رسائلهم الجامعية أو دراستها وتحقيقها تحقيا علميا، بحيث يصعب على الباحث حصر الدراسات الأكاديمية والمقالات التي اتخذت من كتب النوازل مصدرا أساسيا في أبحاثها.

٢٢- تاريخ المغرب بالفرنسية، حيث أكد على أهمية توظيف كتب النوازل في الكتابة التاريخية لإعادة بناء تاريخ المغرب.

٢٣- أحمد التوفيق: المجتمع المغربي في القرن ١٩ (اينولتان ١٨٥٠-١٩١٢)، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة: رسائل وأطروحات رقم ٦٣، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، الطبعة : الثالثة - سنة ٢٠١١م، ٦٧١ صفحة.

٢٤- تافيلالت، الإسهام في تاريخ المغرب بين القرنين ١٧ و ١٨ ، سنة ١٩٧٧، بالفرنسية، وقد صدرت بالعنوان التالي:

Mezzine, Larbi: Le Tafilalt: contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIe et XVIIIe siècles, Université Mohamed V, 1987, Rabat, (387 p.).

٢٥- محمد مزين: فاس وباديتها: مساهمة في تاريخ المغرب السعدي, ١٥٤٩م - ١٦٣٧م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط ١٩٨٦، سلسلة رسائل واطروحات رقم ١٢، جزآن (٦٣٩ صفحة)، كما اتخذ الدكتور محمد مزين من كتاب الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، لأبي فارس عبد العزيز بن الحسن الزياتي (١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م)، موضوعا لأطروحته الجامعية التي ناقشها بجامعة باريس سنة ١٩٨٨، بعنوان "زمن المرابطين والأشراف: محاولة في التاريخ الاجتماعي المغربي من خلال كتب النوازل"، وأصلها بالفرنسية:

Mohamed Mezzine, le temps des marabouts et des chorfas Essai d'histoire sociale - marocaine à travers les écrits de jurisprudence religieuse, paris, 1988. ونشرت ضمن منشورات كلية الآداب فاس ساسي بعنوان:

Fuqaha à l'épreuve de l'Histoire: Sainteté pouvoir et société au Maroc début des temps modernes, Fés, 2003, 677p.

هذا؛ وقد ناقشت الباحثة الأمريكية جاكلين هندريكسن أطروحة جامعية بجامعة إيموري الأمريكية حول موضوع:

Jacelyn Hendrickson, The Islamic Obligation to Emigrate; AL-Wansharisi's Asans al Matajir Reconsidered, Dissertation submitted to the Faculty of the Graduate School of Emort University, 2009.

٢٦- عبد العزيز التمسماني خلوق: "قيمة أدب النوازل الفقهية من المنظور التاريخي"، جريدة العلم، السبت ٤ دسمبر ١٩٩٣، وقد نال دكتوراه السلك الثالث سنة ١٩٧٨ من جامعة بوردو بفرنسا حول تحقيقه جزء من نوازل البرزلي.

٢٧- نذكر على سبيل المثال لا الحصر أعمال: عمر بنميرة، محمد فتحة، إبراهيم القادري بوتشيش، محمد الشريف، أحمد اليوسفي شعيب، محمد البركة...

٢٨- إبراهيم القادري بوتشيش: "حول مخطوط ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية"، مجلة دار النيابة، عدد ٢٧، ١٩٨٩، ص ٢٣- ٢٨.

٢٩- نفسه، ص ٢٦.

٣٠- محمد بنعبود ومصطفى بنسباع: "جوانب من المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نزاول ابن الحاج"، مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد ٦، تطوان، منشورات كلية الآداب، ١٩٩٣، ص ٤٦.

٣١- يصعب على الباحث حصر الدراسات والمقالات التي اتخذت من نوازل ابن الحاج موضوعا لها، ونكتفي بعرض بعضها على سبيل الاستئناس: أحمد اليوسفي شعيب: أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية: نوازل ابن الحاج نموذجا، م، س، محمد بنعبود ومصطفى بنسباع: "جوانب من المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نزاول ابن الحاج"، مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد ٦، تطوان، منشورات كلية الآداب، ١٩٩٣، ص. ٤٥-٦٠، محمد بن عبود ومصطفى بنسباع: "تقييم مصادر التاريخ الاجتماعي للأندلس خلال عصري الطوائف والمرابطين مع تحليل نماذج منها"، مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد الثامن، تطوان، منشورات كلية الآداب بتطوان، ١٩٩٧، ص. ٦٥-٧٧، مصطفى بنسباع: "ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي"، م. س، نفسه: "جوانب مالية في قرطبة القرن الحادي عشر للميلاد من خلال نوازل ابن الحاج"، في مجلة الإسلام الألمانية، كما استفاد من المخطوط من الوجهة التاريخية إبراهيم بوتشيش في كتابه: المرابطون: المجتمع والذهنيات والأولياء، ومقالاته المختلفة وفي أطروحته، ماريا خيسوس فيغيرا: المشاكل المرتبطة بالمياه في الأَنْدَلُس من خلال نوازل ابن الحاج، ندوة الأندلس.. م. س، محمد الأمين بلغيث في أطروحته: الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، الصادرة عن دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر.

32- Evariste Lévi-Provençal, Histoire de L'Espagne Musulmane. Tome 3, p 402.

٣٣- محمد ابن الحاج التجيبي: نوازل ابن الحاج التجيبي، دراسة وتحقيق، الدكتور أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠١٨، ج ٣، نازلة ٧٨١.

٣٤- نازلة ٧٨١.

٣٥- نازلة ٧٨١.

٣٦- امتهنت بعض النسوة مهنة الخاطبة في العصر المدروس، انظر: النازلة ٣٩.

٣٧- عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين...م. س، ص ١٦٧.

٣٨- نازلة ٧٣٨، نازلة ٦٤٧.

٣٩- نازلة ٣٩.

٤٠- نازلة ٣٩.

٤١- نازلة ٣٩.

٤٢- نازلة ٩٤، ص ١٠٨.

٤٣- نازلة ٦٦٧.

٤٤- نازلة ٢١، نازلة ٣٣٢، ص ٣٦٠، ٦٢٣، نازلة ٧٣٨.

٤٥- نازلة ٤١، ص ٥٨، نازلة ٢٧١، ص ٢٩٢.

٤٦- نازلة ٧٨١.

٤٧- نازلة ٤٢٣، ص ٤٥٠.

٤٨- نازلة ٤١٣، ص ٤٤١.

٤٩- بوسيف برحو: "الأسرة والزواج في بلاد المغرب في العصر الوسيط"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مخبر مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا بجامعة ابن خلدون تيارت، المجلد الثاني، العدد الأول يناير ٢٠١٩، ص ٢٢٩.

٥٠- نازلة ٤٢٣، ص ٤٤٩.

٥١- نازلة ٧٣٨، نازلة ٦٤٦.

٥٢- نازلة ٤١، ص ٥٨.

٥٣- نازلة ٢٧١، ص ٢٩٢، نازلة ٤٢٣، ص ٤٤٩.

٥٤- نازلة ٤١٨، ص ٤٤٤- ٤٤٥.

٥٥- انظر: النازلة ٤١٥، ص ٤٤٢، والنازلة ٤١٦.

٥٦- نازلة ٤٣٣، ص ٤٥٥.

٥٧- نازلة ٤٢٧- ٤٢٨- ٤٣٠- ٤٣٥- ٤٣٧...

٥٨- رقية بن خيرة: "الجسد الأنثوي والمجتمع الأندلسي (ق٥-٦هـ/١١-١٢م) قراءة في صوره وتمثلاته"، مجلة عصور الجديدة، المجلد ٥، العدد ١٩، ص ١٨٣.

٥٩- ٥٩ نازلة ٤٢٢، ص ٤٤٩، نازلة ٤٢٧- ٤٢٨- ٤٢٩...، مع العلم أن ابن الحاج يقر صراحة أن "الحرائر لا يكشفن"، نازلة ٤٢٢، ص ٤٤٨.

٦٠- نازلة ٤٣٥، ص ٤٥٥.

٦١- نازلة ٤٣٥، ص ٤٥٥.

٦٢- انظر الصفحة ٤٥٢.

٦٣- انظر النازلتين ٤٢٧- ٤٢٨.

٦٤- نازلة ٤٢٧، ص ٤٥٢.

٦٥- نازلة ٤٢٧، ص ٤٥٢.

٦٦- نازلة ٤٢٧، ص ٤٥٢.

٦٧- نازلة ٤٢٨، ص ٤٥٢.

٦٨- انظر النازلتين ٤٢٧- ٤٢٨.

٦٩- نازلة ٤٣٧، ص ٤٥٦.

٧٠- إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين...م. س، ص ٢٤.

٧١- رقية بن خيرة: الجسد الأنثوي والمجتمع الأندلسي ... م. س، ص ١٨٣.

٧٢- نازلة ١٥٧، ص ١٦٨.

٧٣- إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين...م. س، ص ٢٥.

٧٤- نازلة ٤١٢.

٧٥- نازلة ٥٥٤، ص ٥٢٥.

٧٦- نازلة ٤٠، ص ٥٧.

٧٧- نازلة ٧٣٨، نازلة ٦٤٦.

٧٨- نازلة ٥٥٤، ص ٥٢٥.

٧٩- أُطْلِقَ عليه في العصر المدروس أسم: الشورة، جمعه: الشِّوَارُ وهو الزينة والجهاز الذي تجهز به الفتاة عند الزواج، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت. ج٤، ص ٤٣٥. وقال اللخمي، ويقولون لمتاع البيت شوار بكسر الشين، والصواب شوار بفتحها، ابن هشام اللخمي: المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، دراسة وتحقيق مأمون محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٩٩٥، ج٢، ص ٢٠٢.

٨٠- نازلة ٤١٢، ص ٤٤٠- ٤٤١.

٨١- نازلة ٤٦٠، ص ٤٧٠.

٨٢- نازلة ٣٦٠، ص ٤٠٩.

٨٣- نازلة ٣٧١، ص ٣٧٢- ٣٧٣.

٨٤- الغِفَارَة: خِرقة تلبَسها المرأَةُ فتغطِّي رأْسَها ما قَبَلَ منه وما دَبَرَ، غيرَ وسَطِه، قاموس المعجم الوسيط.

٨٥- نازلة ٧٣، ص ٩٠.

٨٦- نازلة ٣٥٩، ص ٤٠٦.

٨٧- نفسها.

٨٨- نازلة ٧٣، ص ٩٠.

٨٩- نفس الصفحة.

٩٠- نفس الصفحة.

٩١- نازلة ٣٣٦، ص ٣٧٢- ٣٧٣.

٩٢- نازلة ٧٣، ص ٨٧.

٩٣- نازلة ٧٣، ص ٨٧.

٩٤- رقية بن خيرة: "الجسد الأنثوي والمجتمع الأندلسي"... م. س، ص ١٧٧.

٩٥- نازلة ٣، نازلة ٤٤٥.

٩٦- نازلة ٤٤٥، ص ٤٦١- ٤٦٢، نازلة ٥٠٥، ص ٤٩٢.

٩٧- نازلة ٧٠٦.

٩٨- نازلة ٤٤٥.

٩٩- نازلة ٤٣٢، ص ٤٥٤.، والخُرْص: الحلقة من الذهب أو الفضة، والسخاب: الخرز الذي تتخذه النساء للزينة، جمعه سُخُب، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم): غريب الحديث، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، ط١، بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج ٢، ص ١٥٢.

١٠٠- نازلة ٤٤٧.

١٠١- رقية بن خيرة: الآفات الاجتماعية في الأندلس...م. س، ٢٠١٧، ص ١٥٥.

١٠٢- جميلة ابن الساسي: الحياة الاجتماعية في تونس من خلال فتاوي البرزلي، رسالة ماجستير، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، ٢٠٠٠، ص ٧٨.

١٠٣- نازلة ٤٣٨، ص ٤٥٧، نازلة ٥٤٥، ص ٥١٩.

١٠٤- النازلة ٩، ص ٣٠.

١٠٥- نازلة ٩، نازلة ٧٤.

١٠٦- نازلة ٢٩، ص ٤٥.

١٠٧- نازلة ٧٣٤، ص ٦٣٦.

١٠٨- نازلة ٧٣٤.

١٠٩- نازلة ٤٧٠، ص ٤٧٥.

١١٠- نازلة ١.

١١١- نازلة ٤٥٧، ص ٤٦٩.

١١٢- نازلة ٤٤٣، ص ٤٦١.

١١٣- نازلة ٤٢٢، ص ٤٤٩.

١١٤- إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين...م. س، ص ٤١.

١١٥- النازلتين ٣٨- ٣٩، ص ٥٣- ٥٥.

١١٦- نازلة ٤١٤.

١١٧- نازلة ٤١٤، ص ٤٤٢.

١١٨- نازلة ٢٠٩، ص ٢٣٦.

١١٩- نازلة ٤١.

١٢٠- نازلة ٨٠.

١٢١- نازلة ٤١٧، ص ٤٤٣.

١٢٢- نازلة ٣٩.

١٢٣- نازلة ٢٩، ص ٤٥.

١٢٤- نازلة ٢٨، ص ٤٤، نازلة ١٨٥، نازلة ٣٦٠، ص ٤٠٩، نازلة ٧٣٩، ص ٦٤٧.

١٢٥- نازلة ٩٨.

١٢٦- نازلة ٩٨.

١٢٧- نازلة ٢٨، نازلة ١٠٦، نازلة ٥١، نازلة ٢٦٥، نازلة ٣٢٩، نازلة ٧٢٣، نازلة ٧٢٥، نازلة ٧٨٣، ص ٦٨٧- ٦٨٨.

١٢٨- نازلة ٦٨٩، نازلة ٦٩٦.

١٢٩- نازلة ٩٦.

١٣٠- نازلة ٦٧٤، نازلة ٦٨٣.

١٣١- نازلة ١٨٤، ص ٢٠٣.

١٣٢- نازلة ١٧٤.

١٣٣- نازلة ١٨٥، ص ٢١٣.

١٣٤- نازلة ٣٣٧.

١٣٥- نازلة ١٠٦.

١٣٦- نازلة ٤٠٧.

١٣٧- نازلة ٥٩٨، ص ٥٥٠.

١٣٨- نازلة ٦٦٧.

١٣٩- نازلة ١٥٠.

١٤٠- نازلة ٧٨٣، ص ٦٨٧- ٦٨٨.

١٤١- إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين...م. س، ص ٤٣، محمد بنشريفة: "المرأة في كتب التراجم الأندلسية"، مجلة المناهل، ع ٤٤، يونيو ١٩٩٤، ص ٨٩، محمد زنيبر: "المرأة في المجتمع الأندلسي"، مجلة المناهل، ع ٤٤، يونيو ١٩٩٤، ١٠٦ وما بعدها، عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، ط ١، ١٩٩١، ص ١٦٣.

١٤٢- رقية بن خيرة: الآفات الاجتماعية في الأندلس...م. س، ص ١٣٢.

143- Pérès Henri, La poésie andalouse en arabe classique au XIe siècle, paris 1953, p 398.

١٤٤- ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عنى بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٨.ج ٢، ص ١٢٩.

١٤٥- أبو الحسن علي المعافري المالقي: الحدائق الغناء في أخبار النساء: تراجم شهيرات النساء في صدر الإسلام، تحقيق وتقديم عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب طرابلس تونس، ١٩٧٣، ٢١١ ص.

١٤٦- نازلة ٤٢، ص ٥٩، نازلة ١٤١، ص ١٥٧، نازلة ٣٥٩، ص ٤٠٦...

١٤٧- انظر: حالات من هذا القبيل في الصفحات: ١٣- ٢١- ٢٦- ٢٨- ٣٠- ٣١- ٣٢- ٤١- ٤٣...

١٤٨- نازلة ٤٣٣، ص ٤٥٥، والإقالة في الاصطلاح الفقهي هي رفع العقد وقطعُهُ وإلغاء حكمه وآثاره بالتراضي بين طرفين، ابن قدامة المقدسي: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، دار الفكر، ط١، بيروت ١٤٠٥هـ، ج٨، ص ١٧٥

١٤٩- نازلة رقم ١، ص ٢١، نازلة ٣٣٢، ص ٣٦٠، نازلة ٦٢٣، ض ٥٦٩، نازلة ٧٣٨.

١٥٠- نازلة ١، ص ٢١، نازلة ٥٨، ص ٤١، نازلة ٢٧١، ص ٢٩٢...، وعن علامات البلوغ عند الفتاة والولد حسب ابن الحاج، راجع النازلة ١٥٨، ص ١٦٨ وما بعدها.

١٥١- نازلة رقم ١، ص ٢١، نازلة ٧٣٨، ص ٦٤٧، نازلة ٧٧٧، ص ٦٧٧.

١٥٢- نازلة ٣٣٢، ص ٣٦٠.

١٥٣- نازلة ٧٤٣.

١٥٤- نازلة ٧٣٨.

١٥٥- نازلة ٧٧٧.

١٥٦- نازلة ٢٧١، ص ٢٩٢.

١٥٧- نازلة ٢٤.

١٥٨- مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين، ٤٤٨ هـ- ٥٤١هـ: دراسة تاريخية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١، ص ١٠١.

١٥٩- عمر إبراهيم توفيق: صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة (سياسيا واجتماعيا وثقافيا)، دار غيداء للنشر والتوزيع الأردن، ٢٠١١، ص ١٥٠، رقية بن خيرة: الآفات الاجتماعية في الأندلس...، م. س، ص ١٤٣.

١٦٠- نازلة ٤٥٤، ص ٤٦٧.

١٦١- نازلة ٧٣٨، ص ٦٤٧.

١٦٢- نازلة ٣٣٢، ص ٣٦٠.

١٦٣- نازلة ١.

١٦٤- نازلة ٤٣٠، ص ٤٥٣.

١٦٥- نازلة ٧٧٧.

١٦٦- نازلة ٤٣٠، ص ٤٥٣.

١٦٧- نازلة ٧٤٣.

١٦٨- نازلة ٣٢، ص ٤٨.

١٦٩- نازلة ٤٥٩.

١٧٠- نازلة ٥٢٦.

١٧١- حيث منع رجل امرأته من زيارة أهلها، انظر النازلة ٤٤٧، ص ٤٦٢- ٤٦٣، كما أو زوجا آخر منع زوجته من زيارة أطفالها من زوجها الأول، نازلة ٤٨.

١٧٢- نازلة ٩٨، ص ١١٦.

١٧٣- نازلة ١٨٢، ص ٢٠١.

١٧٤- نازلة ٧٣٤.

١٧٥- نازلة ٢٥، نازلة ٩٨.

١٧٦- نازلة ٣٢٩، ص ٢٥٦.

١٧٧- بن خيرة رقية: الآفات الاجتماعية في الأندلس...م. س، ص ١٧١.

١٧٨- نازلة ٢٤٨، ص ٢٧٣.

١٧٩- نازلة ٦٨٦.

١٨٠- نازلة ١.

١٨١- نازلة ٤٥٦.

١٨٢- نازلة ٦.

١٨٣- نازلة ٦٢٣، ص ٥٦٩.

١٨٤- نازلة ٣٧٩، ص ٣٨٠، وانظر حالة أخرى في النازلة ٣٣٩، ص ٣٧٩ وما بعدها.

١٨٥- بن خيرة رقية: الآفات الاجتماعية في الأندلس...م. س، ص ١٦١.

١٨٦- نازلة ٢٤٨، ص ٢٧٣.

١٨٧- نازلة ١٣٨، ص ١٥٤.

١٨٨- نازلة ١٤١، ص ١٥٧.

١٨٩- نازلة ١٩١، ص ٢١٨، نازلة ٢٩١، ص ٣١٦، نازلة ٤٤١، ص ٤٥٩، نازلة ٤٤٢، ص ٤٥٩...

١٩٠- نازلة ٤٨٥، ص ٤٨٢، نازلة ٤٨٦، ص ٤٨٢، نازلة ٧٤٤، ص ٦٥١...

١٩١- نازلة ٤٣٧، ص ٤٥٦، نازلة ٦٢٩، ص ٥٧٢، نازلة ٤٨٢، ص ٤٧٩، نازلة ٤٨٥، ص ٤٨٢...

١٩٢- نازلة ٤٣٧، ص ٤٥٦.

١٩٣- نازلة ٦٤٦.

١٩٤- نازلة ٥٩٨، ص ٥٥٠.

١٩٥- نازلة ٢٢٠، ص ٢٤٣.

١٩٦- نفس النازلة.

١٩٧- نازلة ٢٦٣، ص٢٨٣ و"الخادمة السوداء"، نازلة ٣٠٢، ص ٣٢٦.

١٩٨- نازلة ٦١٠

١٩٩- نازلة ٦٠٩

٢٠٠- نازلة ٨٩، ص ١٠٥، نازلة ١٨١ص ٢٠٠، نازلة ٥١٤، نازلة ٥١٥، نازلة ٥١٦، نازلة ٥٢٦، نازلة ٥٠٦، نازلة ٥٠٧...

٢٠١- نازلة ٣٣٠.

٢٠٢- نازلة ١٩٥، نازلة ٢٩٧، نازلة ٦٠٣، نازلة ٦٢٠.

٢٠٣- نازلة ١٧٣، ص ١٨٥، نازلة ٣٢٠، ص ٣٥٠.

٢٠٤- نازلة (١٣٤.أ)، ص ١٤٨.

٢٠٥- نازلة ٧٤، ص ٩٣.

٢٠٦- نازلة ٤٧.

٢٠٧- نازلة ٤٦٥.

٢٠٨- بن خيرة رقية: الآفات الاجتماعية في الأندلس...م. س، ص ١٤٨.

٢٠٩- نازلة ٤٤٣، ٤٦١.

٢١٠- نازلة ٤٤٣، ٤٦١.

٢١١- نازلة ٤٤٧، ص ٤٦٣.

٢١٢- نازلة ٧٨٣، ص ٦٨٨.

٢١٣- إبراهيم القادري بوتشيش: "الحب في العلاقات الزوجية بالعائلة المغربية خلال العصر الوسيط: مساهمة في دراسة المشاعر الإنسانية (ق٥-٦هـ/١١- ١٢م)، مجلة عصور الجديدة، العدد ٥، ربيع ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٢٨.

٢١٤- نازلة ٥٠٥، ص ٤٩٢- ٤٩٣.

٢١٥- نازلة ٤٣٨، ص ٤٥٧.

٢١٦- نازلة (١٣٤.أ)، ص ١٤٨.

٢١٧- عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين، م. س، ص ١٦٣.

٢١٨- نازلة ٤١٢، ص

٢١٩- نازلة ١٣٨، ص ١٥٣.

٢٢٠- نفسها.

٢٢١- نازلة ١٣٨، ص ١٥٤.

٢٢٢- نازلة ١٣.

٢٢٣- حيث منع رجل امرأته من زيارة أهلها، انظر: النازلة ٤٤٧، ص ٤٦٢- ٤٦٣، كما أن زوجا آخر منع زوجته من زيارة أطفالها من زوجها الأول، نازلة ٢٣، ص ٤٨.

٢٢٤- نازلة ٢٤٨، ص ٢٧٣.

٢٢٥- أبو يحيى أحمد بن يحيى الزجالي (ت.٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م): أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس – فاس، ١٩٧٥ م، القسم الثاني، ص ٢٤٣.

٢٢٦- نفسه، المثل ١٢٥٤، ص ٢٩١.

٢٢٧- تزخر نوازل ابن الحاج- كغيرها من نوازل العصر المدروس- بالعديد من المسائل المتعلقة بالطلاق، انظر: على سبيل المثال لا الحصر النوازل التالية، رقم: ٤- ٧- ٨- ٩- ١٠- ١١- ١٢-١٣- ٢٦- ٥٩- ٨٨- ١٠٠- ٤٥١- ٤٥٢- ٤٨١...

٢٢٨- نازلة ١٣.

٢٢٩- نازلة ٢٦.

٢٣٠- نازلة ٤٢، ص ٥٩.

٢٣١- نازلة ٤٢٢، ٤٤٨، ٤٤٩.

٢٣٢- نازلة ٤٢٢، ص ٤٤٨، نازلة ٤٢٣، ص ٤٤٩.

٢٣٣- نازلة ٤٢٢، ص ٤٤٨، نازلة ٤٢٣، ص ٤٤٩- ٤٥٠.

٢٣٤- نازلة ٤٢٢، ص ٤٤٨.

٢٣٥- نازلة ٤٨١.

٢٣٦- نازلة ٤٨١.

٢٣٧- نازلة ٤٨١.

٢٣٨- نازلة ٤٤٣، ص ٤٦١.

٢٣٩- نازلة ٨٨.

٢٤٠- نازلة ٤٣٣، ص ٤٥٥.

٢٤١- نازلة ٤٢٢، ص ٤٥٩.

٢٤٢- نازلة ١٠، ص ٣١، نازلة ٤٦١، ص ٤٧١، نازلة ٤٦٣، ص ٤٧١.

٢٤٣- نازلة ٤٦٣، ص ٤٧١.

٢٤٤- نازلة ٢٧.

٢٤٥- نازلة ٤٦١، ص ٤٧١.

٢٤٦- نازلة ٤٥٢.

٢٤٧- نازلة ٣٥٩، ص ٤٠٦.

٢٤٨- نازلة ٣٥٩، ص ٤٠٨.

٢٤٩- نازلة ٣٥٩، ص ٤٠٨- ٤٠٩.

٢٥٠- نازلة ٣٥٩، ص ٤٠٦- ٤٠٧، وللمزيد من التفاصيل انظر: النازلة ٧٣، ص ٨٦ وما بعدها، والنازلة (١٣٤.أ)، ص ١٤٨.

٢٥١- نازلة ١٩١، ص ٢١٨.

٢٥٢- نازلة ٢٩١، ص ٣١٦.

٢٥٣- نازلة ٣٠٧، ص ٣٣٩، نازلة ٣٠٨، ص ٣٤٠.

٢٥٤- نازلة ٤٢٥، ص ٤٥١، (نازلة ٤٢٩. ب)، ص ٤٥٣.

٢٥٥- نازلة ٤٢٢، ص ٤٤٨- ٤٤٩، نازلة ٤٤٨، ٤٤٩.

٢٥٦- نازلة ٤٢٦، ص ٤٥١.

٢٥٧- ابن جزي محمد بن أحمد الغرناطي: "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنابلة"، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، (د.ت)، ص ٣٥٤.

٢٥٨- نازلة ٤٢٢، نازلة ٤٢٣.

٢٥٩- وهو شيء يبرز في فرج المرأة يشبه قرن الشاة.

٢٦٠- نازلة ٤٢٢، ص ٤٤٨.

٢٦١- أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي الأزهري المالكي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ضبط وتصحيح الشيخ عبد الوارث محمد علي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط، بيروت ١٩٩٧، ص ٢١١.

٢٦٢- نازلة ٤٢٢، ص ٤٤٨، نازلة (٥١٢.ب)، ص ٤٩٧.

٢٦٣- نازلة ٤٢٦، ص ٤٥١.

٢٦٤- نازلة ٤٢٩، ص ٤٥٣.

٢٦٥- نازلة ٤٢٩، ص ٤٥٢.

٢٦٦- نازلة ٤٢٥، ص ٤٥١، وراجع أيضا النازلة (٥١٢.ب)، ص ٤٩٧.

٢٦٧- نازلة ٥٤٩، ص ٥٢١.

٢٦٨- انظر: نماذج من ذلك في النوازل التالية: النازلة ٩١، ص ١٠٦، النازلة ١٩٥، ص ٢٢٠، ، نازلة ٢٩٧، ص ٣٢٢...

٢٦٩- نازلة ٩١.

٢٧٠- نازلة ٤٢٨، ص ٤٥٢.

٢٧١- نازلة ٥٩٥، ص ٥٤٨.

٢٧٢- نازلة ٥٩٥، ص ٥٤٨.

٢٧٣- نازلة ٤٢٤، ص ٤٥٠. كما أن الفقيه ابن رشد الذي عاصر ابن الحاج قد اعتبر زواج المتعة من أشكال الزنا، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت. ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م): مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة بيروت- المغرب، ط٢، ١٩٩٣، ج٢، ص ١١١٧.

٢٧٤- نازلة ٤١٩، ص ٤٤٥.

٢٧٥- نازلة ٤٢٠، ص ٤٤٧.

٢٧٦- انظر: النازلة ٢٩٧، ص ٣٢٢، النازلة ٣٣٠، ص ٣٥٨.

٢٧٧- رقية بن خيرة: الآفات الاجتماعية في الأندلس...م. س، ص ١٥٦.

٢٧٨- أبو يحيى أحمد بن يحيى الزجالي (ت.٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م): أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس – فاس، ١٩٧٥ م، القسم الثاني، المثل رقم ٧٩١، ص ١٧٩.

٢٧٩- نازلة ٤٦٧، ص ٤٧٣.

٢٨٠- نازلة ٢٤٠، ص ٢٦٤.

٢٨١- نازلة ٢، ص ٢١.

٢٨٢- نازلة (١٣٤. أ)، ص ١٤٨، نازلة ١٧٤، ص ١٨٥.

٢٨٣- نازلة ١٣٨، ص ١٥٤.

٢٨٤- نازلة ٤٤٦.

٢٨٥- نازلة ٤٤٦.

٢٨٦- نازلة ٤٤٦، ص ٤٦٢.

٢٨٧- نازلة ٨٨، ص ١٠٥.

المصـــادر والمراجع

أولا: المصادر:

١. ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عنى بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٨.ج ٢.

٢. ابن جزي محمد بن أحمد الغرناطي: "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنابلة"، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، (د.ت).

٣. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم): غريب الحديث، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، ط.١، بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج ٢.

٤. ابن قدامة المقدسي: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، دار الفكر، ط١، بيروت ١٤٠٥هـ، ج٨.

٥. ابن هشام اللخمي: المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، دراسة وتحقيق مأمون محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٩٩٥، ج٢.

٦. ابن ورد الأندلسي: أجوبة ابن ورد الأندلسي، دراسة وتخريج الدكتور محمد الشريف، الرباط ٢٠٠٨.

٧. أبو الحسن علي المعافري المالقي: الحدائق الغناء في أخبار النساء: تراجم شهيرات النساء في صدر الإسلام، تحقيق وتقديم عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب طرابلس تونس، ١٩٧٣.

٨. أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت. ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م): مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة بيروت- المغرب، ط٢، ١٩٩٣، ج٢.

٩. أبو يحيى أحمد بن يحيى الزجالي (ت.٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م): أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس – فاس، ١٩٧٥ م، القسم الثاني.

١٠. أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي الأزهري المالكي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ضبط وتصحيح الشيخ عبد الوارث محمد علي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط، بيروت ١٩٩٧.

١١. محمد ابن الحاج التجيبي: نوازل ابن الحاج التجيبي، دراسة وتحقيق، الدكتور أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠١٨، ٣ أجزاء.

ثانيا المراجع:

١. إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع- الذهيات- الأولياء، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ط ٢، ٢٠٠٤.

٢. أحمد التوفيق: المجتمع المغربي في القرن ١٩ (اينولتان ١٨٥٠-١٩١٢)، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة: رسائل

وأطروحات رقم ٦٣، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، الطبعة : الثالثة - سنة ٢٠١١م.

٣. عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، ط ١، ١٩٩١.

٤. عمر إبراهيم توفيق: صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة (سياسيا واجتماعيا وثقافيا)، دار غيداء للنشر والتوزيع الأردن، ٢٠١١.

٥. عمر أفا: نوازل الكرسيفي مصدرًا للكتابة التاريخية، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٩٥م.

٦. عمر بنميرة: النوازل والمجتمع: مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط، القرنان الثامن والتاسع/١٤ و١٥، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط: اطروحات ورسائل ٧٦، ٢٠١٢.

١٢. محمد الأمين بلغيث: الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، الصادرة عن دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر.

١٣. محمد الحبيب الهيلة: "مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن ٥هـ/١١م إلى نهاية القرن ٩هـ/١٥م"، مجلة دراسات أندلسية، عدد ٩، ١٩٩٣.

١٤. محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م، الجزء الأول.

١٥. محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، كلية الآداب بالرباط، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠ م.

١٦. محمد بن حسن شرحبيلي: تطور المذهب المالكي في الغرب الاسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، منشورات وزارة الوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، ٢٠٠٠.

٧. محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط ١٩٦٤.

٨. محمد حجي: نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للبحث للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء ١٩٩٩.

٩. محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الدار البيضاء ١٩٩٩.

١٠. محمد مزين: فاس وباديتها: مساهمة في تاريخ المغرب السعدي, ١٥٤٩م - ١٦٣٧م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط ١٩٨٦، سلسلة رسائل واطروحات رقم ١٢، جزآن.

١١. مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين، ٤٤٨ هـ- ٥٤١هـ: دراسة تاريخية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١.

ثالثا: المقالات:

١٧. إبراهيم القادري بوتشيش: "الحب في العلاقات الزوجية بالعائلة المغربية خلال العصر الوسيط: مساهمة في دراسة المشاعر الإنسانية (ق٥-٦هـ/١١- ١٢م)، مجلة عصور الجديدة، العدد ٥، ربيع ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٨. إبراهيم القادري بوتشيش: "النوازل الفقهية في الأطروحات الجامعية: التوجهات، الإضافات المعرفية والإشكالات المنهجية"، مجلة عصور الجديدة، ع ١٦-١٧، أبريل ٢٠١٤- ٢٠١٥.

١٩. إبراهيم القادري بوتشيش: "النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (ق ٥ ٦ هـ/ ١٢ ١٣ م)"، مجلة التاريخ العربي، عدد ٢٢، ربيع ٢٠٠٣ م.

٢٠. إبراهيم القادري بوتشيش: "حول مخطوط ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية"، مجلة دار النيابة، عدد ٢٧، ١٩٨٩.

٢١. إبراهيم القادري بوتشيش: "ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص

ووثائق جديدة"، ضمن أعمال نـدوة: حضارة الأندلس في الزمان والمكان، منشورات جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، ١٩٩٣.

٢٢. أحمد اليوسفي شعيب: "أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية (نوازل ابن الحاج) القرطبي نموذجا"، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الأول التاريخ وفلسفته، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٩٩٦م، ج١.

٢٣. بلهواري فاطمة: "النص النوازلي للغرب الإسلامي أداة لتجديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية"، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران-الجزائر، ع ١٧، جوان/ ديسمبر ٢٠١١.

٢٤. بنحمادة سعيد، "الفلاحون والفلاحة في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية"، كان التاريخية، السنة السادسة، العدد الثاني والعشرون/ ديسمبر (كانون الأول) ١٤٣٥ه-٢٠١٣م.

٢٥. بنميرة عمر: "جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية"، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الأول التاريخ وفلسفته، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٩٩٦م، ج١.

٢٦. بـوداود عبيد: "كتب نـوازل وفتـاوى الغرب الإسلامي الوسيط مصدرا للدراسات التاريخية والتشريعات القانونية"، ضمن نـدوة التاريخ والقانون، التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة، أعمال مهداة للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل، أيـام ٣-٤-٥ نونبر ٢٠٠٩، الجزء الأول، سلسلة الندوات رقم ٢٢، جامعة مولاي إسماعيل مكناس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، ٢٠٠٩.

٢٧. بوسيف برحو: "الأسرة والزواج في بلاد المغرب في العصر الوسيط"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثـريـة، مخبر مخبر الـدراسـات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا بجامعة ابن خلدون تيارت، المجلد الثاني، العدد الأول يناير ٢٠١٩.

٢٨. رقية بن خيرة: "الجسد الأنثوي والمجتمع الأندلسي (ق٥-٦هـ/١١-١٢م) قراءة في صوره وتمثلاته"، مجلة عصور الجديدة، المجلد ٥، العدد ١٩، ٢٠١٥.

٢٩. سعد غراب: "كتب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية، مثال نوازل البرزلي"، حوليات الجامعة التونسية، ع١٦، ١٩٧٨.

٣٠. عبد الرحمن كريب: "النص النوازلي بين حاجة المـؤرخ وصعوبة التعاطي المنهجي معه"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثاني- شتاء ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٣١. عبد العزيز التمسماني خلوق: "قيمة أدب النوازل الفقهية من المنظور التاريخي"، جريدة العلم، السبت ٤ دسمبر ١٩٩٣.

٣٢. عبد العزيز خلوف: "قيمة فقه النوازل التاريخية"، مجلة البحث العلمي، ع٢٩- ٣٠، ١٩٧٩.

٣٣. عمر بن حمادي: "النوازل بين طرافة القضايا ومشاكل النسخ وصعوبات التحقيق"، مجلة دراسات أندلسية، ع ٤٤، تونس ٢٠١٠.

٣٤. مبارك جـزاء الحربي: "جهود فقهاء المالكية المغاربة في تدوين النوازل الفقهية"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الرابع والستون - السنة الحادية والعشرون - مارس ٢٠٠٦.

٣٥. محمد بن عبود ومصطفى بنسباع: "تقييم مصادر التاريخ الاجتماعي للأندلس خـلال عصري الطوائف والمرابطين مع تحليل نماذج منها"، مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد الثامن، تطوان، منشورات كلية الآداب بتطوان، ١٩٩٧، ص.

٣٦. محمد بنشريفة: "المرأة في كتب التراجم الأندلسية"، مجلة المناهل، ع ٤٤، يونيو ١٩٩٤.
محمد زنيبر: "المرأة في المجتمع الأندلسي"، مجلة المناهل، ع ٤٤، يونيو ١٩٩٤.

٣٧. محمد بنشريفة: "أوائل الإفتاء والمفتين بالمغرب" ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ٤٦، المحمدية، ١٩٩٥.

٣٨. محمد بنشريفة: "نوازل غرناطية لابن عاصم"، ضمن كتاب: التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٣.

٣٩. محمد بنشريفة: "وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض"، مجلة دعوة الحق، عدد ٢٦٤، أبريل مايو ١٩٨٧.

٤٠. محمد بنعبود ومصطفى بنسباع: "جوانب من المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نزاول ابن الحاج"، مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد ٦، تطوان، منشورات كلية الآداب، ١٩٩٣.

٤١. محمد بنعبود ومصطفى بنسباع: "جوانب من المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نزاول ابن الحاج"، مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد ٦، تطوان، منشورات كلية الآداب، ١٩٩٣.

٤٢. محمد حسن: "الريف المغربي في كتب النوازل"، الكراسات التونسية، عدد (١٣١- ١٣٢)، ١٩٨٥.

٤٣. محمد مزين: "التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج: النوازل الفقهية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، عدد خاص ٢ سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، دراسات في تاريخ المغرب، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء.

٤٤. محمد مزين: "حصيلة استعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية"، ضمن ندوة البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤، جامعة محمد الخامس ١٩٨٩، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء.

٤٥. محمد ياسر الهلالي: نوازل بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، تقديم وترتيب ببليكرونولوجي، ضمن: فقه النوازل في المذهب المالكي قضايا وأعلام، مجلة دعوة الحق، ع ٣٩٦، جمادى الثانية ١٤٣١هـ/ يونيو ٢٠١٠م.

٤٦. مصطفى بنسباع: "ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي"، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الخامس: العلوم الشرعية، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٥.

٤٧. نسيم حسبلاوي: "التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي: من البداية إلى عصر الونشريسي"، مجلة الحكمة، عدد ١٢، ٢٠١٢.

رابعا: الرسائل الجامعية:

١. جميلة ابن الساسي: الحياة الاجتماعية في تونس من خلال فتاوي البرزلي، رسالة ماجستير، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، ٢٠٠٠.

٢. رقية بن خيرة: الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين (ق ١١- ١٢م): دراسة في ظاهرة الانحراف، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ٢٠١٧.

٣. عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دراسة اجتماعية واقتصادية (٤٨٠هـ- ٥٤٠هـ/ ١٠٥٦م- ١١٤٥م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، ٢٠٠٨- ٢٠٠٩.

خامسا: المراجع الأجنبية:

1. M. Mazin ; Fuqaha à l'épreuve de l'Histoire: Sainteté pouvoir et société au Maroc début des temps modernes, Fés, 2003.
2. Hadi Roger Idris, La Berbérie Orientale sous les Zirides des, Xe-XIIe Siècles, Paris; 1962.
3. Hady Roger Idris, Contribution à l'étude de la vie économique en Occident musulman médiéval, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 1973.
4. Jacelyn Hendrickson, The Islamic Obligation to Emigrate; AL-Wansharisi's Asans al Matajir Reconsidered, Dissertation submitted to the Faculty of the Graduate School of Emort University, 2009.
5. María Arcas Campoy, "Algunas consideraciones sobre los tratados de jurisprudencia mālikí de al-Andalus" ; Miscelánea de estudios árabes y hebraicos. Sección Árabe-Islam. Vol. 37 ,1988.
6. María Jesús Viguera, "La censura de costumbres en el Tanbih al-Hukkam de Ibn al-Manasif (1168- 1223)", Actas de las II Jornadas de Cultura Arabe e Islámica, 1985.
7. Mohamed Mezzine, le temps des marabouts et des chorfas Essai d'histoire sociale - marocaine à travers les écrits de jurisprudence religieuse, paris, 1988.
8. Muhamed. Talbi, Les courtiers en vêtements en Ifriqiya au IXe-Xe Siècle, d'après les Masā'il al-samāsira d'al-Ibyānī, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 5, No. 2 (Jul., 1962).
9. Pérès Henri, La poésie andalouse en arabe classique au XIe siècle, paris 1953.
10. Pierre, Guichard; Littérature jurisprudentielle et histoire de l'Espagne musulmane: la lente intégration des fatwâ/s malikites à l'historiographie d'al-Andalus, in Compte rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Année 1999, 143-n2.
11. R. Brunschvig, Études d'islamologie, paris 1976.
12. Thami AZEMMOURI, les Nawazil d'Ibn Sahl, Section relative à l'Ihtisab, 1 partie : Introduction texte arabe et bibliographie, HESPERIS TAMUDA, UNIVERSITE MOHAMMED V, FACULTE DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES, VOL XIV_ Fascicule unique, EDITIONS TECHNIQUES NORD AFRICAINES 1973.

تشكيل الأسلوب في البلاغة العربية
حضور المتلقِّي

أ. د. وليد إبراهيم القصّاب
السعودية

بدأ النقد الانطباعي يتراجع منذ أوائل القرن الماضي أمام مدرسة نقدية جديدة قامت على الاهتمام بالعمل الأدبي نفسه، وتركيز اهتمامها حول هذا العمل وحده، بدلا من استفراغ الجهد في دراسة شخصية صاحبه، والملابسات التاريخية أو الاجتماعية أو النفسية التي تحيط به.

وتنظر هذه المدرسة الجديدة إلى العمل الأدبي على أنه جسد لغوي، قوامه الأساسي هو اللغة، ومن هذا المنظور تهتم بالأثر الأدبي وحده، وتحاول الكشف عن أسراره اللغوية، وطاقاته الأسلوبية، وتحاول تحليل ذلك كله تحليلًا موضوعيا عميقا.

وقد حدث ذلك كله بسبب التطور الهائل الذي بلغته الدراسات اللغوية في القرن الماضي عندما كان المنهج التاريخي يبسط ظله على الدراسات الإنسانية كلها، وما لبث سلطان اللغويين، وما بلغوه من شأو بعيد في دراساتهم وأبحاثهم أن امتد إلى الدرس الأدبي ليترك عليه بصماته الواضحة المتميزة. وسيطرت اللسانيات الحديثة - التي عدّ العالم السويسري فردينان دو سوسير رائدها- على ساحة الدراسات الأدبية والنقدية، فغلب على النقد الأدبيّ الحداثيّ وما بعد الحداثيّ الاهتمام باللغة، وغلت بعض المناهج في هذا الاهتمام، حتى لم تعد تهتمّ من العمل الأدبيّ بشيء غير لغته.

وقدّمت اللسانيات مجموعة من المناهج النقدية التي عنيت بالوقوف عند "داخلية" العمل الأدبيّ، وهي مناهج كثيرة، مختلط بعضها ببعض اختلاطا يجعل التمييز بينها أحيانا صعبا غير ميسور. ومن هذه المناهج اللغوية: الأسلوبية، والشكلية الروسية، والشكلية التشيكية، والبنيوية، والسيميائية، وغيرها.

وقُدمت الأسلوبية، أو علم الأسلوب، على أنها خلف للبلاغة القديمة، أو أنها البديل والوريث الوحيد لها، وقيل إنّ "البلاغة هي سلف الأسلوبية"[1]

وتحمّس قوم منا لهذا الجديد، فاندفعوا في قول غير متوازن؛ فرموا البلاغة العربية بالعقم، وقالوا إننا" ما زلنا ندرّس طلابنا في المدارس والجامعات البلاغة بعلومها الثلاثة، ولا نعي أنّ ما ندرّسه لهم[2] لم يعد يصلح لشيء؛ فلا هو أداة نقدية صالحة للتوظيف، ولا هو أساس لمعرفة

ذوقية أو تبصّر جماليّ".

إنّ علم الأسلوب هو علم لغوي غربيّ، نشأ من اللسانيات الحديثة، وهو محاولة للقاء بين علم اللغة والنقد الأدبي؛ إذ يقدم اللغويون هذا العلم للناقد الأدبي كي يستعين به على دراسة المادة اللغوية في العمل الأدبي مصنفة تصنيفا علميا دقيقا، يساعد – فيما يقال- على فهم العمل الذي بين يديه فهما أقرب إلى الموضوعية؛ إذ يركّز على طبيعة الأدب، وخصائصه اللغوية، وما يميّزه من الكلام العاديّ.

ولكنّ الحقّ أن البلاغة العربية – بعلومها الثلاثة – هي علم الأسلوب العربيّ، وما يتم اليوم تحت ما يسمى "الأسلوبية" أو علم الأسلوب ما هو إلا توزيع جديد لمباحث البلاغة العربية المختلفة، ويتمّ ذلك – في أغلب الأحيان- بمصطلحات جديدة استبدلت بمصطلحات قديمة معروفة.

إن علم المعاني على سبيل المثال اعتنى بالبحث في صور الألفاظ والتراكيب ونظمها على نسق معين لاعتبارات مختلفة تخضع فيه للموضوع، وللسياق، ولمقتضى الحال، ولغير ذلك.

وأما البيان – أو علم الصورة بتعبير نقاد اليوم – فهو إخراج الدلالة التي رسم مبادئها علم المعاني بصياغة غير مباشرة؛ أي بصياغة تصويرية مجازية، وبذلك يرتقي الكلام الذي تهندس في علم المعاني من مستوى الكلام العادي، أو المباشر، إلى مستوى الكلام الأدبي؛ إذ في البيان يُعدل عن التعبير المألوف إلى التعبير الباهر المدهش، يتجاوز الكلامُ فيه الصحة والسلامة ومراعاة الحال والسياق والمخاطب والظرف ليضيف إليها الجمال؛ أي تقديم جميع ما تقدّم بأسلوب ماتع شائق جذاب، فيكون بذلك أكثر بلوغا، وأقدر على التأثير والوصول إلى المتلقي؛ إذ تتجاوز اللغة فيه وظيفة الإبلاغ والتوصيل فقط، إلى الإبلاغ و الإمتاع معا، وإلى التوصيل والتأثير في وقت واحد..

ثم يأتي علم البديع ليقدّم للأسلوب جماليات أخرى، تحسّنه لفظيا ومعنويا، وتقدّم له وسائل إيقاعية، وطرائق مختلفة تشكّله أكثر ترابطا ومفارقة.

إنّ هذه العلوم الثلاثة متضافرة معا لتشكيل الأسلوب، ولتحقيق جمالياته. ولا يعد أحدهما – كما ذهب إلى ذلك بعضهم- أدنى منزلة أو أقل أهمية، بل هي جميعا ذات شأن في الكلام، وكلٌّ منها يؤدي وظيفة معينة، أو يناط به تحقيق غرض لا يحققه العلم الآخر.

عوامل تشكيل الأسلوب:

تنبهت البلاغة العربية إلى أن الأسلوب متعدد الجوانب، وهو يخضع في تشكله على نسق معين لمجموعة من العوامل، من أبرزها: المؤلف، والموقف، والنص، والمتلقي.وهو بالتالي ليس ملكا لواحد من هذه العناصر فحسب.

وقد بيّن حازم القرطاجني الجهات المختلفة التي تخضع لها الأساليب ومذاهب القول، وهو ممّا ينبغي مراعاته.

قال حازم: "والأقاويل الشعرية أيضا تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيل، التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو

تركه، أو التي هي أعوان للعمدة. وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه، أو ما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع إلى المقول فيه، أو ما يرجع إلى المقول له.."[٣]

وبيّن حازم ما يرجع إلى كلّ جهة من هذه الجهات، ثمّ قال في موضع آخر: "وإذ قد تبين أن الكلام يهيأ للقبول من جهة ما يرجع إليه، وما يرجع إلى القائل، وما يرجع إلى المقول فيه، والمقول له؛ فواجب أن يُعلم أن للكلام في كل مأخذ من تلك المأخذ، التي بها تغتر النفوس لقبوله، هيئاتٍ من جهة ما يلحقه من العبارات، وما يتكرر فيه من المسموعات.."[٤].

وهذا ما تشير إليه الأسلوبية الحديثة؛ فتقول: "إن عنصر الأسلوب لا يمكن تجريده من النص، ولا من المؤلف، ولا من المتلقين"[٥].

وهنالك تعريفات متنوعة للأسلوب بحسب النظر إلى عنصر من هذه العناصر، كما أنّ هنالك أشكالا من الدراسات البلاغية الأسلوبية تتناول كل واحد من هذه العناصر، وتبرز دوره في تشكيل الأسلوب وتوجيهه وجهة معينة.

يقول فيلي ساندرس: "للأسلوب عموما بنية كلية منظمة تراتبيا، تميّز بطريقتين واضحتين من التصنيف، هما: مستويات أسلوبية، وتمثّل المستوى الأسلوبي الفردي الناتج عن الظروف النفسية والاجتماعية لشخص ما. وأنماط أسلوبية، وتشير إلى الجوانب الأسلوبية الجماعية والسياقية والوظيفية والنصّية، بالنظر إلى الانتماء الجماعيّ للفرد في مجتمع له قواعده ومعاييره وعاداته الخاصّة.[٦]

١ - الأسلوب والفرد " المبدع":

إن المؤلف هو مبدع الأسلوب، وهو صاحبه. والأسلوب من علامات عبقريته وتميّزه، وهو - في أحد وجوهه- ظاهرة فردية، تمثّل القائل، وتدلُّ عليه.

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى الجانب الفردي في عملية الإبداع الأدبيّ، وإلى مقدار الجهد الشخصيّ المبذول فيها، وإلى الجهة التي منها يضاف الكلامُ البليغُ إلى صاحبه، وهي ليست في أنفُس الكلام التي يملكها كلُّ أحد، ولكن في أسلوب صياغتها. يقول: "نحن إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله..لم تكن إضافتنا له من حيث هو كلِمٌ وأوضاع لغة، ولكن من حيث تُوُخّي فيها النظمُ الذي بينّا أنه عبارة عن توخّي معاني النحو في معاني الكلِم.. فكما لا يشتبه الأمر في أن الديباج لا يختصّ بناسجه من حيث الإبريسيم، والحليّ بصائغها من حيث الفضة والذهب.. ولكن من جهة العمل والصنعة، كذلك ينبغي ألا يشتبه أن الشعر لا يختصّ بقائله من جهة أنفس الكلام وأوضاع اللغة.."[٧]

وهنالك لون من ألوان الدراسات الأسلوبية الحديثة تعنى بالفرد القائل من منطلق عبارة بوفون المشهورة: "الأسلوب هو الشخص[٨] نفسه "وتسمى الأسلوبية الفردية، أو أسلوبية الكاتب. وهي ترى أن اللغة ظاهرة فردية، وهي تتشكل عند كل قائل على نحو معين، يعبر عن شخصيته وطبعه وطبقته وانتمائه، "إنّ الأسلوب عموما هو التعبير الدقيق عمّا في داخله.."[٩]

وكما أن كل إنسان – مع اتفاقه مع سائر الخلق

في الإنسانية ومظاهرها المختلفة – يخالفهم بعد ذلك في الشكل، أو الطبع، أو الـذوق، أو ما شاكل هذا، فكذلك الحال في اللغة؛ فالقائل – على خضوعه لقواعد اللغة العامة التي يلتزمها المتكلمون بهذه اللغة جميعا – له ذوقه الخاص في استعمالها وتشكيلها واختيار ما يريد من ألفاظها ورموزها ومصطلحاتها، على نحو يعكس بيئته وثقافته وشخصيته ورسوم ذاته.

إن الأسلوب هاهنا اختيار، أو انتقاء، إنه "استعمال لغويّ شخصيّ"(١٠) يعكس شخصية القائل، ويكون – كما يقول شوبنهاور- "التعبير عن معالم الروح"(١١) "ودعني أسمع كيف تتكلّم أقل لك من أنت"(١٢).

وللمؤلف حضوره في البلاغة والنقد العربيين؛ وقد أشار القاضي الجرجاني إشارة ذكية واضحة - سبقت الأسلوبيين المعاصرين- إلى صلة الأسلوب بطبع صاحبه ومعالم شخصيته، حتى إنه – كما يقول -: " يرقّ شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعّر منطق غيره. وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق، فإن سلامة الألفاظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة. وأنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك وأبناء زمانك؛ ترى الجافي الجلف منهم كزّ الألفاظ، معقد الكلام، وعر الخطاب، حتى إنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرسه ولهجته."(١٣)

٢ – الأسلوب والنصّ " الرسالة"

ولكن الأسلوب – هذه الظاهرة الفردية –لا يخضع فقط لشخصية القائل، ولا هو وحده المشكّل للأسلوب، بل يخضع لعوامل أخرى، منها النصّ نفسه، المتمثّل في طبيعة الرسالة، أو الغرض الذي يراد التعبير عنه. وقد فطنت البلاغة والنقد العربيان إلى هذا العنصر الهامّ من عناصر الاتصال، فربطت الأسلوب بالرسالة المراد إبلاغها.

يشير ابن الأثير إلى ارتباط الألفاظ المفردة التي ينتقيها المتكلّم بالغرض أو الموضوع، فيقول: تنقسم الألفاظ في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة؛ ولكلّ منها موضع يحسُن استعمالها فيه؛ فالجزل منها يستعمل في مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك. وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق، وذكر أيام البعاد، وفي استجلاب المودّات، وملاينات الاستعطاف، وأشباه ذلك.."(١٤)

ويقول ابن قتيبة متحدّثا عن ارتباط أسلوبيْ الإيجاز والإطناب بالموضوع: "ليس يجوز لمن قام مقاما في تحضيض على حرب، أو حمالة بـدم، أو صلح بين العشائر، أن يقلّل الكلام ويختصره، ولا من كتب إلى عامّة كتابا في فتح أو استصلاح أن يوجز.."(١٥)

ومن قبله نقل الجاحظ أن "الإيجاز هو البلاغة. فأما الخطب بين السماطين، وفي إصلاح ذات البين؛ فالإكثار في غير خطل، والإطالة في غير إملال.. والسنّة في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب، ويقصّر المجيب.."(١٦)

ويربط ابن رشيق أسلوبيْ الصنعة العفوية وصنعة التحكيك والتثقيف بالغرض الشعريّ، فيقول: "قد قيل: لكلّ مقام مقال؛ وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور ذاته، من فرح وغزل ومكاتبة ومجون وخمرية وما أشبه ذلك، غير

شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين؛ يُقبل منه في تلك الطرائق عفوُ كلامه، وما لم يتكلّف له بالا.. ولا يُقبل منه في هذه إلا ما كان محكّكا معادا فيه النظرُ جيّدا، لا غثّ فيه، ولا ساقطة، ولا قلق. وشعرُه للأمير والقائد غيرُ شعره للوزير والكاتب، ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدّم من هذه الأنواع.."[١٧]

٢- الأسلوب والمقام:

والمقام أو " مقتضى الحال" هو عمدة البلاغة العربية، وقد ارتبطت به حتى صار جزءا من تعريفها؛ فبلاغة الكلام هي " مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[١٨] ومقتضي الحال، أو المقام يعني – فيما يبدو شيئين:

أ- السياق الخارجي

ب- المخاطب (المتلقي)

والسياق الخارجي هو الظرف، أو الموقف، أو الحال التي يقال فيها الكلام كأن يكون مقام فرح، أو عزاء، أو تهنئة، أو نكاح، أو ما شابه ذلك من أحوال ومقامات.

وتدعو البلاغة العربية القائل أن يراعي ذلك في اختيار ألفاظه وعباراته لتشكيل أسلوبه المناسب لهذا المقتضى.

يقول السكّاكي: "لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذمّ، ومقام الترهيب يباين مقام الترغيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل. وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار. ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار. وجميع ذلك معلوم لكلّ لبيب.."[١٩]

وأما المخاطب فهو المتلقي، مستقبلُ الرسالة، وهو المستهدفُ بالخطاب، ولذلك كان عنصرا أساسيا في عملية الإبداع الأدبيّ، وهو أحد أركان نظرية الاتصال.

وهكذا يبدو الأسلوب حصيلة مجموعة من العناصر؛ هي الفرد القائل، والنصّ، والمقام، والمتلقي. وهو لا يتشكّل من واحد من هذه العناصر فحسب، بل منها جميعا. وإنّ إهمال الباحث في الأسلوب لأيّ واحد منها هو تفريط لا يعين على إيفاء الظاهرة الأدبية حقّها، ويبقى قاصرا عن الإحاطة بها.

ومن الواضح أن هذه العناصر التي تشكل الأسلوب قائمة على توازن واعتدال بين الداخل والخارج؛ فهي لا تنظر إلى بنية العمل الأدبيّ على أنها مغلقة، منعزلة عن الملابسات الخارجية: كالتاريخ، والمجتمع، والمتلقي، والمؤلف نفسه، كما فعلت بعض المناهج الشكلية الحديثة، كالبنيوية وغيرها، بل تنظر إليها – كما هو واضح- في سياقها الحقيقي.

إن الأسلوب – الذي هو اختيار من القائل لألفاظ وعبارات لا حصر لها، تضعها بين يديه اللغة، بما تتميز به من ثراء – ليس اختيارا مطلقا بل هو " يرتكز بدوره على ما يقدمه الكاتب من تسويغات شخصية من ناحية، وعلى المعايير الاجتماعية المعمول بها في الاستعمال المنظم للوسائل اللغوية من ناحية ثانية؛ فالبناء اللغوي لأي نص يثير لدى المتلقي تداعيات

كثيرة، قد تخاطبه وجدانيا وعاطفيا، أو تكون عنده تركيبا إشاريا يستطيع به أن يلج باب العمليات المعرفية.."[٢٠]

إن الأسلوب " هو الطريقة الذاتية التي تشير إلى كيفية اختيار الفرد في سياق ما، ومقام ما، مما بين يديه من وسائل لغوي."[٢١]

وسنتوقف في هذا البحث عند عنصر واحد من عناصر الاتصال، وهو المتلقي، أحد المؤثرات الأساسية في تشكيل الأسلوب، ونرى بعضا من مظاهر حضوره في البلاغة العربية.

١- اللغة ظاهرة اجتماعية:

إن البلاغة العربية قد توصّلت إلى ما توصّل إليه علم الأسلوب الحديث من أن اللغة، التي يتشكّل منها الأسلوب، هي – من جملة مظاهرها- ظاهرة اجتماعية، وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافة الناس الذين يتكلمونها، وإن هذه الثقافة يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية التي يسمى كل منها (مقاما).

إن اللغة – وفي وقت واحد معًا – علامة فردية مميّزة، وعلامة طبقية مميّزة في الجماعة الواحدة. وهي – باعتبارها نظامًا اجتماعيا – تنحو مناحي كثيرة، وتظهر بأشكال لا حصر لها. فلكل فئة من الناس أسلوبها الخاص في استعمال اللغة على حسب طبقتهم الاجتماعية. للرجال ألفاظ معينة تشيع فيما بينهم، لا تعرفها النساء، ولا يتلفظن بها أبدا. وللأطفال كلماتهم وعباراتهم التي تجعل لهم عالمًا اجتماعيًا متميزًا. وللشباب والكهول والشيوخ مثل هذه الألفاظ الخاصة التي تعبر عن مرحلة من مراحل العمر، وتشبه العلامة الفارقة التي تميز هذه المرحلة.

كما أن لكل طائفة من الناس استعمالًا لغويًا يختلف باختلاف تخصصها ومهنتها، فبين الأطباء تشيع أنماط من التعبير لا يستعملها المحامون، كما يختص عالم المهندسين بضروب من التعبير لا تخطر في بال الصيادلة، أو الأساتذة، أو العمال، أو غيرهم من أصحاب المهن والتخصصات الأخرى.

وقد عبر الجاحظ عن هذه الفكرة أدق تعبير بقوله: "ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكلًا بينها وبين تلك الصناعة"[٢٢] كما يتدخل في تكوين هذه الأنماط اللغوية المختلفة البيئة أو الوسط الذي ينشأ فيه الفرد؛ فلغة أهل البادية أو الريف تختلف كثيرًا عن اللغة المتداولة في الحواضر والمدن، بل قد تختلف اللغة من حي إلى حي، فتشيع في هذا الحي ألفاظ لا يعرفها أهل الأحياء الأخرى، ولا يتداولونها.

وقد نبه محمد بن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء على أثر البيئة في اللغة تنبهًا دقيقًا، ولاحظ هذا الأثر في شعر عدي بن زيد، فقال عنه: "كان يسكن الحيرة، ويراكن الريف، فلان لسانه، وسهل منطقه"[٢٣].

وأشار المفضل الضبي إلى تأثر عدي ببيئته ومن يفد إليها، فقال: "كانت الوفود تفد على الملوك بالحيرة، فكان عد ي بن زيد يسمع لغاتهم، فيدخلها في شعره" ومن أجل هذا أحس النقاد أن له نمطا لغويًا خاصًا، فقال عنه الأصمعي: "إن ألفاظه ليست بنجدية"[٢٤].

ولاحظ أبو عمرو بن العلاء أن نشأة الطرمّاح ابن حكيم بسواد الكوفة أثرت في لغته، فكثرت في كلامه ألفاظ النبيط.[٢٥]

ويتدخل في تشكيل هذه الأنماط اللغوية أيضا الدين الذي يعتنقه الفرد، فيتميز المسلمون بأشكال من التعبير لا يعرفها النصارى ولا اليهود، كما يتداول الآخرون ضروبًا من الألفاظ والكلمات التي لا يعرفها أصحاب الأديان الأخرى.

والحق بعد ذلك أن تأثير هذه العوامل الاجتماعية المختلفة – التي ذكرنا بعضًا منها على سبيل التمثيل لا الحصر – لا يقتصر على تغير أشكال التعبير فحسب، أو التميز باستعمال ألفاظ وعبارات معينة، ولكنه يجاوز هذا المعجم اللغوي الخاص بكل طبقة اجتماعية ليظهر كذلك في طريقة نطق الحروف، وإخراج الأصوات من ناحية، وفي طريقة بناء الجمل وتركيبها من ناحية أخرى.

وهكذا تبدو اللغة علامة طبقية مميزة، تدل على بيئة الإنسان ونشأته وحيه ومهنته ودينه ونوعه وعمره. وإن تغيير الفرد للغته التي تدل على وضع طبقي معين، حتى ينتقل بها إلى وضع طبقي آخر: أدنى أو أعلى؛ لأمر عسير جدًا. وهو أمر – إن تأتى – لابد أن يمر بمرحلة طويلة من الدربة والمراس والمران، ثم لا مندوحة أن يندّ عن هذا الفرد بين الحين والحين ما يشعر بأصله الطبقي، أو يشير إليه من قريب أو بعيد.[٢٦]

أثر المتلقي في تشكيل الأسلوب:

إن هذه الاعتبارات جميعا توضّح أن الأسلوب – زيادة على صلته بصاحبه، وأنه ظاهرة فردية تخضع لذاتية القائل، وزيادة على مراعاته لطبيعة الرسالة التي يريد إبلاغها-- هو كذلك ظاهرة اجتماعية، ولا بدّ أن يأخذ في حسبانه المخاطب، وأن يراعيه، وأن يتشكّل في ضوء معرفته، ومعرفة اللغة التي تناسبه معرفة كافية.

إنّ المتلقي حاضر دائما في أي تشكيل أسلوبيّ بلاغيّ من غير أن ينفي ذلك حرية الكاتب في الاختيار؛ فلكلّ من الإرسال والتلقي دور في التشكيل الأسلوبيّ.

يقول أحدهم: "ليست الظاهرة الأدبية هي النصّ فقط، ولكنها القارئ أيضا، بالإضافة إلى مجموع ردود فعله الممكنة على النصّ، وعلى القول وإنتاجية القول.."[٢٧]

وتهتم الأسلوبية الحديثة – على نحو ما اهتمّت البلاغة العربية –بالمتلقي اهتماما كبيرا، وتسمى الدراسة التي تبحث في ذلك " أسلوبية المتلقي" وفيها يحتلّ القارئ/ المتلقي/ مكانة بارزة في نظرية الأسلوب الأدبية الاتصالية؛ حيث لا يظهر القارئ هامشيا، وإنما لا يتحقّق الوجود الأسلوبيّ، أو الفعل الأسلوبيّ، إلا بحضوره وتجلّيه..[٢٨]

إنّ الاختيار الذي يمارسه المبدع لألفاظه وعباراته وصوره وأفكاره، ولأسلوب نظمها على شكل معين ليس خاليا من الضبط إذن، وإن حريته في هذا الاختيار ليست مطلقة، بل يتم ذلك – في جملة ما يتم – باستحضار المتلقي، أو المخاطب، بمصطلح البلاغة العربية. وهو يشكّل عنصرا أساسيا من عناصر الاتصال اللغويّ.

إنّ النصّ الأدبيّ – بمصطلح اللسانيات، كما عبّر عنه رومان جاكبسون- رسالة من مبدع، يبعث بها إلى مخاطب، متلق، أو مرسل

إليه، يستقبلها في سياق معين، ومن خلال قناة أو وسيلة اتصال معينة، وبحسب نظام لغويّ "شفرة:cod "متعارف عليه بين المبدع المرسِل والمستقبل المرسَل إليه.[٢٩] وهذا كلام يلتقي - كما ترى- في كلام حازم القرطاجني الذي أوردناه في الفقرة السابقة.

يقول أحد النقاد: " ينبغي فهم الأسلوب على أنه ظواهر معينة في نص ما، أو يقصد إنتاجه في مسألة الإبداع الفني، أو يتم تحليله بالنظر إلى تأثيره في القارئ، ويمكن للإنسان أن يرمز لهذه الإمكانيات الثلاث على أنها أسلوبية نصية داخلية، وأسلوبية إنتاج، وأسلوبية تلق، ولهذا يأتي قطاع الاتصال الأدبي في المقدمة. إن عنصر الأسلوب لا يمكن تجريده من النص، ولا من المؤلف، ولا من المتلقين.."[٣٠]

وعرف أحدهم الأسلوب بأنه يمثل أمارة يستدل بها على قدرات المنتج ومواقفه ومقاصده، وإشارة يعتمد عليها في تحقيق التأثير المرمي إليه في المتلقي.."[٣١]

الأسلوب والموقف الاجتماعيّ:

إن هذه الاختلافات اللغوية، التي تدرس عادة في فرع من علم اللغة يعرف بعلم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics – والتي سقنا نماذج منها - على سبيل التمثيل لا الحصر – تشترك في تكوين ما يسمى في (علم الأسلوب) الحديث بالموقف أو المقام، وهو ما يحاول القائل أن يراعيه فيما يختاره من طرق التعبير، وفي استخدامه للغة. وهكذا يبدو الأسلوب ثمرة من ثمرات هذا الاهتمام بالموقف، ومراعاته، وأخذه في الاعتبار.

فالفرد القائل يريد أن يوصل إلى شخص آخر، أو إلى مجموعة من الناس معنى ما، وهو – إن كان ينشئ عملًا فنيا – يتوخى إلى جانب التوصيل التأثير في المتلقي، وهو – من أجل تحقيق واحد من هذين الغرضين أو كليهما معًا – يراعي مجموعة من الاعتبارات، على رأسها تلك الفروق اللغوية الموجودة بين الأفراد والجماعات، فيدخل في حسابه عند استعماله للغة على أسلوب معين دلالات كثيرة: دلالات تتمثل في طريقة النطق، واختيار الكلمات والتراكيب، ومراعاة مصطلحات معينة.

وهي جميعها دلالات يأنس إليها السامعون، وتلقى عندهم قبولًا، ويحقق القائل بواسطتها غرضي التوصيل والتأثير اللذين ينشدهما على أتم وجه.

ومن الواضح أن هذا الموقف الذي نتحدث عنه يعنى بشيئين اثنين: بالمتلقي ونوعه ودرجته الاجتماعية، وبالحالة أو الظرف الذي يعد له الأسلوب، أو يقال فيه الكلام، وهما بطبيعة الحال جانبان متداخلان أو هما وجهان لقطعة نقدية واحدة.

وتلتقي البلاغة العربية - في وضعها الأسلوب في إطاره من الملابسات الكثيرة التي تؤثر في تشكيله، ومنها المواقف الاجتماعية- مع الأسلوبية المعاصرة، ومع "التداولية" وهي فرع من علم العلامات "السيميولوجيا" التي تعنى - كالبلاغة - "بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصليّ الذي يتحدّث فيه المتكلّم.. تعنى بالشروط والقواعد اللازمة للملاءمة بين

أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصّة به؛ أي للعلاقة بين النصّ والسياق.."[٣٢]

إن مفهوم "التداولية" يغطّي ما يسمّى في البلاغة العربية "مقتضى الحال" التي أنتجت مقولة: "لكلّ مقام مقال"[٣٣].

حضور المتلقي في البلاغة العربية:

قفز الاهتمام بالمتلقي بقوة إلى واجهة الدراسات الأدبية والنقدية بعد انحسار البنيوية، وبدا للباحثين واضحا أنّ الأسلوب لا يشكّل حضوره الفاعل إلا من خلال المتلقي الذي يحكم عليه، ويميز تأثيره، إذ هو المعني به أصلًا؛ فهو الذي يتلقى الرسالة التي هي إحدى عناصر الاتصال التي أشارت إليها البلاغة العربية واللسانيات الحديثة.

وما يسمى الآن في الدراسات الأسلوبية الحديثة بـ "أسلوبية التلقي" هو أسّ البلاغة العربية التراثية التي كان في أصل تعريفها أنها "مراعاة مقتضى الحال" والمخاطب أو المتلقي هو أهم عناصر الحال التي تراعى.

وقد حظي المتلقي في التراث البلاغي والنقديّ عند العرب بمكانة فاقت مكانة المؤلف نفسه؛ ذلك أن الأدب العربيّ: شعرا ونثرا، كان دائما ملتصقا بالجمهور، مجنّدا لخدمة همومه ومشكلاته. لم يشهد تراثنا الأدبيّ جفوة بينه وبين المتلقي كما حصل مع قدوم موجات الحداثة التي حملت معها التشويش والفوضى والغموض، فكانت " نظرية التلقي " أو استجابة القارئ" " لونا من ألوان تملّق هذا المتلقي، وردّ الاعتبار إليه، بعد أن أهملته بعض الاتجاهات الحداثية الغربية، وجعلت السلطة الأدبية كلّها للمؤلف، أو للنصّ وحدهما. وحسب المنبهرون بكلّ ما يأتي من الغرب أن هذا الاهتمام بالمتلقي هو فتح جديد في الفكر الإنسانيّ، وأنّ أحدا لم يعرفه من قبلهم.

إنّ المخاطب/ المتلقي / حاضر في التراث الأدبيّ العربيّ حضورا طاغيا عند كلّ من المبدع والناقد معا.

يقول ابن رشيق داعيا الشاعر إلى مراعاة المخاطب: "غاية الشاعر معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان؛ ليدخل إليه من بابه، ويداخله في ثيابه؛ فذلك سرّ صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس، وبه تفاضلوا.."[٣٤]

وقال الجاحظ مخاطبا الكاتب: "إذا أعطيت كلّ مقام حقّه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقّ الكلام؛ فلا تهتمّ لما فاتك من رضا الحاسد والعدو؛ فإنه لا يرضيهما شيء.."[٣٥]

إنّ المتلقي هو جزء من المقام كما سبق أن أشرنا، وقاعدة " لكلّ مقام مقال" التي تعد تعريفا للبلاغة تجعل المتلقي أهم ركن في هذا المقام.

يقول تمام حسان: "حين قال البلاغيون" لكلّ مقام مقال. لكلّ كلمة مع صاحبتها مقام "وقعوا على عبارتين من جوامع الكلِم، تصدقان على دراسة المعنى في كلّ اللغات لا في اللغة العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كلّ الثقافات على حدّ سواء. ولم يكن "مالينوفسكي"وهو يصوغ مصطلحه الشهير "Context of situation" يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها. إنّ الذين عرفوا هذا المفهوم قبله، وهم العرب، سجّلوه في كتبهم تحت اصطلاح "المقام" ولكن كتبهم لم

تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح "مالينوفسكي"من تلك الدعاية؛ بسبب انتشار نفوذ العالم الغربيّ في كلّ الاتجاهات، وبراعة الدعاية الغربية الدائبة.."[٣٦].

وقد أخذت عناية البلاغة العربية بالمتلقي عدّة أشكال، لا يتسع بحث موجز مثل هذا أن يقف عليها جميعها، ولذلك سنشير باختصار إلى أبرز الملامح العامّة التي تشكّل وجه هذه القضية.

راعى الأسلوب البلاغي جوانب كثيرة تتعلّق بالمخاطب؛ فاستحضره في التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والإيجاز والإطناب، وفي ضروب الخبر المختلفة، وفي صياغة الصورة الأدبية، وفي وضوح الكلام وشفافيته، وفي بناء القصيدة، وفي غير ذلك من أساليب صياغة الكلام الكثيرة. وجميع ذلك من أجل إيصال الرسالة إليه معبّرة مؤثرة، تتفق مع أحواله المختلفة: نفسيا، وثقافيا، واجتماعيا، وطبقيا، وغير ذلك.

١- الجانب النفسيّ:

يتشكّل الأسلوب البلاغيّ في أحيان غير قليلة مراعيا الجانب النفسيّ، أو الحالة النفسية للمخاطب، سواء أكان هذا المخاطب حقيقيا، له وجود ماديّ ملموس، أم كان مخاطبا متخيلا أو مفترضا، يشبه- إلى حدّ ما- ما يسمى عند أصحاب نظرية التلقي "القارئ الضمني" وهو قارئ يقول عنه آيزر: "تحيل فكرة القارئ الضمنيّ إلى بنية نصّية لمثولية المتلقي، وإنّ المقصود بهذا هو شكل يجب أن يكون متحققا. فالقارئ الضمنيّ إنما هو مفهوم يضع القارئ أمام النصّ، وذلك في حدود التأثيرات النصّية التي يصبح الفهم إزاءها فعلا من الأفعال.."[٣٧]

ومن أمثلة مراعاة حالة المخاطب، وهي كثيرة:

- حالات الخبر: فالخبر ابتدائي، أو طلبيّ، أو إنكاريّ. وأساليب الخبر هذه مراعى فيها حالة المخاطب النفسية، وما يعتريه من يقين، أو تـردد، أو شك، أو إنكار وجحد، أو ما شابه ذلك.
- قال البلاغيون: "إنّ كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر، والتردد فيه؛ استغنى عن مؤكدات الحكم، كقولك: جاء زيدٌ، وعمرو ذاهبٌ، فيتمكن في ذهنه لمصادفته إياه خاليا. وإن كان متصوّر الطرفين، مترددا في إسناد أحدهما إلى الآخر، طالبا له؛ حسُن تقويته بمؤكّد، كقولك: لزيدٌ عارفٌ، أو: إنّ زيدا عارفٌ. وإن كان حاكما بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار، فتقول: إني صادقٌ، لمن ينكر صدقك، ولا يبالغ في إنكاره، وإني لصادقٌ، لمن كان يبالغُ في إنكاره.."[٣٨]
- وتؤخذ هذه الحالة النفسية للمخاطب في الحسبان حتى عند كسر هذه القاعدة، والخروج بالخبر إلى ما سمّاه البلاغيون "خـروج الكلام على خـلاف الظاهر" فلا يساق الخبر للمتلقي بحسب الحالات السابقة، بل يُخرَج عليها لاعتبارات نفسية كذلك؛ حيث "ينزّل غيرُ السائل منزلة السائل، إذا قدّم إليه ما يلوّح له بحكم الخبر، فيستشرف له استشراف المتردد الطالب.."[٣٩]

- ومن هذه المراعاة النفسية لحالة المخاطب ما يتعلّق ببعض أساليب القصر؛ إذ هو – بالنظر إلى هذه الحالة- ثلاثة أنواع، هي: قصر إفراد، وقصر تعيين، وقصر قلب. وكلّ نوع من هذه الأنواع يوجّه إلى مخاطب – حقيقيّ، أو متوهم- ذي حالة نفسية معينة.(٤٠)

- ومن ذلك ما يتعلّق بأسلوب "الالتفات" والعدول بين الضمائر، ومن أغراضه تنويع أسلوب الخطاب للمتلقي لطرد السأم عنه.

يقول حازم القرطاجني في ذلك: "وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلّم، أو ضمير مخاطب، وينتقلون من الخطاب إلى الغيبة. وكذلك أيضا يتلاعب المتكلّم بضميره؛ فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه. وتارة يجعله كافا أو تاء، فيجعل نفسه مخاطبا. وتارة يجعله هاء، فيقيم نفسه مقام الغائب؛ فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلّم أو مخاطب لا يُستطاب، وإنما يحسُن الانتقالُ من بعضها إلى بعض.."(٤١)

- ومن مراعاة الحالة النفسية للمتلقي، وتقدير مقامات الكلام وظروفه، أن يحترز المتكلّم في مقام كالمدح، أو التهنئة بمناسبة سعيدة، أو ما شابه، من إيراد ألفاظ قد تفسد على المتلقي هذه الحالة النفسية التي هو فيها. وعلى الشاعر – من أجل تحقيق هذه المراعاة- كما يقول ابن طباطبا- " أن يحترز – في أشعاره، ومفتتح أقواله- مما يتطيّر به، أو يُستجفى من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء، ووصف إقفار الديار، وتشتت الآلاف، ونعي الشباب، وذمّ الزمان. ولا سيما في القصائد التي تضمّن المدائح والتهاني. ويستعمل هذه المعاني في المراثي، ووصف الخطوب الحادثة؛ فإنّ الكلام إذا كان مؤسسا على هذا المثال تطيّر منه سامعُه. وإن كان يعلم أنّ الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح، فيتجنب مثل ابتداء قول الأعشى:

ما بكاء الكبير بالأطلال

وسؤالي، وهل ترد سؤالي؟

دمنة قفرة تعاورها الصي

فُ، بريحين من صبا وشمال

ومثل قول ذي الرمّة:

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ

كأنه من كلى مفرية سربُ؟

وقد أنكر الفضل بن يحيى البرمكيّ على أبي نواس قوله:

أربع البلى إن الخشوع لباد

عليك وإني لم أخنك ودادي

ونطيّر منه، فلما انتهى إلى قوله:

سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتمُ

بني برمك من رائحين وغاد

استحكم تطيّره، فيقال: إنه لم ينقض الأسبوع حتى نزلت به النازلة.."(٤٢)

وذكر ابن طباطبا أمثلة أخرى على عدم مراعاة المتكلم حالة المخاطب النفسية ثم قال: "فليجتنب الشاعر هذا وما شاكله مما سبيله كسبيله. وإذا مر له معنى يُستبشع اللفظ به لطُف

في الكناية عنه، وأجَلّ المخاطب عن استقباله بما يتكرهه منه، وعدل اللفظ عن كاف المخاطبة إلى ياء الإضافة إلى نفسه إن لم ينكسر الشعر، أو احتال في ذلك بما يحترز به مما ذممناه، ويوقف به على أدب نفسه، ولطف فهمه، كقول القائل:

ولا تحسبنّ الحزن يبقى فإنه

شهابُ حريق واقدٌ ثم خامدُ

سآلف فقدان الذي قد فقدتُه

كإلفك وجدان الذي أنت واجدُ

وإنما أراد الشاعر: ستألف فقدان الذي قد فقدته كإلفك وجدان الذي قد وجدته؛ أي: تتعزى عن مصيبتك بالسلو. فانظر كيف لطف في إضافة ذكر المفقود الذي يُتطيّر منه إلى نفسه، وما يُتفاءل إليه من الوجدان إلى المخاطب، فجعل الموجود المألوف للمعزّى، والمفقود لنفسه.." (٤٣)

٢- المستوى الثقافي:

راعت البلاغة العربية في تشكيل الأسلوب مستوى المخاطب الثقافي والفكريّ، وكان ذلك وجها آخر من وجوه حسن التواصل معه، وإيصال الرسالة إليه معبّرة مؤثرة.

نجد في البلاغة العربية أن يكون الخطاب بحسب شخصية المستهدف به؛ فلا يكون أسلوب موجّه إلى العالم كمثل أسلوب موجه إلى جاهل أو قليل الثقافة، ولا يخاطب بأسلوب أهل اختصاص قوم لا دخل لهم بهذا الاختصاص؛ ذلك أن الأساليب واللغة التي تستعمل فيها هي نتاج حالات اجتماعية كما سبق أن أشرنا.

وقد يكون الحطيئة الجاهليّ القائل لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه:

تحنّنْ عليّ هداك الملـيكُ

فإنّ لكلّ مقام مقالا(٤٤)

أول من ألمع إلى فكرة " ارتباط المقام بالمقال" ولعل بشر بن المعتمر بعد ذلك أوّل من وضح هذه القاعدة، فربطها بالموقف وبالمخاطب، بمراعاة قدره، ومعرفة حاله، وما يحظى عنده من الألفاظ والمعاني، فقال: "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين. وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكلّ حالة من ذلك مقاما. حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.."(٤٥)

ثمّ اتسع الجاحظ في هذه الفكرة، فدعا المتكلّم أن يراعي أحوال المخاطبين، فلا يكون ما يوجهه إليهم فوق مستواهم، أو ممّا لا رصيد له في مخزونهم الثقافي والفكريّ.

يقول الجاحظ: " أرى أن ألفظ بألفاظ المتكلّمين ما دمت خائضا في صناعة الكلام مع خواصّ أهل الكلام؛ فإنّ ذلك أفهم لهم عني، وأخفّ لمؤنتهم عليّ. ولكلّ صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكلا بينها وبين تلك الصناعة. وقبيح بالمتكلّم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلّمين في خطبة، أو في رسالة، أو في مخاطبة العوام والتجار، أو في مخاطبة أهله وعبده وأمته.. ولكلّ مقام مقال، ولكلّ صناعة شكل.."(٤٦)

والتقط ابن وهب أذيال الفكرة من الجاحظ؛ فأطال في الكلام على ارتباط اللغة بأوضاع أهلها وأعصارهم وصنائعهم" ذلك أن للمتكلمين من أهل اللغة أوضاعا ليست في كلام غيرهم، مثل: الكيفية، والكمية، والمائية..فمتى كان المتكلّم غيرهم كان المتكلّم بذلك مخطئا، ومن الصواب بعيدا، ومتى خرج عليها في خطابهم كان في الصناعة مقصّرا. وكذلك للمتقدّمين من الفلاسفة والمنطقيين أوضاع متى استعملت مع متكلمي هذا الدهر وأهل هذه اللغة كان المستعمل لها ظالما، وأشبه من كلام العامّة بكلام الخاصّة، والحاضرة بغريب أهل البادية.. وأشباه ذلك مما إذا خاطبنا بهم متكلمينا أوردنا على أسماعهم ما لا يفهمونه إلا بعد أن نفسّره، وكان ذلك عيّا وسوء عبارة، ووضعا للأشياء في غير مواضعها.."[٤٧]

وقد لاحظ بعض البلاغيين العرب أن مراعاة المستوى الفكري والعقلي وحال المخاطب عامّة هي من سمات الأسلوب القرآنيّ. أشار ابن وهب إلى ذلك، وبيّن تنوّع خطاب الذكر الحكيم بحسب مقام المخاطب وحاله، فقال عن أسلوبيْ الإيجاز والإطناب: "فأما المواضع التي ينبغي أن يستعمل كلّ واحد منهما فيها؛ فإنّ الإيجاز ينبغي أن يُستعمل في مخاطبة الخاصّة، وذوي الأفهام الثاقبة الذين يجتزئون بيسير القول عن كثيره، وبمجمله عن تفسيره.. وأمّا الإطالة ففي مخاطبة العوام، ومن ليس من ذوي الأفهام، ومن لا يكتفي من القول بيسيره، ولا يتفق ذهنه إلا بتكريره؛ ولهذا استعمل الله - عزّ وجلّ- في مواضع من كتابه تكرير القصص، وتصريف القول، ليفهم من بعُد فهمه، ويعلم من قصُر علمه. واستعمل في موضع آخر الإيجاز والاختصار لذوي العقول والأبصار.." [٤٨]

وطبق النقّاد والبلاغيون هذه القاعدة التي أُصّلت نظريا في مقاربتهم للأعمال الإبداعية، فنقدت كثير من النماذج؛ لأنها لم تضعْ المخاطب في موضعه اللائق، ولم تتوجه إليه بقول يتناسب مع حالته الفكرية والثقافية.

خاطب أبو تمام فتى اسمه عبدوس بقوله:

قسمتْ له وقاسمتني بسلطا
ن من السحر مقلتا عبدوس
فالقسيمُ القسّامُ عن لحظات
منهما يختلسْن حبّ النفوس
فالذي قاسمت بلحظ إذا اللـ..
ـلُ تمطّى من الكرى المنفوس

فقال الجرجاني في نقده: "ولست أدري - يشهد الله- كيف تصوّر له أن يتغزّل وينسب، وأيَّ حبيب يُستعطف بالفلسفة؟ وكيف يتّسع قلب عبدوس هذا- وهو غلام غرّ حدث مترف – لاستخرج العويص، وإظهار المعمّى؟ "[٤٩]

ولم يكن ردُّ بشار – الذي استحسنه البلاغيون – على منتقديه إلا من قبيل هذا الإدراك لأهمية المتلقي، واستحضاره عند إنشاء الرسالة.

قال بشار بن برد في رباب جاريته:

ربابة ربّة البيت
تصبُّ الخلّ في الزيت
لها عشر دجاجات
وديكٌ حسنُ الصوت

فانتقد بسبب تفاوت شعره؛ إذ يقول مثل هذا الشعر السهل البسيط الخلي من الصنعة ولاتنميق، وهو القائل من قبلُ "شعرا يثير به النقع، ويخلّ به القلوب" مثل:

إذا مـــا غضبنـــا غضبـــة مضريـــة

هتكنا حجاب الشـــمس أو تمطر الدّما

إذا مـــا أعرنـــا ســـيدا مـــن قبيلـــة

ذرا منبـــــر صلّـــى علينـــا وســـلّما

فقال لهم بشار - معتمدا على قاعدة مراعاة المتلقي-: " لكلّ وجه موضع؛ فالقول الأول جدّ، وهذا قلته في ربابة جاريتي، وأنا لا آكل البيض من السوق، وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها، فهذا عندها أحسن من قولي عندك " [٥٠]

قفـــا نبك من ذكـــرى حبيب ومنزل

٢- المستوى الاجتماعي والطبقي:

وذلك أن يأخذ المتكلّم في الاعتبار حال من يخاطب، فيعرف قدره ومكانته الاجتماعية فيختار من الألفاظ والعبارات ما يناسب هذا المتكلم، فما خطاب الملوك أو القادة أو الرؤساء، مثل خطاب عامة الناس، بل ما خطاب الملك مثل خطاب الوزير، ولا خطاب الوزير مثل خطاب المدير.. وقس على ذلك.

يتحدث ابن رشيق عن اختلاف أسلوب الشاعر بحسب طبيعة المخاطب، فيقول: "وشعره للأمير والقائد غير شـعره للوزيـر والكاتب: ومخاطبته للقضـاة والفقهـاء بخـلاف مـا تقـدم مـن هـذه الأنواع.."[٥١]

ولقد كان هذا جزءًا من المقام الذي دعت البلاغة العربية إلى مراعاته في الأسلوب، وإلى نظم الكلام في ضوئه، وقد مر معنا قول بشر في وجوب مراعاة المتكلم لأقدار المستمعين عندما قال: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا، ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستقيمين على أقدار تلك الحالات."

وأكد ابن قتيبة على هذه المراعاة فدعا الكاتب قائلًا: ((نستحب له أيضًا أن ينزل ألفاظه في كتبه، فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وألا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيع الكلام؛ فإني رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم وخلطوا فيه..))[٥٢]

وإنّ مراعاة مقامات الناس في الخطاب، ومعرفة أقدارهم، هو من قبيل الصدق كذلك؛ إذ هي إنزالٌ للكلام في موضعه، وإعطاؤه لمن يستحقّه

٤- مراعاة الجنس:

يأخذ الأسلوب في اعتباره جنس المتلقي؛ فخطاب الرجل غير خطاب المرأة وهنالك من الألفاظ والعبارات والمعاني ما لا يليق أن يستعمل في حق أحدهما.

ولم يكن النقد الذي وجه إلى عمر ابن أبي ربيعة في غزله إلا من هذا القبيل؛ فهو يخاطب المرأة التي يتغزل بها بأسلوبٍ لا يليق بحق النساء العفيفات.

قال ابن أبي عتيق عندما أنشده عمر قوله:

بينمـــا ينعتْنَنـــي أبصـــــرننـــي

دون قيـــد الميـــل يعـــدو بـــي الأغرَ

قالـــت الكبـــرى: أتعرفـــن الفتـــى ؟

قالـــت الوســـطى: نعـــم هـــذا عمـــر

قالـــت الصغـــرى وقـــــد تَيمتُهـــا:

قـــد عرفناه، وهـــل يخفـــى القـــمر؟

((أنت لم تنسب بها، وإنما نسبت بنفسك. كان ينبغي أن تقول: قلت لها، فقالت لي، فوضعت خدي فوطئت عليه..))[٥٣]

كما قال ابن أبي عتيق معلقًا على قول عمر:

قالت لهـــا أختهـــا تعاتبها:

لنفْســـدنّ الطوافَ في عمرِ

قومي تصدي لـــه ليعـرفنا

ثم اغمزيـــــه يا أخت في خفر

قالت لها: قـــد غمزته فأبى

ثم اسبطرَت تشـــــتد في أثري

"أهكذا يقال للمرأة؟ إنما توصف بأنها مطلوبةٌ ممتنعة "[٥٤]

إن عمر- في رأي ابن أبي عتيق- لم يخاطب المتلقي- وهو هنا المرأة العربية – بما يليق بخطاب مثلها؛ فالمتغزل بامرأة يخاطبها بأسلوب فيه تذلل ولين، فيه إشعار بالطلب لها، والسعي وراءها، وأنها مناه وطلبته، ولا يجعل حالها – كما يصورها أسلوب عمر – راغبة ساعية، عاشقة ولهى.

لقد خالف ابن أبي ربيعة الأسلوب المتبع في الغزل. وقد لاحظ النقاد كما - يقول ابن رشيق -: أن عمر " كان يتغزل بنفسه أكثر مما يتغزل بصاحباته. قال: قال بعضهم – وأظنه عبد الكريم -: العادة عند العرب أن الشاعر هو المتغزل المتماوت. وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالب والراغب الخاطب. وهذا دليل كرم النحيزة في العرب، وغيرتها على الحرم.."[٥٥]

من دلالات الاهتمام بالمتلقي:

إنّ خضوع التشكيل الأسلوبيّ للمتلقي يشير إلى جملة من الدلالات منها:

١- وظيفة الأدب:

إن هذا الاهتمام الحار الذي يبديه التراث الأدبيّ عند العرب بالمتلقي – سواء على مستوى الإبداع، أم على مستوى التنظير، في كلّ من البلاغة والنقد – ليعكس رؤية تتمثل في الإيمان بارتباط الأدب بالناس والمجتمع، والنظر إليه على أنه نشاط فعّال جادٌّ، يهدف إلى إيصال رسالته إلى المتلقين مؤثرة معبّرة، اكتملت فيها شروط الاتصال، وتحققت لها وسائله، والمتلقي من أبرز عناصر الاتصال.

لقد كان الشعر العربيّ دائما مجنّا لخدمة القبيلة والدفاع عن قضاياها المختلفة، وكان الشاعر لسان قومه ومحاميهم، والذائد عن أحسابهم وأنسابهم، كان جهاز إعلامهم في الحرب والسلم.

يقول أبو حاتم الرازي عن الشعر العربيّ: "وجعلوا رويه في ذكر الأحساب والمآثر، ومدح الملوك والأكابر والنبلاء من الناس، وفي ذكر

المثالب، وهجاء أهل الضغائن والأحقاد، وفي ذكر الوقائع والحروب، ونشر كلّ شاعر محاسن أيـام قبيلته ومفاخرها، ومساوي أهل الشنآن والبغضاء لهم."[٥٦].

كما كـان الأدب عامة، والشعر خاصة، وسيلة للتأديب والتهذيب، ونشر الحكمة وفضائل الأخلاق، وللتثقيف والتعليم وصقل اللسان. كان – في مختصر من القول – ديوان العرب.وكلّ ذلك يفسّر لنا هذا الاحتفاء الكبير به وبقائله، وهذه الدعوة اللحوح إلى حفظه وتدوينه والتمثل به ولا شكّ أن النظر إلى الأدب على أنه خطاب جماليّ نفعيّ، يتوخى الفرد والجماعة، ويرتبط بقضايا الأمة المختلفة، وليس مجرد خطاب لغوي جماليّ فقط، لا وظيفة له ولا غرض ينهض به إلا الإطراب وإظهار المهارة اللفظية؛ لا شك أنّ مثل هذه النظرة سوف تستحضر المتلقي بقوة، وسوف تكون عنايتها به عناية حارة، على مثل هذا النحو الذي نجده في التراث العربيّ الأدبيّ: إبداعا وتنظيرا.

٢- الوضوح:

كان من ثمرة الاهتمام بالمتلقي نزوع البلاغة العربية إلـى الـوضـوح، ونفرتها من التعقيد والغموض، واجتناب كلّ ما يمكن أن يعوق اتصال المخاطب بالنصّ، أو يحجبه عن فهمه، أو يؤخر هذا الفهم.

قـال أبـو هـلال العسكريّ: "قـال العربيّ: البلاغة التقرّب من المعنى البعيد، والتباعد من حشو الكلام، وقرب المأخذ. ومثله قول الآخر: البلاغة تقريب ما بعُد من الحكمة بأيسر الخطاب. "وقال أبو هلال: "والتقرّب من المعنى البعيد، وهو أن يعمد إلى المعنى اللطيف فيكشفه، وينفي الشواغل عنه، فيفهمه السامع من غير فكر فيه، وتدبّر له.."[٥٧]

وقـال بعضهم: "شـرّ الشعر ما سئل عن معناه، وأحسنه ما كان لفظه أقرب من معناه إلى قلبك."[٥٨]

ومن الملاحظ أن جماليات الكلام في البلاغة العربية تـدلّ جميعها على الاتصال والإبانة والانكشاف؛ كالفصاحة، والبيان، والإعراب، والبلاغة نفسها، فهي من البلوغ؛ لأنّ الكلام البليغ يبلغ المتلقي ويؤثر فيه.

إنّ خطابا أدبيا يحتفي بالمخاطب هذا الاحتفاء لا بد أن يكون خطابا واصلا إليه، سواء أكان من العامة أم من الخاصة، وخير الكلام عند العرب ما فهمته العامة، ورضيته الخاصّة، وهو عندئذ خطاب استوفى أمرين هامين لابدّ منهما في أي خطاب أدبيّ ناجح، وهما: الفنية والوصول.

ولذلك كان الوضوح الذي دعت الذي دعت إليه البلاغة العربية - مراعاة للمخاطب، وحرصا على إفهامه - لا يعني السطحية والابتذال، ولا يعني التعبير المباشر الخالي من التخييل والتصوير؛ فذلك أصلا أبعد ما يكون عن لغة الأدب عامّة، وعن لغة الشعر خاصّة. ولكن الوضوح الذي قررته البلاغة العربية يعني – في مفهومه العامّ- بلوغ النص المتلقي، وعدم انغلاقه دونه، كما هو حاصل في نماذج كثيرة من الشعر الحداثي في هذه الأيام، حتى أصبحنا نسمع من يتبجح بالقول:

لن تفهموني دون معجزة

لأنّ لغاتكم مفهومةْ

إنّ الوضوح جريمةْ[٥٩]

٢- التجويد اللغويّ:

ولتقدير المتلقي، وتقديم خطاب ممتع مفيد له لم يكن الإفهام الذي يحرص عليه الأسلوب البلاغيّ إفهاما عاديا، بل هو الإفهام بالوسائل الفنية، واللغة الرفيعة العالية؛ لأنّ القول الأدبيّ هو تشكيل لغويّ متميّز، هو تشكيل خارج على التعبير المألوف، واللغة العادية، تعبير يتميّز بالعدول أو الانزياح. وقد بين الجاحظ أن العتابي عندما قال: " كلّ من أفهمك حاجته من غير إعادة، ولا حبسة، ولا استعانة، فهو بليغ"[٦٠] لم يكن يعني الإفهام العادي، بل كان يعني الإفهام البليغ، الإفهام بلغة أهل الفصاحة والأدب.

يقول الجاحظ: "وإنما عنى العتّابيّ إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء"[٦١]

وذلك أن التشكيل البلاغيّ للأسلوب لا يهدف إلى إفهام المخاطب فحسب، ولكنه يهدف كذلك إلى إمتاعه، وإلى إحداث الدهشة والإبهار له.

ومن ثمّ فإنّ من وجوه عناية البلاغة بالمتلقي عدّها الأسلوب عدولا عن المعيار، وهي بذلك تلتقي مع الأسلوبية المعاصرة التي ميّزت بين اللغة الأدبية ولغة الكلام العادي، وعدّت الأسلوب الأدبيّ طفقا من الانحرافات عن اللغة العادية، يقوم على التغريب.[٦٢] ويقوم على الإبهار والمفاجأة؛ أي على مفاجأة المتلقي باستعمالات لغوية لم يألفها، فتحدث له الدهشة والإمتاع.

يقول ريفاتير: "إن التأثير الأسلوبيّ هو محصّلة حقيقية ناتجة عن مفاجأة المتلقي باستعمال وسائل أسلوبية لا يتوقعها، وتخرج على ما عهده في سياق معين.."[٦٣]

وهو ما دعت إليه البلاغة العربية؛ في سعيها إلى تقديم معايير لتجويد الألفاظ والعبارات، خدمة للمعاني، وعرضها بأسلوب باهر مدهش يجتذب المتلقي، ويؤثر فيه.

كان الجاحظ يدعو إلى هذه العناية، فيقول عن أسلوب الشعر: " إنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[٦٤]

وكان ابن رشد شديد الوضوح وهو يتحدّث عن العدول الذي يميّز لغة الشعر من اللغة العادية، ولولا هذا العدول لما كان الكلام شعرا. يقول: "إذا غيّر القولُ الحقيقيُّ سمي شعرًا – أو قولًا شعريًا – ووجد له فعل الشعر، مثال ذلك قول القائل:

ولما قضينا من منى كل حاجة

ومسّح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطي الأباطح

وإنما صار شعرًا من قبل أنه استعمل قوله: أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا، وسالت بأعناق المطي الأباطح، بدل قوله: تحدثنا، ومشينا.

وكذلك قوله:

بعيدة مهوى القرط

إنما صار شعرًا؛ لأنه استعمل هذا القول بدل قوله: طويلة العنق.

وكذلك قول الآخر:

يـــــادار، أيـــن ظـبـــاؤك الـلـعـسُ

قـد كـــان لـــي فـــي إنـسـهـا أنـس

إنما صار شعرا؛ لأنه أقام الدار مقام الناطق بمخاطبتها، وأبدل لفظ النساء بالظباء، وأتى بموافقة الإنس والأنس في اللفظ..

وأنت إذا تاملت الأشعار المحركة وجدتها بهذه الحال. وماعري من هذه التغييرات فليس فيه من معنى الشعرية إلا الوزن فقط ".[٦٥]

إنّ عناية البلاغة بالأسلوب، ووضع المعايير الجمالية المختلفة له لم يكن غاية في حدّ ذاتها، ولكنه كان وسيلة لخدمة المعاني، كي تصل إلى المتلقي في أبهج صورة، فتكون شائقة مؤثرة.

يقول ابن جني: "اعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمّة، وعليها أدلّة، وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصّلة؛ عنيت العرب بها، فأولتها صدرا صالحا من تنقيتها وإصلاحها.."[٦٦]

خاتمة

إنّ الظاهرة الأدبية لأعقدُ من أن تُختزل في عنصر من العناصر، وإنّ السلطة في تشكيلها ليست سلطة المؤلف وحده، ولا النصّ وحده، ولا المتلقي وحده، كما قالت بذلك بعض المناهج الغربية المعاصرة، بل هي حصيلة ذلك كلّه، وهذه العناصر جميعها تؤثر في إنشائها، وفي صياغتها على أسلوب معيّن.

إنّ أسلوب الظاهرة الأدبية ليس أحادي الجانب، ولكنه منفتح على جميع المكونات والمؤثرات والعناصر.

وهـذا ما لاحظـه النقـد والبلاغـة العربيان؛ فكان لجميع عناصر الاتصال -التي تحدُثت عنها الأسلوبية المعاصرة، وأدركتها من قبلها البلاغة العربية – حضوره الواضح فيهما.

عنيت البلاغة بالمؤلف والنصّ، وبيّنت دور كلّ منهما وأثره في تشكيل الأسلوب على هيئة من الهيئات. وركّزت على المقام الذي يعني المخاطب/ المتلقي، والموقف، فلاحظت أنّ هنالك مقتضيات تناسب كلا منهما، ولا بدّ أن يراعيها كلّ متكلّم بليغ حتى يكون أسلوبه مؤثرا فعّالا. إنّ البلاغة – في جوهر تعريفها- " مراعاة مقتضى الحال " و "لكلّ مقام مقال".

وقد توقّف هذا البحث – باختصار- عند المؤلف / المرسل، والنص/ الرسالة، والموقف أو السياق، ثمّ تخصص في الكلام على المخاطب، أو المتلقي/ المرسل إليه، فبيّن حضوره القويّ في البلاغة العربية، وعنايتها الفائقة به، حتى كاد يستأثر بأغلب الاهتمام.

عنيت البلاغة العربية بأن يتشكّل الأسلوب في ضوء معرفة المخاطب، وإدراك أحواله المختلفة: نفسيا، وثقافيا، واجتماعيا، وطبقيا، ونوعا؛ إذ هو المستهدف بالخطاب الأدبـيّ؛ فالخطاب الأدبـيّ العربيّ: شعرا، ونثرا، كان موجها للتعبير عن قضايا المجتمع والناس، وكان ذا وظيفة اجتماعية، أو سياسية، أو دينية، أو خلقية، أو تربوية، أو غير ذلك؛ أي كان – في مختصر من القول- خطابا غيريا جمعيا. وإنه لحقيق بخطاب من هذا القبيل أن يكون للمتلقي فيه حضور باهر، وأن تكون مراعاته هدف المبدع والناقد على حدّ سواء.

وبسبب هذا الاهتمام بالمتلقي عنيت البلاغة العربية أن يحمل الخطاب الأدبيّ المتعة والفائدة،

وأن يكون واضحا وضوحا فنيا، لا ينغلق على المخاطب، ولا يعتاص عليه، وأن يصاغ بلغة متميزة عالية، لغة منزاحة عن لغة الكلام العاديّ؛ حتى يتحقّق التأثير في المتلقي/ مستقبل الرسالة، بل حتى يتحقق الإبهار والإدهاش.

وقد بيّن البحث- من خلال مقارنات موجزة بين البلاغة العربية والأسلوبية المعاصرة- سبق هذه الأولى إلى كثير من النظرات والأفكار التي دعت إليها أحدث المناهج النقدية الغربية، ولا سيما " نظرية التلقي، أو استجابة القارئ" التي حسب بعض المعاصرين المنبهرين بها أنّ العناية بالمتلقي هي فتح من فتوحها.

الحواشي

١- نحو أسلوبية جديدة، فيلي ساندرس، ترجمة: خال محمود جمعة: ص ٩٥ "دار الفكر، دمشق: ١٤٢٤/٢٠٠٣".

٢- عبد الله الغذّامي، نقد ثقافيّ أم نقد أدبيّ، ص١٢ " بالاشتراك مع عبد النبي إصطيف، دار الفكر، دمشق: ١٤٢٥/٢٠٠٤.

٣- منهاج البلغاء: ص ٣٤٦، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس: ١٩٦٦.

٤- السابق: ص ٣٤٧.

٥- انظر: موسى ربايعة "الأسلوبية: الاتصال والتأثير" ص٢٨ " مجلة علامات، ج٢٧/م٧/ذو القعدة: ١٤١٨/مارس: ١٩٩٨".

٦- نحو أسلوبية لسانية: ص١٩٠، وانظر "الأسلوبية: منهجا نقديا" محمد عزّام، وزارة الثقافة، دمشق: ١٩٨٩.

٧- دلائل الإعجاز: ص٣٣٩.

٨- نحو نظرية أسلوبية لسانية: فيلي ساندرس، ترجمة: خالد محمود جمعة "دار الفكر، دمشق: ١٤٢٤/٢٠٠٣" ص٢٩.

٩- السابق نفسه.

١٠- السابق: ص٣٢.

١١- السابق: ص٣٠.

١٢- نحو نظرية أسلوبية لسانية: ص١٦٥.

١٣- الوساطة بين المتنبي وخصومه،

١٤- المثل السائر: ١٦٨/١، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة: ١٣٨١/١٩٦٢.

١٥- أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٩٥.

١٦- البيان والتبيين: ١١٦/١.

١٧- العمدة: ٢٣١/١، وانظر مفتاح العلوم للسكاكي: ص٩٥ "البابي الحلبي، القاهرة: ١٩٩٠".

١٨- الإيضاح: القزويني: ص٨٠، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٣٩١/١٩٧١.

١٩- مفتاح العلوم: ص٩٥، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٣".

٢٠- الأسلوبية اللسانية، أولريش بيوشل، ترجمة خالد محمود جمعة، ص١١٧ "مجلة نوافذ، العدد ١٣، جمادى الآخرة: ١٤٢١/ سبتمبر: ٢٠٠٠".

٢١- نحو نظرية أسلوبية لسانية: ص٤١.

٢٢- الحيوان: ٣٦٨/٣.

٢٣- طبقات فحول الشعراء: ١٤٠.

٢٤- الموشّح: ١٠٣.

٢٥- السابق: ٣٢٦.

٢٦- انظر في تفصيل هذه المسائل:

peter Trudgill. Sociolinguistics. Penguin Books, England: 1981.

٢٧- انظر " نظريات التلقي" لجان لوي دوفان، ترجمة: منذر عيّاشي " مجلة البيان الكويتية،

٢٨- انظر "الأسلوبية: الاتصال والتأثير" لموسى ربايعة

"مجلة علامات، ج٢٧/مجلد٧، ذو القعدة: ١٤١٨/ مارس: ١٩٩٨" ص٣٢.

٢٩- نحو نظرية أسلوبية: ص١٢٧.

٣٠- انظر "نظرية اللغة الأدبيـة" لخوسيه ماريا إيفاتكوس، ترجمة: خالد أبو أحمد "مكتبة غريب، القاهرة: ١٩٩٢" ص٨٩.

٣١- الأسلوبية اللسانية: ص١١٧.

٣٢- بلاغة الخطاب وعلم النصّ: صلاح فضل: ص٢٥ " سلسلة عالم المعرفة، العدد: ١٦٤، الكويت: ١٤١٣/١٩٩٢.

٣٣- السابق: ص ٢٦.

٣٤- العمدة: ص ٢٣٠ "شرح صلاح الدين الهوّاري، مكتبة دار الحياة، مصر: ١٩٩٦".

٣٥- البيان والتبيين: ١١٦/١.

٣٦- اللغة العربية معناها ومبناها: ص٢٧٢ "عالم الكتب، القاهرة: ١٩٩٨".

٣٧- نظريات التلقي، لجان لوي دوفان، ترجمة منذر عياشي، ص ٨٩ " مجلة البيان الكويتية، " وانظر كذلك " نظريات التلقي" فرانك شو يرويجن، ص ٩٨ " مجلة علامات، مارس: ١٩٩٨".

٣٨- الإيضاح: ص٩٢.

٣٩- السابق: ص ٩٤.

٤٠- انظر تفصيل ذلك في الإيضاح: ص٢١٤.

٤١- منهاج البلغاء: ٣٤٨.

٤٢- عيار الشعر: ٢٠٤- ٢٠٥.

٤٣- السابق: ٢٠٧- ٢٠٨.

٤٤- ديوان الحطيئة: ص ٣٣٥ " تحقيق نعمان طه، القاهرة، مكتبة الخانجي: ١٩٨٧.

٤٥- البيان والتبيين: ١/ ١٣٩.

٤٦- الحيوان: ٣/ ٣٦٩.

٤٧- البرهان في وجوه البيان: أبو الحسن ابن وهب: ص ١٩٥-١٩٦ "تحقيق حفني محمد شرف، القاهرة: ١٣٨٩/١٩٦٩".

٤٨- السابق ص ١٥٣-١٥٥.

٤٩- الوساطة: ص ٦٩.

٥٠- الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني: ١٦٢/٣ "دار الكتب المصرية، القاهرة".

٥١- العمدة: ٢٣١/١ شرح صلاح الدين الهواري، دار مكتبة الهلال، بيروت: ط أولى.

٥٢- أدب الكاتب: ص١٢٠ تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت:

٥٣- الأغاني: ١ / ١١٩.

٥٤- العمدة: ٢ / ١٢٤.

٥٥- السابق.

٥٦- الزينة في أسماء الكلمات الإسلامية: ص٣٩ "تحقيق: حسين بن فضل الله الهمذاني، مطبعة الرسالة، القاهرة: ١٩٥٧".

٥٧- الصناعتين: ص٥٣، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ١٩٧١.

٥٨- جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب: أبو بكر الشنتريني: ص٣٧٠ " تحقيق محمد قزقزان، وزارة الثقافة، دمشق:

٥٩- محمود درويش.

٦٠- البيان والتبيين: ١١٣/١.

٦١- السابق: ١٦٢/١

٦٢- النظرية الأدبية الحديثة: آن جفرسون، وديفيد روبـي، ترجمة: سمير مسعود، وزارة الثقافة، دمشق: ١٩٩٢.

٦٣- الأسلوبية اللسانية: ص ١٢٤.

٦٤- الحيوان: ١٣١/٣.

٦٥- تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر لابن رشد: ١٤٩-١٥١، تحقيق تشارلس بترورث، وأحمد هريدي، الهيئة المصرية العامة ن القاهرة: ١٩٨٧.

٦٦- الخصائص: ٣١٢/١ "تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت: ط ثانية".

المصـــادر والمراجع

- أدب الكاتب: ابن قتيبة، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٢/ ١٩٨٢.
- الأسلوبية، منهجا نقديا: محمد عزّام، وزارة الثقافة، دمشق: ١٩٨٩.
- الأغاني أبو الفرج الأصبهاني " مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بيروت، " د. ت".
- البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة: ١٣٩٥/١٩٧٥.
- بلاغة الخطاب وعلم النصّ: صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، العدد: ١٦٤، الكويت، صفر: ١٤١٣/آب:١٩٩٢.
- تلخيص كتاب أرسطو في الشعر: ابن رشد، تحقيق: تشارلس بترورث، وأحمد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٨٧.
- جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب: أبو بكر الشنتريني، تحقيق: محمد قزقزان، وزارة الثقافة، دمشق:
- الحيوان: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون: عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢.
- الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت: ط ثانية.
- الزينة في أسماء الكلمات الإسلامية: أبو حاتم الرازي، تحقيق: حسين بن فضل الله الهمذاني، مطبعة الرسالة، القاهرة: ١٩٥٧.
- طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- العمدة: ابن رشيق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت: ١٩٧٢م. وطبعة بشرح صلاح الدين الهواري، دار مكتبة الهلال، بيروت: ط ثانية.
- عيار الشعر ابن طباطبا تحقيق عبد العزيز المانع دار العلوم، الرياض: ١٤٠٥/١٩٨٥.
- المثل السائر: ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة:١٣٨١/١٩٦٢.
- المقدّمة: ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة: ١٩٦٠.
- منهاج البلغاء: حازم القرطاجني، تحقيق محمد ابن الخوجة، تونس: ١٩٦٦.
- نظرية اللغة الأدبية: خوسيه ماريا ايفاتكوس، ترجمة خالد أبو أحمد، مكتبة غريب القاهرة: ١٩٩٢.
- نقد ثقافي أم نقد أدبيّ: عبد الله الغذّامي، وعبد النبي إصطيف، دار الفكر، دمشق:١٤٢٥/٢٠٠٤.
- الموشح: المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر:١٣٨٥/١٩٦٥.
- الوساطة:الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي " عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ١٣٨٦/١٩٦٦

PETER TRUDGILL, SOCIOLINGUISTICS, PENGUIN BOOKS ENGLAND,1982:p 54

المجلات:

- مجلة البيان الكويتية.
- مجلة علامات السعودية.
- مجلة نوافذ السعودية.

الأُسر الشاعرة
أسرة سُلمي بن ربيعة الضّبّي

أ. د. عبداللطيف حمودي الطائي
جامعة بغداد – كلية الآداب
العراق

عرف الشعر العربي منذ القدم الأسر الشاعرة أو البيوتات الشاعرة؛ من مثل بيت شاعر الحكمة والسلام زُهير بن أبي سلمى؛ وبيت الشاعر حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري؛ وبيت الشاعرة المخضرمة الخنساء بنت الشريد السُلمي؛ وبيت شاعر النقائض جرير بن عطية الخُطفي؛ وغيرها من الأسر والبيوتات المعروفة والمشهورة في الشعر العربي؛ واليوم نقف على بيت اشتُهرَ ابناؤهُ بالفروسية والشعر معًا؛ وهذا البيت هو بيت سُلميُ بن ربيعة الضّبّي؛ فمن هم شعراء هذا البيت؛ هذا ما سنقف عليه في هذا البحث؛ وفي أدناه مخطط لشعراء أسرة سُلمي بن ربيعة:

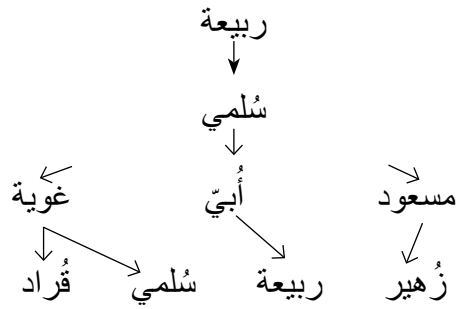

رأس هذه الأسرة الشاعرة؛ هو الشاعر سُلمي بن ربيعة بن زبان بن عامر من قبيلة ضبّة؛ شاعر عاش في الجاهلية[1]؛ وأنجب ثلاثة أولاد؛ اثنان منهما شاعران هما: أُبَيُّ و غوية[2]؛ وأما الثالث فهو مسعود الذي لم تذكر لنا المصادر القديمة عنه شيئًا؛ ولا نعرف هل كان مسعود شاعرًا أم لا؛ إلا أنَّ تلك المصادر قالت لنا: إنَّ لمسعود ابنًا شاعرًا هو زُهير بن مسعود بن سُلمي من الشعراء الفرسان؛ وفي هذا البحث سأقوم بجمع ما بقي من شعر كل شاعر من شعراء هذه الأسرة؛ وسيكون عملي هو التعريف بالشاعر أولًا؛ ثم ذكر شعره متسلسلا حسب قوافيه مع ذكر البحر الذي ينتسب إليه الشعر؛ جاعلاً مصادر التخريج واختلاف الرواية مباشرة بعد الشعر؛ أما ترتيب مصادر التخريج فسيكون حسب قدم المصدر؛ وليس حسب الكثرة والقلة؛ أما معاني المفردات الصعبة والغامضة؛ فمصادرها هي مصادر تخريج الشعر؛ وإن لم يكن؛ فسيكون لسان العرب؛ هو مصدر معاني المفردات الصعبة والغامضة؛ وسيكون موضعها في الهامش.

شعر أُسرة سُلمي بن ربيعة الضبّي الذي وقفت عليه؛ فهو موزع كما يأتي:

١) سُلمي بن ربيعة رأس الأسرة وبلغ مجموع شعره الذي وقفت عليه هو: (٢٣) ثلاثة وعشرين بيتًا هي كالآتي:

- قصيدة قصيرة قوامها أحدَ عشر بيتًا.
- قصيدة قصيرة قوامها ثمانية أبيات.
- قطعة مكونة من أربعة أبيات.

٢) أُبيّ بن سُلمي وقفت له على قصيدة قصيرة واحدة قوامها ثمانية أبيات.

٣) ربيعة بن أبيّ فقد ضاع شعره ولم أقف له إلا على بيتٍ واحدٍ.

٤) غوية بن سُلمي وبلغ مجموع شعره (١٧) سبعة عشر بيتًا هي كما يأتي:
- قطعة مكونة من ستة أبياتٍ.
- قطعة ثانية تتكون من ستة أبياتٍ أيضًا.
- قطعة ثالثة تتكون من ثلاثة أبياتٍ.
- نتفة (بيتان) فقط.

٥) سُلمي بن غوية وقد وقفت له على (١٧) سبعة عشر بيتًا هي كما يأتي:
- قصيدة قصيرة قوامها اثنا عشر بيتًا.
- قطعة تتكون من خمسة أبياتٍ.

٦) قُراد بن غوية ووقفت له على (٩) تسعة أبيات هي كما يأتي:
- قطعة تتكون من ستة أبياتٍ.
- قطعة تتكون من ثلاثة أبياتٍ.

ديوان شعر الأسرة

ما بقي من شعر سُلمي بن ربيعة؛ ووصل إلينا هو كما يأتي:

(١)

قال سُلمي بن ربيعة الضبّي يصفُ مجلسَ شرابٍ[٣]:

من البحر الطويل

١- هلُمَ خليلي والغوايةُ قد تُصبي
هلُمَ نُحَيي المنتشينَ من الشربِ
٢- نسِلُ سخيماتُ الرجالِ بشربةٍ
ونَجري السرورَ اليومَ باللهوِ واللعبِ
٣- إذا ما تراختْ ساعةٌ فاجعلْنَها
بخيرٍ فأنَّ الدهرَ أعضلُ ذو عتبِ
٤- فإن يكُ خيرًا أو يكنْ بعضَ راحةٍ
فأنتَكَ لاقٍ من همومٍ ومن كربِ

التخريج:

القطعة في تعليق من أمالي ابن دريد: ٣٥

(٢)

كان سُلمي بن ربيعة من أغنياء قبيلة ضبّة إلا أنَّهُ كان مبذرًا ومتلافًا للمال، وتبعًا لذلك فهو يُعرض نفسه للمتاعب والمشاكل، وعلى أثر ذلك فارقتهُ زوجهُ تماضر؛ والتحقت بأهلها، فندم على فراقها، وأخذ يتلهف عليها؛ ويتحسر في أثرها؛ لذلك قال هذه القصيدة[٤]:

من البحر الطويل

١- حلّتْ تماضرُ غربةً فاحتلتِ
فلجًا وأهلكَ باللوى فالحلتِ[٥]
٢- وكأنَّ في العينينِ حبُّ قرنفلٍ
أو سنبلًا كحلتْ بهِ فانهلتِ[٦]
٣- زعمتْ تماضرُ أنَّني أما أمتْ
يسدِدُ أبينوها الأصاغرَ خلتي
٤- تربتْ يداكَ وهلْ رأيتَ لقومهِ
مثلي على يُسري وحينَ تعلتي

٥- رجـــلًا إذا ما الحادثاتُ غشـــــينهُ

أكفـــى لمعضلـــةٍ وإنْ هـــيَ جلتِ[٧]

٦- ومنـــاخِ نازلـــةٍ كفيـــتُ وفـــارسٍ

نـهلـــتْ قناتي مـــن مطـــاهُ وعلتِ

٧- وإذا العـــذارى بالدخـــانِ تـقنعتْ

واســـتعجلتْ نصبَ القـــدورِ فملتِ

٨- دارتْ بـــأرزاقِ العُفـــاةِ مغالـقٌ

بيدي من قمعِ العشـــارِ الجلـــةِ[٨]

٩- ولقـــدْ رأيتُ ثأيَ العشـــيرةِ بينها

وكـفيـــتُ جـانيها اللتيـــا والـتـــي[٩]

١٠- وصفحتُ عن ذي جهلها ورفدتها

نُصحي ولـــم تُصِبْ العشـــيرةَ زلتي

١١- وكـفيـتُ مـولايَ الأحمَ جريرتي

وحبستُ سائمتي على ذي الخلـــةِ[١٠]

التخريـــــــج:

- القصيدة في النوادر في اللغة: ١٢١

- القصيدة في ديوان الحماسة: ١٥٥

- القصيدة في تعليق من أمالي ابن دريد: ١١١ معزوة لسُليم بن ربيعة، وهو تصحيف.

- القصيدة في أمالي القالي: ٨١/١.

- البيت الأول في البارع: ٦٤١.

- القصيدة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٥٤٦/٢.

- القصيدة في شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري: ١/ ٣٤٨.

- البيت الأول في معجم ما استعجم، مادة: فلج

- القصيدة في سمط اللآلئ: ٢٦٧/١.

- البيت التاسع في فصل المقال: ٣٧٠.

- القصيدة في شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢١٢/١.

- البيت الثاني في الأمالي الشجرية: ٢٥/١.

- البيت الثاني في شرح جمل الزجاجي: ٢٢٧/١، ١/ ٤٥٤، ٦٢١/١.

- البيت الثالث في اللسان، مادة: خلل.

- الأبيات من ٣ ١١ في التذكرة السعدية: ١٠٩.

- البيت السادس في خلق الإنسان في اللغة: ٢٨٢.

- البيت الرابع في الأضداد لأبي الطيب اللغوي: ١/ ١١٦ بدون عزو.

- البيت الثاني في شرح اختيارات المفضل للتبريزي: ١٦٩١/٣ بدون عزو.

- الأبيات ٣، ٤، ٥، ٩، ١٠، ١١، في الأشباه والنظائر: ٤٢/٢ بدون عزو.

- البيت الثالث في شرح المفصل: ٥/٩، ٤١/٩ بدون عزو.

- البيت السابع في شرح المفصل: ١٠٤/٥.

- القصيدة في الأصمعيات: ١٦١ معزوة لعلباء بن أرقم، وهو وهم من الأصمعي.

- البيت الأول في معجم ما استعجم، مادة: الحلة، معزوا لبعض بني ضبة.

اختلاف الرواية:

٢- فكأنَّ ٠٠٠٠ في سمط اللآلئ.

٣- ٠٠٠٠ أُمامة ٠٠٠٠٠ في الأشباه والنظائر.

٥- ٠٠٠٠ النائبات ٠٠٠ في أمالي بن دريد وفي الأشباه والنظائر.

(٣)

وقال أيضًا:

من البحر مخلع البسيط

١- إنْ شـــواءٌ ونشـــوةٌ
وخبـــبُ البـــازلِ الأمـــونِ[١١]

٢- يجثمُهـا المـرءُ فـي الهـوى
مســـافةَ الغائـطِ البطيـنِ[١٢]

٣- والبيـضُ يرفلـنَّ كالدُمـى
فـي الريـطِ والمذهبِ المصـونِ[١٣]

٤- والكثـرُ والخفـضُ أمنًـا
وشـرعُ المزهـرِ الحنـونِ[١٤]

٥- مـن لـذة العيـش والغنـى
للدهـر والدهـر ذو فنـون

٦- والعمـرُ كاليسـرِ والغِنـى
كالعـدمِ والحـي للمنـونِ[١٥]

٧- أهلكـنَّ طسـمًا وبعـدهُ
غـذى بهـم وذا جـدونِ[١٦]

٨- وأهـلُ جـاشٍ ومـأربٍ
وحـي لقمـانَ والتقـونِ[١٧]

التخريـج:

- القصيدة في ديوان الحماسة: ٣٣٠.
- البيتان الرابع والخامس في تهذيب اللغة: ١٧٥/٨.
- الأبيات ٦، ٧، ٨، في تهذيب اللغة: ٩/ ٦١.
- البيتان الأول والسادس في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١١٣٧/٤ معزوان الى سُلم بن ربيعة وهو تصحيف.
- البيتان الأول والسادس في شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري: ٦٩٢/٢.
- البيت الثامن في معجم ما استعجم: مادة جأش.
- البيت الثامن في معجم ما استعجم: ٢/ ٣٥٨.
- القصيدة في شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٣/٢ ١٤.
- الأبيات ٦، ٧، ٨، في اللسان، مادتي: بهم، تفن.
- البيتان الخامس والسابع في اللسان، مادة: غذا.
- الأبيات ٥، ٦، ٧، ٨، في البيان والتبيين: ١/ ١٩٠ بدون عزو.

اختلاف الرواية:

٥- ما ٠٠٠٠٠٠٠ في البيان والتبيين.

٦- اليسرُ للعسر والشغن ٠٠٠ في البيان والتبيين.

٦- واليسرُ كالعسر والغنى كالـ٠٠٠٠عدم

والحياة كالمنون، في تهذيب اللغة، وفي اللسان.

٧- أهلك طسما وقبل طسمٌ أهلك عادا وذا جدون، في البيان والتبيين.

٧- أهلك طسما بعدهم غذى بهم وذا جدون، في اللسان.

أما وَلَدَيْ سُلمي الشاعران فهما:

أولًا: أبيّ وهو أبَيّ بن سُلمي بن ربيعة بن زبان بن عامر من بني ضبّة شاعر جاهلي[١٨]، وهذا وهم من أبي عبيد البكري؛ فأبيّ شاعر أدرك الإسلام؛ وهو بذلك من المخضرمين؛ والبيت الرابع من هذه القصيدة يؤكد ما أقول به من خلال استخدام الشاعر للفظة البراق، والبراق هي الفرس التي ارتقى ظهرها، خير الأنام النبي محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) حينما أُسري به الى السماء العُلا؛ ولم يصل إلينا من شعر أُبيّ إلا هذه قصيدة التي قالها في وصف سرعة فرسه.

قال أبيّ يصف فرسه:

من البحر المتقارب

١- وخيلٍ تلاقيتُ ريعانها

بعجلزةِ جَمزى المدكرْ[١٩]

٢- جَموم الجراءِ إذا عُوقبتْ

وإن نُوزقتْ برزتْ بالخضرْ[٢٠]

٣ - سبوحٌ إذا إعترضتْ بالعنانِ

مروحٌ ململمةٌ كالحجرْ[٢١]

٤ - دفعنَّ على نعمٍ كالبُرا

قِ من حيثُ أفضى بهِ ذو شمرْ[٢٢]

٥ - فلوْ طارَ ذو حافرٍ قبلَها

لطارتِ ولكنَّهُ لمْ يطرْ

٦ – فما سَوذنيقُ على مربأ

خفيفِ الفؤادِ حديدُ النظرْ[٢٣]

٧ – رأى أرنبًا سنحتْ بالفضا

فبادرَها ولجاتِ الخمرْ[٢٤]

٨ – بأسرعَ منها ولا منزعٌ

يقمصُها ركضهُ بالوترْ[٢٥]

التخريج:

- القصيدة في ديوان الحماسة: ١٥٧.
- البيتان السادس والسابع في المعاني الكبير: ٣٩/١.
- البيتان الثالث والخامس في الزُهرة: ٧١٤/٢.
- القصيدة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٥٥٣/٢.
- القصيدة في شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري: ٣٥٨/١.
- القصيدة في ديوان الحماسة للتبريزي: ٢١٤/١.
- البيت الخامس في شرح اختيارات المفضل للتبريزي: ١٧٢١/٣.
- البيتان الرابع والخامس في الأنوار ومحاسن الأشعار: ١٤٢ معزوان لأبي بن سلمان وهو تصحيف.
- البيت الثامن في شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: ٣٥٤ بدون عزو.
- البيت الرابع في معجم ما استعجم، مادة: ذو

شمر معزوا لسلمي بن ربيعة.

ـ القصيدة عدا البيت الرابع في حلية المحاضرة:

١/ ١٩٨ معزوة لسلمان بن ربيعة ابن زبان؛ وهو تصحيف.

اختلاف الرواية:

١ـ ..... المدخر، في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

١ـ وليلة أفنيتُ. ..... في حلية المحاضرة.

٢ـ جموح لجري إذا عُوفيتْ وإنْ نوزفت برزتْ بالخصر، في حلية المحاضرة.

٣ـ ..... اعتزمت في العنا...ن؛ في حلية المحاضرة.

٣. ..... اعتزمت؛ في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

٣. ..... اغتمرت؛ في الأنوار ومحاسن الأشعار.

٦ـ ..... مرفأ؛ في حلية المحاضرة.

٦ فما شوذنيق على مرقب كمي الجنان. ... في المعاني الكبير.

٧ـ .. أن ينافسها بالعرا. .... في حلية المحاضرة.

٨ـ .... مفزع. .... يقمصه رخصه؛ في حلية المحاضرة.

٨. .... منه. ... يقمصه؛ في المعاني الكبير، وشرح ما يقع فيه التحريف.

ولأُبَيّ بن سُلمي بن ربيعة ولد شاعر هو: ربيعة بن أبيّ؛ وهو شاعر مخضرم شهد يوم قتلتْ بنو ضبّة بسطام بن قيس الشيباني، وأدرك الإسلام، وشهد يوم الجمل مع السيدة عائشة (رضي الله عنها)[٢٦]؛ وهو الذي قتل حامية أدبار بني عامر؛ قُدامة بن عبدالله بن سلمة بن قُشير في يوم النسار، وكان يومئذ من أرمى الناس[٢٧].

قال ربيعة بن أبيّ الضبّي في يوم الجمل:

من البحر الطويل

١ـ وإذا ساميتُ قومًا ضمتهم

ببني ضَبّةَ أصحابُ الجملْ

التخريج:

البيت في الإصابة: ٥١١/٢

ولم اقف على شعر لربيعة بن أُبيّ غير هذا البيت اليتيم.

ثانيًا: غوية؛ وهو هو غوية بن سُلمي بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة الضّبّي[٢٨]، شاعر جاهلي[٢٩]، فارس منهب[٣٠]، والأحوى[٣١]؛ ومن خلال القطعة الثالثة نفهم أنَّ غوية من الشعراء المعمرين الذين امتد بهم العمر ليصل به عهد الحجاج بن يوسف الثقافي والي الأمويين.

(١)

قال غوية يصف فرسه منهب، بعد أنْ أسر عليه ربيعة بن خويلد عم يزيد الصعق الشاعر:

من البحر الطويل

١ـ تداركَ جري وابتذالي منهبًا

بذاتِ الفضا ربيعةَ بن خويلدِ

٢- أغـرٌ كشـؤبوبُ العشي احتفالهُ
خبـوتٌ كسـرحانِ الفـلاةِ العمـردِ

التخريـج:

البيتان في أسماء خيل العرب لابن الأعرابي: ٤٢

- البيتان في أسماء خيل العرب للغدجاني: ٢٣٠

اختلاف الرواية:

١- تدارك حربي. ... في أسماء خيل العرب للغندجاني.

٢- .... مسحٌ خبوبٌ؛ في أسماء خيل العرب للغندجاني.

(٢)

قال غوية بن سلمي يرثي أخاه أبيّ بن سُلمي:

من البحر الكامل

١- أَ أُبـيُّ لا تبعـدْ وليـسَ بخالـدٍ
حـيٌّ ومـن تصـبْ المنـونُ بعيدُ

٢- أَ أُبـيُّ إنْ تصبحْ رهيـنَ قرارةٍ
زلـجِ الجوانـبِ قعرُهـا ملحـودُ

٣- فلـربَّ مكـروبٍ كـررتَ وراءهُ
فمنعتـهُ وبنـو أبيـهِ شـهودُ

٤- أنفـًا وحميـةً وأنـَّكَ ذائـدٌ
إذ لا يكـادُ الحفـاظِ يـذودُ

٥- ولـربَّ عـانٍ قدْ فككتَ وسـائلٍ
أعطيتـهُ فغـدا وأنـتَ حميـدُ

٦- يُثنـي عليكَ وأنتَ أهـلُ ثنائهِ
ولديـكَ إمـا يسـتزدكَ مزيـدُ

التخريـج:

الأبيات ١، ٢، ٤، ٥، في معجم الشعراء: ١٧٥، والقطعة في ديوان الحماسة: ٢٩٥ بدون عزو.

- الأول والثاني في الزاهـر: ٢/ ٢٦٣

- القطعة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٠٤١/٣ بدون عزو.

- القطعة في شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري: ٦٢٧/١ بدون عزو.

- القطعة في شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١/ ٤٢٩ بدون عزو.

- البيتان الثاني والثالث في اللسان، مادة: ودأ معزوان لزهير بن مسعود.

- القطعة في خزانة الأدب: ٨ /٤١٧ معزوة لعبدالله بن عنمة؛ وهذا وهم من البغدادي.

اختلاف الرواية:

٢- .....هود؛ في معجم الشعراء.

٥- فلربَّ؛ في معجم الشعراء.

(٣)

وقال أيضـا يرثي إخوته وأبناء عمومته ممن قتلوا في أحد أيامهم:

من البحر الوافـر

١- ألا نـادتْ أمامـةُ باحتمـالِ
لتحزننـي فـلا بـكِ ما أبالـي[٣٢]

٢- فسيري ما بدا لكِ أو أقيمي
فأيًا ما أتيتِ فعنْ تقالي[٣٣]
٣- وكيف تروعُني امرأةٌ ببينٍ
حياتي بعدَ فارسِ ذي طلالِ
٤- وبعد أُبي ربيعة عبد عمرو
ومسعود وبعد أبي هلالِ
٥- أصابتهم حميدينَ المنايا
فدىً عمي لمصبحهم وخالي
٦- أولئكَ لو جزعتُ لهم لكانوا
أعزَّ عليَ من أهلي ومالي

التخريج:

- القطعة في ديوان الحماسة: ٢٨٦.
- البيت الأول في الصاحبي في فقه اللغة: ١٠٧.
- القطعة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢/ ١٠٠١.
- البيتان الأول و الثالث في أسماء خيل العرب للغندجاني: ١٠٦.
- القطعة في شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري: ٦٠٩/١.
- القطعة في شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١/ ٤١٥.
- البيت الأول في شرح جمل الزجاجي: ٥٢٣/١.
- الأبيات ١، ٢، ٣، في اللسان، مادة: طلل.
- البيت الأول في اللسان، مادة: بـا.
- البيت الأول في شرح المفصل: ٣٤/٨، ١٠١/٩ بدون عزو.
- البيت الأول في اصلاح الخلل الواقع في جمل الزجاجي: ١٨٩ بدون عزو.
- البيت الأول في اللسان، مادة: أهل، بدون عزو.

(٤)

وقال أيضا:

من البحر الوافر

١- وددتُ مخافةَ الحجاجَ أنَّي
بكابلَ في أستِ شيطانٍ رجيمِ
٢- وددتُ مخافةَ الحجاجَ أنَّي
من الحيتانِ في بحرٍ أعومُ[٣٤]
٣- مقيمًا في مضارطهِ أغني
ألا حي المنازلِ بالمقيمِ

التخريج:

- البيتان الأول والثاني في الوحشيات: ٢٩٥، والبيت الثالث في اللسان، مادة: كبل.
- البيتان الأول والثالث في اللسان، مادة كبل
- البيت الأول في معجم البلدان، مادة: كابل، معزوا لفرعون بن عبدالرحمن.

ولغوية بن سُلمي بن ربيعة ولدان شاعران هما:

أولًا: سُلمي بن غوية وهو سُلمي بن غوية بن سُلمي[٣٥] بن ربيعة بن زبان بن عامر الضّبّي[٣٦].

(١)

قال سلمي بن غوية:

من البحر الوافر

١- عُرِيتُ من الشبابِ وكانَ غضًا
كما يُعَرى من الورقِ القضيبُ
٢- ونُحتُ على الشبابِ بدمعِ عيني
ومنتحبًا فما أغنى النحيبُ
٣- فيا ليتَ الشبابُ يعودُ يوماً
فأخبرهُ بما فعلَ المشيبُ
٤- فيا أسفًا أسفتُ على شبابٍ
نعاهُ الشيبُ والرأسُ خضيبُ
٥- تجلاني وبَيَّضَ عارضي
وغيرني فأنكرني الحبيبُ[٣٧]

التخريج:

الأول والثاني والثالث في نزهة الألباء: ٤٥٧/٢، والقطعة في مجالس ثعلب ٢٤٦/١ بدون عزو.

- البيت الثالث في المغني اللبيب: ٢٨٥/١ بدون عزو.
- البيتان الثاني والثالث في الوحشيات: ٢٨٧ معزوة لأبي العتاهية؛ وهو وهم من أبي تمام.
- الثاني والثالث في ديوان المعاني: ١٥٥/٢ معزوة لأبي العتاهية؛ وهووهم من ابن قتيبة.
- الأول والثاني والثالث في حماسة الظرفاء: ٧/٢ معزوة لحاتم الطائي وهو وهم.

(٢)

وقال سُلمي بن غوية الضّبي:

من البحر الكامل

١- لا يبعدَنَ عهدَ الشبابِ
ولا لذاتهِ ونباتهِ النضرِ
٢- والمرشقاتِ من الخدودِ كأيـ.....
ماضِ الغمامِ صواحبُ القطرِ[٣٨]
٣- وطرادُ خيلٍ مثلها التقتا
لحفيظةٍ ومقاعدِ الخمرِ
٤- لولا أوُلئكَ ما حفلتُ متى
غُوليتُ في حرجٍ الى قبرِ[٣٩]
٥- هزئتْ زبيبةُ أنْ رأتْ ثرمي
وأنْ انحنى لتقادمٍ ظهري[٤٠]
٦- من بعدِ ما عهدتْ فأدلفني
يومٌ يجيءُ وليلةٌ تسري[٤١]
٧- حتى كأنِّي خاتلٌ قنصًا
والمرءُ بعدَ تمامهِ يحري[٤٢]
٨- لا تهزئي مني زينبُ فما
في ذاك من عجب ولا سخر
٩- أو لمْ تري لقمان أهلكهُ
ما أقتات من سنة ومن شهر
١٠- وبقاءُ نسر كلما انقرضتْ
أيامهُ عادتْ الى نسر
١١- ما طال من أمد على لبد
رجعتْ محورتهُ الى قصر
١٢- ولقد حلبتُ الدهر أشطرهُ
وعلمتُ ما آتى من الأمر

التخريج:

- القصيدة في مجالس ثعلب: ١/ ٢٤٥.
- القصيدة في أمالي القالي: ١٧٠/٢.
- القصيدة في الفصوص: ١/ ١٠٩.
- البيتان الأول والثاني في التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه: ١١٤.
- البيتان الأول والتاسع في سمط اللآلئ: ٧٩٠/٢.
- البيتان الخامس والسابع في سمط اللآلئ: ٣٣٢/١.
- القصيدة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩/٤ معزوة لسالم بن عونة وهو تصحيف.
- البيتان الخامس والسادس في المعمرون والوصايا: ٥ بدون عزو.
- الأبيات ٥ ١٢ في الأزمنة والأمكنة: بدون عزو.
- الأبيات ١، ٢، ٤، ٥، في البرصان والعرجان: ١١ معزو للأصبع العدواني وهو وهم من الجاحظ.
- البيت الحادي عشر في حماسة البحتري: ٣٢٤ معزوا لغوية بن سلمي، وأرجح أنه وهم في الاسم بين تقديم وتأخير.

اختلاف الرواية:

٢-..... عصرُ؛ في أمال القالي، ونهج البلاغة.

٤-..... غولبتُ؛ في أمالي القالي.

٥-..... أمامة؛ في حماسة البحتري وسمط اللآلئ.

٥-..... أثيلة؛ في البرصان والعرجان وفي شرح نهج البلاغة.

٦-. ... يمر؛ في حماسة البحتري وفي شرح نهج البلاغة.

٧-. ..... حابل؛ في حماسة البحتري وفي شرح نهج البلاغة.

٨-. ... أمام؛ في حماسة البحتري.

١٠-. ... فلما؛ في الأزمنة والأمكنة.

١١-. ... أيد؛ في الأزمنة والأمكنة.

١٢-. ... محارته؛ في شرح نهج البلاغة.

ثانيا: قُراد بن غوية وهو قُراد بن غوية بن سلمي بن ربيعة بن زبان بن عامر الضّبّي[٤٣]، كان جوادًا شاعرًا جاهليًا[٤٤]، قال أبو زيد الأنصاري: أنَّهُ أدرك الإسلام[٤٥]، ولم يقل لنا هل أسلم أم بقي خارج دائرة الإسلام.

(١)

قال قُراد:

من البحر الطويل

١- ألا ليتَ شعري ما يقولونَ مخارقٌ
إذا جاوبَ الهامَ المصيحُ هامتي

٢- وداليتُ في زوراء يسفي ترابُها
علي طويلًا في ذراها إقامتي[٤٦]

٣- وقالوا ألا لا يبعدنَ أختيالهُ
وصولتُهُ إما القُرومُ تسامتِ[٤٧]

٤- وما البعدُ إلا أنْ أكونَ مغيبًا
عن الناس مني نجدتي وقسامتي

٥- أيبكي كما لوْ ماتَ قبلي بكيتهُ
ويشكرُ لي بذلي لهُ وكرامتي

٦- وكنتُ لـهُ عمًـا لطيفًا ووالـدًا
رؤوفـًا وأُمـًا مهـدتْ وأنـامـتِ

التخريـــج:

- القطعـة في ديوان الحماسة: ٢٨٦ ٢٨٧
- القطعـة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢/ ١٠٠٥.
- القطعـة في شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري: ١/ ٦١٢.
- القطعـة في شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١/ ٤١٦.
- البيت السادس في المستقصي في أمثال العرب: ١/ ٣٦٨.
- القطعـة في النوادر في اللغـة: ٢٣ بدون عـزو اختلا ف الرواية:

١- ... يقول ... في معجم الشعراء.

٢-.... غبراء. ... في ثراها؛ في النوادر في اللغـة.

٣-....إذا؛ في النوادر في اللغـة.

٤-..... وبسالتي في النوادر في اللغـة.

٥-..... ويذكر لي حفظي له وصيانتي في النوادر في اللغـة.

٦-وكنت له أبا رؤوفا وخالة وأما رؤمًا مهدت وأنامت، في النوادر.

(٢)

وقـال قـراد بن غـوية يرثي أخاهُ أبيًّا: من البحر الوافر.

١- لعمـرُكَ مـا خشـيتُ علـى
أبـيّ متالـفٍ بيـنَ قـوٍّ و السـلي

٢- ولكنّـي خشـيتُ علـى أبـيّ
جريـرةَ رمحـهِ فـي كلِّ حـي

٣- فتـى الفتيـانِ محلـولٌ مُمـرٌ
وأمـارٌ بـأرشـادٍ وغـي

التخريـــج:

القطعـة في معجم الشعراء: ٢٠٤.

ثالثا: مسعود بن سُلمي بن ربيعة؛ وهو والد الشاعر الفارس زُهير بن مسعود؛ لم أجد له خبرًا في المصادر التي وقفت عليها ولم أجد له شعرًا؛ ولا أعرف هل كان شاعرًا أم لا؛ ولكن وجدتُ أخاه غوية يرثيه مع جملة من أبناء عمومته الذين قتلوا في أحد أيامهم السالفة في قوله[٤٨]:

وبعـد أُبـي ربيعـة عبـد عمرو
ومسـعود وبعـد أبـي هـلالِ
أصابتهـم حميديـنَ المنـايـا
فـدىً عمـي لمصبحهـم وخالـي
أولئـكَ لـو جزعـتُ لهـم لكانوا
أعـزَّ علـيَ مـن أهلـي ومالـي

ولمسعود ولدٌ شاعرٌ؛ هو الشاعر الفارس زُهير بن المسعود الضّبّي؛ وقد كتبت عنه بحثا مستقلًا؛ ولا أريد أنْ أكرر هنا ما كتبته في بحث مستقل في هذا البحث ومن المؤمل نشره في هذه المجلة (مجلة آفاق التراث).

الخاتمــة: بعـد رحلــة طويلــة ومضنية في مضارب قبيلــة ضبّة؛ حللنا عليهم ضيوفًا لنجمع المعلومات؛ ومن ثمَّ نكتبها بحثًا عن أسرة سُلمي بن ربيعة الضّبّي الشاعرة؛ وفي هذا البحث سطرت أفـراد أسـرته ممن كانوا شـعراء وفرسـان مع تسـجيل ما حفظتـه المصادر؛ ووصـل إلينا من شـعرهم؛ والحمد لله أولًا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحواشي

١ - شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢١١/١

٢ - التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه: ٣٩

٣ - ورد في تعليق في أمالي ابن دريد، أنه سُليم بن ربيعة الضبي، وهو تصحيف: ٣٥

٤ - شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢١١/١

٥ - فلج: وادي في طريق البصرة

٦ - انهلت: سالت

٧ - المعضلة: الداهية

٨ - المغالق: جمع مغلق، وهو سهم الميسر، والقمع: جمع قمعة وهي رأس السنام

٩ - الثأي: الفساد

١٠ - المولى: ابن العم، الأحم: الأقرب، السائمة: المال، الخلة: الحاجة والفقر

١١ - الخبب: ضرب من سير الإبل، التي أكملت تسع سنين، فتكاملت قوتها، الأمون: الناقة التي يؤمن عثارها.

١٢ - الغائط: الأرض الهادئة المطمئنة، البطين: الواسع الغامض.

١٣ - البيض: النساء الحسان، يرفلن: يتبخترن، الريط: جمع ريطة وهي الملاءة الواسعة، المذهب المصون: الثياب الفاخرة المطرزة بالذهب.

١٤ - الكثر: المال الكثير، الخفض: الراحة، الشرع: أوتار العود، الحنون: المطرب من الصوت.

١٥ - المنون: الموت.

١٦ - طسم: قبيلة عربية بائدة، ويقال إنها حي من أحياء اليمن، غذي: السخلة، ذو جدون: هو علس بن الحارث من حمير، وهو أول من غنى باليمن.

١٧ - جاش و مأرب: مواضع باليمن، التقون: الحاذق.

١٨ - سمط اللآلئ: ٢٦٧/١

١٩ - العجلزة: الفرس الصلبة، الجمزى: المسرعة في السير

٢٠ - الجموم: الفرس غير النافذ الجري، النزق: النشاط في أول الجري.

٢١ - سبوح: من سرعتها كأنها تسبح في الماء، اعترضت: جمحت، الململة: المجموعة الصلبة.

٢٢ - البراق: اسم فرس له قدسية سرى به الرسول الكريم الى السماء العلا.

٢٣ - السوذنيق: الشاهين؛ وهي فارسية، المربأ: المكان العالي.

٢٤ - سنحت: برزت، الولجات: جمع ولجة وهي مواضع الولوج والإختفاء، الخمر: ما يواري ويخفي عن النظر من الأشجار.

٢٥ - يقمص: يجري وهو الركض بتحريك الفارس رجليه على الفرس عند استحثاثه على الجري.

٢٦ - الإصابة: ٥١١/٢؛ ويوم بسطام هو يوم الشقيقة وفيه قتل بنو ضبّة بسطام بن قيس سيد بني شيبان.

٢٧ - أيام العرب قبل الإسلام: ٥٤٠/٢

٢٨ - لاحظ ترجمة أبيه سُلمي بن غوية، وقد ورد اسمه مصحفا في الروايات والأخبار فهو غوية في ديوان الحماسة: ٢٨٦، والوحشيات: ٢٩٥، وأسماء خيل العرب لابن الأعرابي: ٤٢، وأسماء خيل العرب للغندجاني: ٢٣٠، وهو غزية في حماسة البحتري: ٣٢٤، وهو عوية في معجم الشعراء: ١٧٥، والتنبيه على أوهام أبي علي في أماليه: ٣٩، والحلبة في أسماء الخيل المشهورة: ٢٥٣، وهو غوي في شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري: ٦٠٩/١، وهو عونة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٠/٤.

٢٩ ـ معجم الشعراء: ١٧٥

٣٠ ـ أسماء خيل العرب لابن الأعرابي: ٤٢، وأسماء خيل العرب للغندجاني: ٢٣٠ والمخصص: ٦/ ١٩٥، والحلبة في أسماء الخيل المشهورة: ٢٥٣.

٣١ ـ حلية الفرسان: ١٥٥

٣٢ ـ الاحتمال: الارتحال

٣٣ ـ تقالي: تباغض

٣٤ ـ البيت الثاني فيه إقواء، وقيل له أقويت، قال: لو كان لي عقل لما أقويت.

٣٥ ـ أمالي القالي: ١٧٠/٢

٣٦ ـ التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه: ٣٩

٣٧ ـ تجلى: تغشى

٣٨ ـ الإرشاف: حدة النظر

٣٩ ـ غوليتُ: رفعتُ، الحرج: السرير الذي يحمل عليه المريض أو الميت.

٤٠ ـ الثرم: انكسار السن

٤١ ـ أدلفه: أي يمشي رويدا

٤٢ ـ يحري: ينقص

٤٣ ـ لاحظ ترجمة أبيه غوية بن سلمي، وجده سلمي بن ربيعة، وقد اختلف في اسمه فقد ذكرته المصادر بعدة تسميات، إذ ورد اسمه في ديوان الحماسة: ٢٨٦، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٠٠٥/٢، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٤١٦/١ (قُراد)، وورد اسمه في شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري: ٦١٢/١ (مُراد)، فيما جاء اسمه في معجم الشعراء: ٢٠٤ (قُران)، وقال ثعلب هو قُران بن رؤبة، وقال غيره قُرانة بن غوية وقيل قُراد بن غوية والراجح عندي هو قُراد بن غوية بن سلمي.

٤٤ ـ معجم الشعراء: ٢٠٤

٤٥ ـ النوادر في اللغة: ٢٣

٤٦ ـ زوراء: القبر

٤٧ ـ القروم: الرؤساء

٤٨ ـ ديوان الحماسة: ٢٨٦

قائمة المصادر

١- الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (ت٤٢١هـ)، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند، حيدر أباد، الدكن، ١٣٣٢ هـ.

٢- أسماء خيل العرب وفرسانها لابن الأعرابي (ت٢٣١هـ) رواية أبي منصور الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، تحقيق د٠ حاتم الضامن، د٠نوري حمودي القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

٣- أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني حققه وقدم له د. محمد علي السلطاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (د.ت).

٤- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين للخالديين، أبي بكر محمد (ت٣٨٠هـ)، وأبي عثمان سعيد (ت ٣٩٠هـ)، ابني هاشم، حققه وعلق عليه د٠ محمد يوسف، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٨م.

٥- الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، حقق أصوله وضبط أعلامه، ووضع فهارسه، علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر (د.ت).

٦- ١٨- إصلاح الخلل الواقع في جمل للزجاجي عبد بن السيد البطليوسي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق وتعليق د٠حمزة عبدالله النشرتي، ط١، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، دار المريخ، الرياض.

٧- الأصمعيات: اختيار الأصمعي (ت٢١٦هـ)، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، ط٤، دار المعارف بمصر، (د.ت).

٨- الأضداد: لآبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) تحقيق عزة حسن، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م، دمشق.

٩- الأمالي وذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي (ت٣٥٦هـ)، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الجيل، بيروت، لبنان، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٠- الأمالي الشجرية إملاء الشريف الإمام الأتقى ضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت).

١١- الأنوار ومحاسن الأشعار- لأبي الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي، تحقيق صالح مهدي العزاوي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

١٢- أيام العرب قبل الإسلام أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، جمع وتحقيق د.عادل جاسم البياتي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٣- البارع في اللغة لأبي علي القالي، تحقيق هاشم الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.

١٤- البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام للطبع والنشر، القاهرة، بيروت، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

١٥- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، مصر.

١٦- التذكرة السعدية في أشعار العربية محمد بن عبدالرحمن بن المجيد العبيدي، تحقيق د. عبدالله الجبوري، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م.

١٧- تعليق من أمالي ابن دريد تحقيق السيد مصطفى السنوسي، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، الكويت.

١٨- التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه أبو عبيد البكري، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٩- تهذيب اللغة ابو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) تحقيق الأستاذ أحمد عبدالعليم البردوني، مراجعة الأستاذ علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).

٢٠- حماسة البحتري أبو عبادة الوليد البحتري (ت٢٨٤هـ) ضبطها وعلق على حواشيها كمال مصطفى، طبع سنة ١٩٢٩م، المطبعة الرحمانية بمصر.

٢١- حماسة الظرفاء أبو محمد عبدالله بن محمد العبدلكاني الزوزني (ت٤٣١هـ) الجزء الأول تحقيق محمد جبار المعيبيد، منشورات وزارة الاعلام، العراق، ١٩٧٣م.

٢٢- حلية الفرسان وأشعار الشجعان علي بن عبدالرحمن بن هذيل الأندلسي، تحقيق وتعليق محمد عبدالغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ١٩٥١م.

٢٣- حلية المحاضرة من صناعة الشعر أبو علي محمد بن عبدالحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق د. جعفر الكناني، دار الرشيد، (د.ت).

٢٤- الحيوان الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢، مصر، (د٠ت)٠

٢٥- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب عبدالقادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

٢٦- خلق الإنسان في اللغة أبو محمد الحسن بن أبي أحمد بن عبدالرحمن، حققه وقدم له أحمد خان، وراجعه وزاد في حواشيه مصطفى حجازي، ط١، الكويت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦ م، منشورات معهد المخطوطات العربية.

٢٧- ديوان الحماسة أبو تمام الطائي، تحقيق د٠ عبدالمنعم أحمد صالح، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م، بغداد.

٢٨- ديوان الحماسة شرح العلامة التبريزي، دار القلم، بيروت، (د٠ت).

٢٩- الزاهر في معاني كلمات الناس أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقي د. حاتم الضامن، دار الرشيد للنشر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، بغداد.

٣٠- الزهرة أبو بكر محمد بن داوود الأصبهاني (ت ٢٩٦هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، ود. نوري حمودي القيسي، ط٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م، الأردن.

٣١- شرح اختيارات المفضل للتبريزي، تحقيق د. فخرالدين قباوة، دار الكتب العالمية، بيروت،

ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٢- سمط اللآلئ ابو عبيد البكري، تحقيق عبدالعزيز الميمني، ١٣٥٤هـ ١٩٣٦م، مصر.

٣٣- شرح جمل الزجاجي ابن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٩هـ) تحقيق د. صاحب أبو جناح، إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، بغداد.

٣٤- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، نشره أحمد أمين، وعبدالسلام هارون، ط١، القاهرة، ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م.

٣٥- شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري دراسة وتحقيق د. حسنن محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ ١٩٩١م، بيروت.

٣٦- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ابو الحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد السكري، تحقيق عبدالعزيز أحمد، ط١، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م، مصر.

٣٧- شرح المفصل الشيخ العالم العلامة موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، (ت٦٤٣هـ) عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، مصر، (د.ت).

٣٨- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، دار الرشاد الحديثة، (د.ت).

٣٩- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها أبو علي الفارسي، حققه وقدم له د. مصطفى الشويحي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.

٤٠- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري (ت٤٨٧هـ)، تحقيق إحسان عباس، وعبدالمجيد عابدين، ط٢، سرقسطة، ١٣٩١هـ ١٩٧٣م.

٤١- كتاب الفصوص في الملح والنوادر والعلوم والآداب – لابي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي (ت ٤١٧هـ) تحقيق محمد السيد عثمان؛ ط ١؛ دار الكتب العلمية؛ ٢٠١١م؛ لبنان.

٤٢- لسان العرب ابن منظور (ت٧١١هـ)، أعاد بناءه على الحرف من الكلمة يوسف خياط، ونديم المرعشلي، دار لسان العرب، بيروت (د.ت).

٤٣- مجالس ثعلب أبو العباس ثعلب (ت٢٩١هـ)، شرح وتحقيق عبدالسلام هارون، ط٢، دار المعارف بمصر، (د.ت).

٤٤- المخصص ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي، المكتب التجاري، بيروت، لبنان، (د.ت).

٤٥- المستقصى في أمثال العرب أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) تصحيح محمد عبدالرحمن خان، ط١، حيدر آباد، ١٩٦٢م.

٤٦- معجم البلدان ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) بيروت، ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م.

٤٧- معجم الشعراء المرزباني (ت٣٨٤هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٤٨- معجم ما استعجم أبو عبيد البكري، عارضه بمخطوطات القاهرة، وحققه وضبطه مصطفى السقا، ط١، ١٣٦٤هـ ١٩٤٥م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

٤٩- المعمرون والوصايا أبو حاتم السجستاني (ت٢٥٠هـ) تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١م، القاهرة.

٥٠- المغني اللبيب عن كتب الأعاريب ابن هشام الأنصاري، حققه وفصله وضبط غرائبه محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت).

٥١- النوادر في اللغة أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، (ت٢١٥هـ)، صححه وعلق عليه سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، ط٢، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م، بيروت، لبنان.

٥٢- الوحشيات أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، علق عليه وحققه عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٩٦٣م.

من مظاهر عناية السلطان أحمد المنصور الذهبي بالخط العربي

عبد الحكيم حمادي خلفي
المغرب

أسهم المغاربة عبر العصور في العناية بالخط العربي بتعلمه وتعليمه، وتطوير رسمه وتنويعه، تاركين بصمتهم المتميزة في حروفه، إلى أن استقل عن الخطوط المشرقية وتمايز عنها في شكله وخصائصه، عبر رحلة طويلة امتدت من الفتح الإسلامي إلى العهد المريني، وهو العهد الذي استكمل فيه الخط المغربي شكله النهائي،[1] ليعرف بعدها اهتماما خاصا من طرف الدولة السعدية، وبخاصة مع سلطانها أحمد المنصور الذهبي.

كان لسلاطين المغرب عموما اهتمام خاص بفن الخط العربي، إذ نجد في تراجم كثير منهم أنهم كانوا يجيدون الكتابة بخطوط منوعة في الحسن، وهو ما أظهروه في مجموعة من المنتسخات التي نسخوها بأيديهم، وبخاصة ما يتعلق منها بنسخ المصاحف الشريفة، وقد سبق لي أن تتبعت تراجم ثلة من هؤلاء السلاطين الذين مارسوا بشكل فعلي فن الخط والكتابة، في بحث سابق،[2] وكان السلطان الذهبي من ضمن من ذكرت، غير أن ما أوردته في حقِّه لم يوفِه حقَّهُ، بالمقارنة مع ما أسداه للخط العربي من خدمات جليلة، وعلى مستويات عديدة، وما زالت فكرة إفراد هذه الشخصية الفذة ببحث يُلملم شَعث ما تفرق من أخباره المتصلة بهذا الموضوع تفرض نفسها بقوة، وبخاصة أننا نفتقر إلى الكتابات التي تناولت هذا الجانب الفني والمشرق من حياته رحمه الله تعالى، وهو الجانب الذي سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال هذا البحث الموسوم بـ: **"من مظاهر عناية السلطان أحمد المنصور الذهبي بالخط العربي"**.

أحمد المنصور الذهبي: السلطان والخطاط:

ملامح من سيرة السلطان أحمد المنصور الذهبي (ت: ١٠١٢هـ)[3]:

إنه واسطة عقد الدولة السعدية بالمغرب الأقصى، ورابع سلاطينها، أبو العباس أحمد المنصور بالله الذهبي، ابن أبي عبد الله محمد

الشيخ السعدي، كانت ولادته بفاس سنة ٩٥٦هـ، ونشأ في دار الملك محاطا بخيرة المربين والمعلمين، وعُـرف منذ حداثة سنه بالنجابة والذكاء، وشارك في السياسة مبكرا، وقد استخلفه أخوه عبد الملك (ت: ٩٨٦هـ)[٤] على فاس وولاه قيادة الجيوش، ثم انتهت إليه الإمرة بعد وفاة أخيه، وعقدت له البيعة بعد فراغه من قتال نصارى البرتغال في المعركة المشهورة بوادي المخازن، سنة ٩٨٦هـ، والتي أبلى فيها هذا السلطان البلاء الحسن.

وتوطد حكمه وتوسعت دولته واستمرت الفتوحات على يديه حتى بلغت بلاد السودان، وتـوات، وتيكورارين،[٥] وغيرها، وقام بعدة إصلاحات شملت مجموعة من الميادين المهمة، كالميدان العسكري، والسياسي، والاقتصادي، والعلمي..

وإضـافـة إلـى مـا عـرف بـه مـن الشجاعة والحكمة وحسن سياسة الدولة، فإنه كان أيضا مولعا بالعلم، ذا همة عالية في تحصيله، حريصا على مجالسة أهله ومذاكرتهم، حتى عُدّ من العلماء، وتضلع في كثير من الفنون، كالتفسير والحديث واللغة والتاريخ والآداب والمنطق وغير ذلـك، وشجع طلبة العلم على الطلب، وأجزل لهم الصلات والجوائز، وأقام المدارس والمعاهد، والجوامع والمساجد، ودور النساخة، وألفت برسم خزانته مئات الكتب، وترجمت في عهده بعض مؤلفات الأوروبيين، وكان رواد بلاطه كبار الشعراء والأدباء، وفطاحل الفقهاء والعلماء، ودخل غمار التأليف، فصنف كتابا في السياسة سماه "المعارف في كل ما تحتاج إليه الخلائف"، وكتابا في الأدعية والأذكـار سماه "العود أحمد"، وله تقاييد على بعض الأحاديث، وقد كانت وفاته رحمه الله سنة ١٠١٢هـ بفاس، وتم نقله إلى مراكش ليدفن بمقابر السعديين.

ملامح من سـيرة الخطاط أحمد المنصور الذهبي:

لقد كان للسلطان المنصور الذهبي مشاركة في علوم عـدة، وخبرة في صناعات جمة، ويـد في فنون شتى، ومـن أبـرز الفنون التي اشتغل بها، وبرع فيها، فن الخط العربي؛ حيث احتفظت لنا كتب التاريخ والتراجم بنصوص دالة على شدة اهتمامه بهذا الفن، وإبداعه في رسم حروفه، وتألقه في تنويع أشكاله، وإتقانه لمجموعة من الخطوط المنوعة، التي وُصفت بالبراعة، والجمال، فقال صاحب سلوة الأنفاس: "ولـه معرفة بأيام الملوك وسياساتها، ونظم رائـق، وخط بـارع، وتآليف حسنة"،[٦] وقال السملالي في الإعـلام: "وقد وقفت على خطه رحمه الله وهو جميل، فقد كتب على الجزء الأول النصف من شرح الدلجي على "الشفا" بخط مشرقي في إلحاقه بحبس والدته على جامع الحرة ونصه: (الوقف صحيح، وكتبه بخطه عبد الله ووليه، أحمد المنصور بالله، أمير المؤمنين، بن مولانا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الشريف الحسني خار الله له بمنه)."[٧]

وكما كان يتقن الكتابة بالخطوط المغربية، فإنه أبدع أيضا في الكتابة بالخط المشرقي، الذي كان يكاتب به علماء المشرق، طلبا لكتابٍ أو لإجازةٍ، أو غيرها، ومن ذلك إرساله لبطاقة بخط يده كتبها بالخط المشرقي، لكاتبه أبي عبد الله ابن

عيسى[٨] يريد كتابا، فبعثه إليه وبعث معه هذين البيتين يمتدحان حسن خطه:

سـقتني كُـؤْس السـرور دهاقـا

خطـوط أتتنـي فـي مهـرقِ

رأت كَـفّ أحمـد في الغـرب بحرا

فجـاءت إليـه مـن المشـرقِ

وقد لفت خطُّ المنصورِ الذهبي انتباه مجيزه بدر الدين القرافي (ت: ١٠٠٨هـ)[٩] -قاضي القضاة المالكية بالديار المصرية- وهو ما يمكن أن نستشفه من نص إجازته له حين قال: (..حسبما نطق به مرسومه العلي وأبانه مكتوبه الجلي، بعبارات جليلة النظم، بديعة الرسم فاخرة..).[١٠]

ومدح الإمام أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري (ت: ٩٩٤هـ)[١١] كتاب المنصور إليه فقال: "ولقد وصل إلى المثل العديم المثال، المزرى نظامه بعقود اللآل، فإذا به السحر إلا أنه الحلال، ولو ادعى أحد أن من معجزات أحمد صلى الله عليه وسلم أن يمد الله كراما كاتبين في زمان نجله أمير المؤمنين أحمد بكتاب كريم على أسلوب قويم يرسله إلى محب قديم من النبعة والصميم لم تكذب دعواه، فما من خارق في الأمة إلا وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم دال على علاه"[١٢] والأكيد أن البكري قد انبهر بخط المنصور ورسم حروف كتابه، كما انبهر بفصاحته وبلاغته وأسلوبه.

وأورد وزيره عبد العزيز الفشتالي (ت: ١٠٣٢هـ)[١٣] في كتابه "مناهل الصفا" كتابا بعثه المنصور إلى أحد قضاة تنبكتو؛ حيث وصف موضع وجمال العلامة السلطانية التي كتبها السلطان بيده، فقال: "ثم كانت العلامة الكريمة المباركة المذهبة المنيرة المشرقة، التي خطت فيها يمين الإمام، وبنان سبط النبي عليه السلام، اسمه الشريف المبارك الكريم، بتدبيج يبهر العيون حسنا ورواء وفخامة، ويسع منفسح البياض المعد لذلك، ما بين البسملة ومبدأ الخطاب الكريم"[١٤].

وإضافة إلى ما عرف به هذا السلطان من إتقانه للخط المغربي والخط المشرقي، فقد عرف عنه أيضا اختراعه لخط للتراسل السري، جعل أشكاله على عدد حروف المعجم، وسمي (الزَّمّام)؛ حيث مزج بينه وبين الخط المتعارف، حتى يصير الكتاب مغلقا، فإن سقط في يد عدو أو ضاع لا يعلم مضمونه لغموضه، فيأمن بذلك على أسرار الدولة، وقد عَلَّم هذا الخطَّ بعضَ أولاده، ومن يثق بهم من رجال دولته، ليتراسلوا به فيما بينهم، بل وجعل هذا الخط أنواعا، فيناول أولاده خطا من تلك الخطوط يفك بها رسائله إليه، ويخص ولي عهده منها بنوع ليرجع إليه في فك ما أغلق من كتبه.[١٥]

ومن أبرز رجال دولته الذين وثق فيهم السلطان أحمد المنصور وائتمنهم على أسراره، عبد الواحد بن مسعود عنون الأصيلي (ت: بعد ١٠٠٩هـ)[١٦] الذي كان يشرف على شفرة هذا الخط في بلاط مراكش، وقد بعث به السلطان على رأس وفد هام وحساس إلى لندن، سفيرا لدى الملكة إليزابيت الأولى، وذلك عام ١٠٠٨هـ، واستمر في مراسلة السلطان بهذا الخط السري مدة إقامته في لندن، والتي دامت ستة أشهر.[١٧]

وتجدر الإشارة إلى أنه تم العثور على رسالة

مكتوبة بهذه الطريقة بخط عبد الواحد عنون، من طرف مغربي مجهول؛ حيث قام بدراستها طويلا إلى أن توصل لفك رموزها، وتفسير كل شكل من أشكالها، التي كانت على ترتيب الأبجدية، ليعثر عليها المستشرق جورج كولان (Georges S. Colin) الذي قام بدراستها وترجمتها والتعليق عليها، وكتب عنها بحثا باللغة الفرنسية في مجلة هسبيريس،[١٨] وقد عنون هذه الدراسة بعنوان: Note sur le système cryptographique du sul-) tan Ahmad Al-mansur).[١٩]

الخط العربي في عهد السلطان الذهبي:

كان فن الخط وصناعة النساخة والتسفير، من أبرز الفنون والصناعات التي ازدهرت في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، وهذا لما حظي به من اهتمام لافت، وعناية كبيرة من طرف السلطان شخصيا، ومما يُجَلّي ذلك تعدد مظاهر العناية بهذا الفن وهذه الصناعة، والتي نذكر منها:

تأسيس أول مدرسة للخط العربي بالمغرب الأقصى:

قام السلطان الذهبي بتأسيس مدرسة خاصة لتعليم فن الخط العربي بجامع "المواسين" بمراكش، وهو المعروف بجامع "الشرفا" أو "الأشراف"، وتعد أول مدرسة تُعنى بتدريس هذا الفن بالمغرب الأقصى، وكانت تجربة أولى قابلة للانتشار في باقي أنحاء المغرب، غير أن مجريات الأحداث بالبلاد قضت على هذه المحاولة في المهد.[٢٠]

عرفت هذه التجربة الفريدة نشاطا كبيرا في عهد هذا السلطان، وقد نال شرف تصدّر المشيخة على النساخين فيها، الأديب والشاعر والكاتب، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السكتاني (ت: ٩٩٩هـ)،[٢١] الذي عُرف عنه إتقانه لمجموعة من الخطوط المغربية والأندلسية والمشرقية، وقد اعتمد هذا الشيخ في تدريس فن الخط العربي بهذه المدرسة على الطريقة المعروفة في مدارس المشرق العربي، وهو ما نستشفه من كلام ابن القاضي حين قال: "وهو المقدم لتعليم الخط بجامع الشرفاء من مراكش المحروسة، كما هي العادة بالقاهرة وغيرها من بلاد المشرق"،[٢٢] وقد بين لنا عبد الرحمن بن خلدون في المقدمة القانون الذي سار عليه المشارقة في تعليمهم للخطوط العربية فقال: "وللخط بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بينهم، فلا يلبث المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع، وقد لقنها حسنا، وحذق فيها دربة وكتابة، وأخذها قوانين علمية، فيجيء أحسن ما يكون".[٢٣]

لقد شهد جامع المواسين بمراكش إقبالا كبيرا من الطلاب الراغبين في اتقان فن الخط والكتابة، وكذلك من لهم رغبة في امتهان حرفة النساخة، باعتبار أن الجامع يضم أيضا ديوانا لنسخ الكتب والمصاحف، مما جعله يعرف وفرة في عدد النساخين، على الرغم من المصادر لم تحتفظ لنا إلا بأقل القليل منهم[٢٤]، وكان محترفو النساخة من المغاربة، ومن المهاجرين، والأندلسيين، والمشارقة،[٢٥] وتخرج فيه مجموعة من الخطاطين والنساخين الذين كان لهم دور كبير في الحركة العلمية التي عرفها العهد السعدي، بما نسخوه من مصاحف وكتب في شتى العلوم والمعارف، وكان الخط المغربي بأنواعه حاضرا

بقوة، إضافة إلى الخط المشرقي، الذي تعلمه المغاربة وأضفوا عليه لمسة مغربية مميزة.

انتشار دواوين النساخة والوراقة:

وبالإضافة إلى هذه المدرسة الفريدة، فقد نشطت صناعة النساخة والوراقة لهذا العهد، بانتشار مراكزها تبعا لقيام إمارات أو زوايا كبرى في الأرياف البعيدة، مما أسهم في ظهور وراقين في كل من زاوية الصومعة ببني ملال، وزاوية تافيلالت شمالي مدينة تارودانت، وفي الإمارتين الدلائية والإليغية، والزاويتين الناصرية والحمزية،[٢٦] ومن النساخين الذين عرفوا بإجادة الخطوط المغربية والمشرقية، وضبطوا قوانينها وأنواعها:

محمد بن أحمد بن عيسى الصنهاجي (ت: ٩٩٠هـ)، الذي كانت له خطوط منوعة في الحسن. ومحمد بن علي بن إبراهيم الفشتالي (ت: ١٠٢١هـ)، الذي كانت له خطوط على أنواع، كلها على جميل الانطباع. وإبراهيم بن يحيى بن إبراهيم الأقاوي (ت بعد: ١٠٤٩هـ)، الذي كتب بالخط الشرقي نسخة كاملة من "الروض المعطار في خير الأقطار" للحميري في مجلدين، وفرغ من استنساخها عام ١٠٤٩هـ، بمدينة مراكش، وغيرهم..[٢٧]

ومن مظاهر العناية بهذا الفن، أن وصل أثر اشتغال المغاربة بنسخ الكتب إلى داخل السجون، باعتبارها مهنة، وموردا من موارد عيشهم مدة سجنهم، كما هو الأمر بالنسبة للأشراف العلويين السجلماسيين الذين كانوا في سجن مراكش، وكان عددهم أربعين، مات جلهم في السجن، ومما كتب بهذه السجون: "مختصر تنبيه الأنام" لابن عظوم القيرواني (ت: بعد ٨٨٩هـ)،[٢٨] وقد جاء في آخر المخطوط: وكتبه بيده الفانية عبد الله وأقل عبيده... عامر بن عمار بن القبش الفرجي ثم الرحيوي.. وكان الفراغ من نسخه يوم الأربعاء الأولة (كذا) من الفطر، سنة تسعة وتسعين وتسعمائة بسجن مراكش.[٢٩]

وتشير بعض المنتسخات إلى أن السلطان أحمد المنصور كان له ديوان للنساخة في جامع قصر البديع بمراكش، لم تُعرف تفاصيل أنظمته،[٣٠] ومما يشير إلى ذلك: الكلمة الختامية لمصحف انتسخ برسم خزانة المنصور؛ حيث جاء فيها "مكتوب برسم خزانة أبي العباس أحمد المنصور بالله محمد الشيخ السعدي، (...) بجامع الديوان الكريم من قصور الإمامة العلية"[٣١] وما جاء في الكلمة الختامية لمصحف آخر انتسخ برسم خزانة المنصور أيضا، وفيها: "وافق تمامه يوم الأربعاء الثالث عشر من ربيع الثاني عام ثمانية بعد ألف سنة، بجامع الإيوان الكريم من قصور الإمامة العلية".[٣٢] وما جاء في خاتمة مخطوطة "الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية" في التفسير، لسليمان الطوفي (ت: ٧١٦هـ)،[٣٣] والتي انتسخت برسم خزانة المنصور أيضا، وفيها: "وكان الفراغ منه في اليوم الثاني عشر من جمادى الثانية، من عام تسعة وألف سنة، بالإيوان السعيد، الشريف النبوي الإمامي المنصوري الحسني".[٣٤]

كما أنشأ المنصور ديوانا لتسفير الكتب بالقصر الملكي بمراكش، إذ ورد في ترجمة الأديب أبي عبد الله محمد الغجاف، أنه كان أحد المتولين لتسفير الكتب بالباب الإمامي المنصوري.[٣٥]

من مظاهر عناية السلطان أحمد المنصور الذهبي بالخط العربي

العناية بأنواع الخطوط والزخرفة والتزويق:

لقد أبدعت أنامل المغاربة عبر العصور في الكتابة بالخط العربي، وجوَّدت من رسمه ونوَّعت في أشكاله، ليصير على خمسة أنواع: الخط الكوفي المغربي،[٣٦] والخط المبسوط،[٣٧] والخط المجوهر،[٣٨] وخط الثلث المغربي،[٣٩] والخط المسند،[٤٠] وقد تميز عصر السلطان أحمد المنصور الذهبي بتشجيع نشاط الخط المغربي بأنواعه، والأندلسي والمشرقي بأنواعهما أيضا، مما أسهم في نبوغ خطاطين يكتبون خطوطا منوعة في الحسن.[٤١] ومن النصوص الدالة على بلوغ المغاربة الغاية في تجويد الخطوط لهذا العهد، ما ذكره صاحب "روضة الآس" عن الكتاب الذي ألفه السلطان أحمد المنصور وسماه "العود أحمد"، حين قال: "وقد رأيت هذا التأليف بخط تأنق فيه صاحبه إلى الغاية، عن أمر هذا الخليفة، وتخيل لي أنه لا يمكن أن يوجد له نظير في مضمنه وخطه".[٤٢]

وكما أبدعت أناملهم فن الكتابة، فإنها أبدعت أيضا فن التزويق والزخرفة، وقد استعملوا في ذلك مختلف الألوان، ومختلف مواد الكتابة، خاصة في المصاحف السعدية، ونذكر من الخطوط المغربية التي كانت شائعة آنذاك، والتي استخدمت في نسخ المصاحف: خط المبسوط المغربي، الذي كُتب به مصحف أبي العباس أحمد المنصور، وتم نسخه برسم خزانته، بقصر البديع بمراكش، سنة ١٠٠٨هـ،[٤٣] وهو "مكتوب بخط مغربي مبسوط منمق، ومشكول بالأحمر، أما الشدات والسكون فبالأزرق، وعناوين السور مزخرفة وبخط كوفي مذهب وملون بزرقة باهتة، والخاتمة بكتابة مذهبة على صفحة زرقاء برسم الخزانة العلية واسم السلطان وتاريخ التمام".[٤٤] وقد زخرفت اللوحات ذات الأرقام ١ و ٢ و ٢٦٤ و ٢٦٥ بزخارف لامعة، وكتب المصحف بالمداد المقام من فائق العنبر، المتعاهد السقيا بالعبير المحكوك بمياه الورد والزهر تنويها وتعظيما لكلام الله تعالى.[٤٥]

لقد جرى شكل المصاحف المغربية في الغالب -من العصر الموحدي إلى العصر السعدي- على ما أوصى به أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)،[٤٦] من الألوان، وهي: لون الحمرة؛ ويكون للحركات والتنوين والتشديد والتخفيف والسكون والوصل والمد. ولون الصفرة؛ ويكون للهمزة خاصة، وقد أضيف لونان جديدان، فيرسم التشديد والسكون الحي بلون الزرقة في الأكثر أو بلون الخضرة.[٤٧]

وإضافة إلى الخط المبسوط المستعمل في كتابة المصاحف لهذا العهد، والخط الكوفي الذي كُتبت به عناوين السور، فإن الخط المشرقي النسخي كان حاضرا أيضا في منتسخات السعديين، إذ به كتبت خاتمة مصحف أبي العباس أحمد المنصور -المذكور آنفا- على صفحة زرقاء وبحروف مذهبة،[٤٨] وبه كتبت الكلمة الختامية لمخطوطة "الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية" في التفسير، لسليمان الطوفي، وقد كتبها ناسخها رستم بن عبد الله بالخط المشرقي النسخي، برسم الخزانة العلمية للسلطان المنصور الذهبي، وكان ذلك عام ١٠٠٩هـ.[٤٩]

وكما كان حرص هذا السلطان على إتقان

الخطاطين لأنواع الخطوط وإجادتها، واستنساخهم للكتب بخطوط متنوعة، شمل حرصه أيضا اتقانهم لفن الزخرفة والتزويق، وهو ما أوصى به في رسالته التي كتبها لبعض الجهات العلمية بالمشرق؛ حيث قال: "فما تيسر ابتياعه عجّل على أيديكم تحصيله إن شاء الله، وما لم يتفق سوى استنساخه فتوكلوا فيه على الله، مع التأنق في روائع الخطوط، والعمل العجيب، الذي ترون مناسبته لعَلائنا"[٥٠] والمقصود بـ "العمل العجيب" كما بين محمد المنوني هو: الزخرفة الممتازة للكتب المستنسخة.[٥١]

ومن المؤلفات - الرائقة الخط والزخرفة- التي أمر السلطان أحمد المنصور باستنساخها برسم خزانته، كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري، الذي ضمنه إجازة الشيخ رضوان بن عبد الله الجنوي (ت: ٩٩١هـ)[٥٢] له، وهي النسخة التي قال عنها المقري: "وقد رأيت إجازته له على النسخة الرائقة التي أنشأها نصره الله من صحيح البخاري".[٥٣] ولا تزال هذه النسخة لم تكتشف بعد.[٥٤] وقال عنها أبو الحسن الشياظمي (ولد بعد ٩٥٠هـ)[٥٥] في قصيدة له من ستة أبيات مطلعها:

لـلـه مِـنـهـا دُرّة قـــدْ بَـــدَت

فـــي غـايـةِ الاحـكـــامِ والاحـتـفـــال

توظيف الخط العربي في العملة النقدية المنصورية:

ومن مظاهر ازدهار الخط المغربي بأنواعه، عناية السلطان أحمد المنصور لاستعماله في القطع النقدية السعدية، خاصة وقد شهد عصره فائضا في الذهب المحمل من البلدان المفتوحة، "حتى كان ببابه كل يوم أربع عشرة مائة مطرقة لضرب الدينار الوافي، دون ما هو معد لغير ذلك، من صوغ الأقراط والحلي وشبه ذلك، ولأجل هذا لقب بالذهبي، لفيضان الذهب في أيامه".[٥٦]

والجديد في العملة الذهبية المنصورية من حيث ما ضرب عليها من نصوص ونقوش أنها احتوت على نصوص قرآنية، وكان ذلك ابتداء من سنة ٩٩٢هـ؛ حيث تُكتب سورة من سور القرآن الكريم في وجه؛ وفي الوجه الآخر عبارة (ضرب بحضرة...) ثم اسم المصنع.[٥٧]

الخط العربي في قصر السلطان الذهبي:

تعد قصور السلطان أحمد المنصور الذهبي من المعالم التي جمعت بين غرابة الشكل وبديع الحسن، وكان منها: "البديع" و "المسرة" و "المشتهى"[٥٨]، غير أن الذي فاق غيره في الشهرة، وبلغ الغاية في بديع الصنعة، حتى أعيى وصف الواصفين، قصره الذي شيده بمراكش وسماه "البديع"، والذي يعد بحق معلمة فنية مغربية قل نظيرها، ومجمعا لفنون العمارة الإسلامية، حتى اعتبر أنه أكبر انجاز معماري في الإسلام، يفوق ما أنجز في دمشق وبغداد والقاهرة، وما عُرف من المعالم الأثرية التي تسمى عجائب الدنيا.[٥٩]

كان تشييد قصر البديع عام ٩٨٦هـ، وفق ما اقترحه السلطان أحمد المنصور على عرفاء المباني من تصاميم، وما وصفه لهم من أشكال،[٦٠] واستمرت أشغال البناء فيه إلى عام ١٠٠٢هـ، وجلبت مواده من تنبكتو، وأوربا، والهند، والبرازيل،[٦١] ولو تحدثنا عن أبراجه، وقبابه، وأعمدة المرمر فيه، وغرفه، وحمامه،

من مظاهر عناية السلطان أحمد المنصور الذهبي بالخط العربي

وريـاضـه، ومساجده، ومـا ضمه مرافقه من زخـارف.. لحاد بنا هذا البحث عن المقصود، وحسبنا أن نذكر بعض ما ضمه هذا القصر من كتابات منقوشة بأنواع الخط العربي، لعل ذلك يكشف لنا عن جانب من جمال هذه المعلمة المغربية.

لقد كان حرص السلطان الذهبي على توظيف الخط العربي في قصر البديع واضحا، فلا يكاد يخلو مرفق من مرافق هذا القصر، ولا جانب من جنباته، إلا وجدت فيه أبيات من الشعر من مختلف الأوزان والبحور، سُجلت به قصائد جمعت دواويـن كاملة،[٦٢] منها ما نقش على القباب، والأبواب، والجدران، ومنها ما رُقم على الأستار، ومنها ما كتب بالذهب، ومنها ما كتب بالمرمر[٦٣] واللاَّزَوَرْد.[٦٤]

ما نقش على القباب:

ضمت جنبات القصر كتابات ذات أشكال متنوعة، وكتبت على مواد مختلفة؛ كالخشب والزليج والمعادن والزجاج وغيرها، وجاءت هذه الكتابات مشجرة تتدلى من هامات حروفها غصون الأشـجـار،[٦٥] وتزينت قباب القصر بالزخارف وما نقش عليها من الأشعار، على كل قبة ما يناسبها، وفي بعض القباب مفاخرة على لسانها لمقابلتها،[٦٦] يقول الفشتالي في وصف قبة من قباب البديع: "وتمازجت النقوش وتفتت الصنائع تدبيجا وتكريشا وتحرشفا وكتابة وتركب حروفها غصون التشجيرات، وتتخللها قصب الورق اللطيف، ويتصل بشط هذا البحر من أسفل نطاق المرمر الفضي، الذي توشحت به القبة واستدار على خصرها مندمجا بالشعر في وصف البناء، واضح الكتابة بمرمر سبجي اللون، بين فيه الخيط الأبيض من الخيط الأسود".[٦٧]

ونذكر مما نُقش خارج القبة الخمسينية قصيدة في سبعة وثلاثين بيتا، أنشأها أبو فارس الفشتالي (ت: ١٠٣٢هـ) على لسان القبة، يقول في مطلعها:

سـمـوتُ فخَرّ البـدْر دونـي وانحَطّا
وأصبح قرصُ الشمسِ في أذني قرْطا
وصُغـتُ مـن الإكليل تاجـا لمفرقي
ونِيطت بي الجوزاء في عُنقي سمطا[٦٨]

أما داخل هذه القبة فنُقشت قصيدة -لنفس الشاعر- من عشرين بيتا، مطلعها:

جمـال بدائعـي سـحرَ العيونـا
ورونـقُ منظـري بهـرَ الجفونـا
وقد حسُـنتْ نقوشـي واسـتطارت
سـنـاً يعشـي عيـون الناظرينـا[٦٩]

ومما كتب ببهو القبة الخمسينية بمرمر أسود في بياض، قصيدة في ستة وعشرين بيتا، تصف ما ضمته من نقوش وكتابات مذهبة، جاء في مطلعها:

للـه بهـو عـز منـه نظيـر
لمـا زهـا كالـروض وهـو نضير
رصفـت نقـوش حلاه رصـف قلائد
قـد نضدتهـا فـي النحـور الحور
فكأنـهـا والتبـر سـال خلالهـا
وشـيٌ وفضـةُ تربـهـا كافـور

مقالات

وكـــأن أرض قـــراره ديباجـــة

قد زان حســـنَ طرازها تشـــجير[٧٠]

وضمـت قبـة الزجـاج قصيـدة للوزيـر الأديب أبـي الحسـن علـي بـن منصـور الشـياظمي (ولـد بعـد ٩٥٠هـ)، جـاء فـي آخرهـا:

إن شـــئت تاريخ إكمـــال البديع فقل:

إيـــوان أحمد إيوان الســـعادات[٧١]

كما جاء في سقف قبة الزجاج أيضا أبيات لأبي مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني، (ت: بعد ٩٩٨هـ)[٧٢] قال في أولها:

أجـــل اللواحظ فـــي رقوم لباســـي

فلهـــا بـــه حـــرس مـــن الأحراس

فمتـــى نظرت فـــإن طرفـــك مورد

للقلـــب أعذب من رحيـــق الكـاس[٧٣]

وغيرها من الأشعار المسكوبة في قالب من الخطوط المنوعة، المختلطة بالزخارف المشجرة، التي أبدعتها أنـامل الخطاطين والحرفيين المغاربة.

ما نقش على الأبواب:

وأُدخل الخط العربي أيضا على أبواب البديع، ونقشت به قصائد لعدة شعراء، من ذلك ما نقش على باب الرخام من شعر أبي الحسن الشياظمي؛ حيث يقول في مطلع قصيدته:

الحُســـن لفـــظٌ وهذا القصـــر معنـاه

يـــا مـــا أميلـــح مـــرآه وأبهـــاه

ويقول أيضا في قصيدة نقشت على أحد أبواب البديع:

بـاب أتـــى كبراعـة اســـتعلالوكأنما

القـصـر المـشـيـد الـتـالـــي[٧٤]

ومما نقش في عضادتَي باب من الأبواب، يقول بعض الكتاب:

يـــا ناظـــرا باللـــه قـــف وتأمـــل

وانظر إلى الحســـن البديع الأكمل[٧٥]

ومما نقش ببعض الأبواب من نظم الكاتب عبد العزيز الفشتالي (ت: ١٠٣٢هـ):

هذي وفود الســـعد نحـــوي تنتمي

وطلائـع البشـــرى لبابـــي ترتمي[٧٦]

ومن المرافق التي تزينت بالخط العربي: المصريةُ[٧٧] المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من بديع المنصور، والتي ضمت ثمانية أبيات لأبي فارس الفشتالي نذكر منها بيتين:

باكـــر لـديّ مـن الســـرور كؤوســـا

وارض النديـــم أهلّـــةً وشموســـا

واعرج على غرفِي المنيفِ سماؤها

تلـــقَ الفراقد في حِمايَ جلوســـا[٧٨]

ما رقم على الأستار:

وانتشرت في القصر أشعار بخطوط تسر الناظر، وتـروق المتأمل، وتبهر العقول،[٧٩] رقمت على أستار مذهبة محكمة الصنعة،[٨٠] وقد جاءت هذه الأستار -المسماة عند المغاربة بالحائطي- مزخرفة بالتركيبات الهندسية، والأشكال النجمية، وفن التوريق، تجري فوقها قصائد الشعر بأنواع الخط العربي،[٨١] وكان

من مظاهر عناية السلطان أحمد المنصور الذهبي بالخط العربي

منها ما جعل لستر النواحي الأربع من القبة الكبيرة بالبديع، ليضم كل ستار أربعة أبيات، وطلبا للاختصار نكتفي هنا بذكر بيت واحد من كل ناحية، فعلى الناحية الأولى نجد:

متِّــع جفونــك فــي بديعِ لباسِــي

وأدِر علــى حُســنـي حُمَيّــا الكَاسِ

ونجد على الناحية الثانية:

مــن كلّ حَسْــنَا كالقضيــبِ إذا انثَنَى

تُــزْرِي بغصــنِ البانــةِ الميَّــاسِ

ونجد على الناحية الثالثة:

ملــكٌ تقاصَــرَتِ الملُــوكُ لعِــزِّه

ورمــاهُــم بــالــذُّلّ والإتــعــاسِ

ونجد على الناحية الرابعة:

وإذا تطلّــع بَــدْرُه مــن هالــةٍ

يُعشــي ســناهُ نواظرَ الجُلاّسِ[٨٢]

إلى غيرها من القصائد الشعرية التي أمر السلطان أحمد المنصور بتزين قصره بها، بعدما عرضت عليه واستحسنها، ليقوم أمهر الخطاطين والصناع والحرفيين بنقشها ورقمها على مختلف المواد، وفي أغلب مرافق القصر.

ومما يؤسف له أن هذه المعلمة الفنية لم يقدر لها أن تعمر طويلا، نظرا لما شهدته من أعمال تخريب بعد وفاة أحمد المنصور، بسبب صراع أبنائه المستمر على السلطة، إضافة إلى المجاعات والأوبئة التي ضربت مراكش، مما انعكس سلبا على قصورها،[٨٣] ويذكر أن السلطان المولى إسماعيل ابن الشريف العلوي (ت: ١١٣٩هـ)[٨٤] أمر بهدمها سنة ١١١٩هـ، فهدمت معالمه ومحيت مراسمه، ونهبت آثاره وتفرقت داخل المغرب وخارجه،[٨٥] ورغم محاولة ترميمه الأخيرة إلا أن ذلك لم يكشف عن أبرز معالمه الفنية، فلا نكاد نجد بين أيدينا إلا ما ضمته كتب تراثنا من أوصافه ورسمه.

خلاصة:

نخلص من خلال ما سبق إلى أن السلطان أحمد المنصور الذهبي كانت له يَدُ عنايةٍ بفن الخط العربي، وإسهام واضح وفعال في الرقي بأنواع الخطوط المغربية والمشرقية، فنجده على مستوى الممارسة أنه كان خطاطا بارعا لا يشق له غبار، يكتب بخطوط منوعة، مغربية ومشرقية، وعلى مستوى المؤسسات النظامية التي تُعنى بهذا الفن نجده يقوم بتأسيس أول مدرسة لتعليم الخط العربي بالمغرب الأقصى، وهي المدرسة التي تَخرّج فيها عدد من الخطاطين والنساخين الذين امتهنوا صناعة نساخة الكتب؛ ليسهموا بدورهم في نشر العلم والمعرفة، كما قام بإنشاء عدة دواوين للنساخة، هذا إضافة إلى توظيفه للخط العربي في العملة النقدية المنصورية، وتوظيفه للمنقوشات الشعرية في أبواب وقباب وجدران وجنبات قصر البديع بمراكش، وكلها أمور دالة على حب هذا السلطان وشغفه بهذا الفن العربي الأصيل.

الحواشي

١- يمكن الرجوع إلى مقالنا الموسوم بـ: "فن الخط العربي، رحلة حروف من المشرق إلى المغرب"، المنشور بجريدة المحجة العدد ٤٥٣، ٢٣ جمادى الأولى ١٤٣٧هـ/٠٣ مارس ٢٠١٦م.

٢- البحث موسوم بـ: "سلاطين خطاطون من المغرب الإسلامي"، نشر بمجلة ليكسوس، العدد ٢٤، ماي ٢٠١٨م. ص: ٥٩.

٣- يمكن الرجوع في ترجمته إلى: المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، لأحمد ابن القاضي، دراسة وتحقيق: محمد رزوق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرباط، ١٩٨٦هـ. ٢٤٢/١ وما بعدها. ومناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي، دراسة وتحقيق، عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، المغرب، د.ط. ص: ٢٥ وما بعدها، والاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأحمد بن خالد الناصري، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء ١٩٩٧/١٤١٨. ٨٩/٥ وما بعدها. وسلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح-الدار البيضاء. ٢٨٠/٣. وروضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، لأحمد بن محمد المقري، المطبعة الملكية-الرباط، الطبعة الثانية ١٩٨٣/١٤٠٣. ص: ٥٧-٥٨. وجذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد بن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط، ١٩٧٣م. ١١٤/١-١١٦.

٤- هو عبد الملك بن أبي عبد الله محمد الشيخ بن القائم بأمر الله الشريف الحسني، أخو أبي العباس أحمد المنصور، توفي سنة ٩٨٦هـ. انظر درة الحجال لأحمد بن محمد المكناسي، ابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة-تونس، دار التراث-القاهرة. ١٤٩/٣. والأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م. ١٦٤/٤.

٥- توات من الأقاليم المغربية الواقعة جنوب شرق المملكة المغربي، جنوبي إقليم فكيك، أما تيكورارين فتقع شمال توات.

٦- سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني، ٢٨٠/٣.

٧- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم السملالي، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية-الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٩٣/١٤١٣. ٢٧٢/٢-٢٧٣.

٨- هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى مؤلف كتاب الممدود والمقصور من سنى السلطان أبي العباس المنصور. انظر نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، لمحمد الصغير المراكشي، تصحيح: هوداس، مطبعة بوردين وشركاه بمدينة انجي، ١٨٨٨م. ص: ١٦٦.

٩- هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس، بدر الدين القرافي، فقيه مالك، ولغوي، من أهل مصر، ولي قضاء المالكية فيها، وله تآليف. توفي سنة ١٠٠٨هـ. انظر الأعلام للزركلي، ١٤١/٧.

١٠- انظر مناهل الصفا لعبد العزيز الفشتالي، ص: ٢٧٣.

١١- لعله محمد بن محمد أبي الحسن بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي، من علماء المتصوفين، له تآليف، توفي سنة ٩٩٤هـ. انظر الأعلام، للزركلي، ٦٠/٧.

١٢- الاستقصا، للناصري، ١١٥/٥.

١٣- هو أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي وزير القلم الأعلى، الفقيه الأديب الناظم الناثر، وهو متولي تاريخ الدولة المنصورية، ولد سنة ٩٥٣هـ. وتوفي سنة ١٠٣٢هـ. انظر درة الحجال، لابن القاضي، ١٣٠/٣-١٣١. ونزهة الحادي، للمراكشي، ص: ١٦٤.

١٤- مناهل الصفا، للفشتالي، ص: ١٣١.

١٥- انظر الاستقصا، للناصري ١٨٨/٥. والمغرب في عهد الدولة السعدية، للدكتور عبد الكريم كريم، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية – الرباط، الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص: ٢٣٨.

١٦- هو عبد الواحد بن مسعود بن محمد عنون الأصيلي، أمين بيت المال، ومن جملة كتبة أبي العباس المنصور، ولد بعد ٩٩٠هـ. انظر درة الحجال، لابن القاضي، ١٤٣/٣.

١٧- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ٣٨٧/٢-٣٨٨.

١٨- انظر تاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، الطبعة الأولى، ١٤١٢/١٩٩١. ص: ٧٧.

١٩- عنوان الدراسة باللغة العربية: "ملاحظة على نظام التشفير للسلطان أحمد المنصور" انظر مجلة هيسبيريس، المجلد السابع، سنة ١٩٢٧م، ص: ٢٢١ وما بعدها.

٢٠- انظر تاريخ الوراقة المغربية، للمنوني، ص: ٧٥.

٢١- انظر ترجمته في درة الحجال لابن القاضي، ١٣١/٣. والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للسملالي، ٤٣٣/٨.

٢٢- انظر درة الحجال، لابن القاضي، ١٣١/٣.

٢٣- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن ابن خلدون، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ص: ٢١٣.

٢٤- انظر تاريخ الوراقة المغربية، للمنوني، ص: ٧٨.

٢٥- انظر الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، لمحمد حجي، ٣٨٥/٢-٣٨٦.

٢٦- انظر تاريخ الوراقة المغربية، للمنوني، ص: ٨٢.

٢٧- انظر تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، لعثمان عثمان إسماعيل، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ١٥٤/٥-١٥٥.

٢٨- هو محمد بن أحمد بن عيسى بن فندار القيرواني أبو عبد الله، ابن عظوم، فقيه تونسي، من أهل القيروان، توفي بعد سنة ٨٨٩هـ. انظر الأعلام، للزركلي، ٣٣٥/٥.

٢٩- انظر تاريخ الوراقة المغربية، للمنوني، ص: ٨٢.

٣٠- انظر تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، لعثمان عثمان إسماعيل، ١٥٥/٥.

٣١- قبس من عطاء المخطوط المغربي، لمحمد المنوني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م. ٢٣/١.

٣٢- قبس من عطاء المخطوط المغربي، للمنوني، ٥٧/١-٥٨.

٣٣- هو أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، فقيه حنبلي، من العلماء. ولد بقرية طوف بالعراق عام ٦٥٧هـ، وتوفي سنة ٧١٦هـ. انظر الأعلام، للزركلي، ١٢٧/٣-١٢٨.

٣٤- تاريخ الوراقة المغربية، للمنوني، ص: ٧٨

٣٥- انظر روضة الآس، للمقري، ص: ٣٤٥. وتاريخ العمارة الإسلامية، والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، لعثمان عثمان إسماعيل، ١٦٣/٥.

٣٦- وهو خط هندسي بديع، يمتاز بخطوطه المستقيمة وزواياه الحادة، ويعد هذا الخط الأصل الذي تطورت منه الأنواع المغربية الأخرى.

٣٧- وهو خط واضح وسهل القراءة، ويعرف عند العامة بخط الفقهاء، أو خط القرآن، أو الخط العثماني. ويعد أعلى مراتب الخط المغربي.

٣٨- ومن مميزات هذا الخط صغر حروفه وتقاربها، وسمي بهذا الاسم لأن تناسقها يوحي بعقد الجوهر، وهذا الخط انحدر من الخط المبسوط.

٣٩- وقد اقتبس من خط الثلث المشرقي، ويمتاز بليونة حروفه وانسيابها، كما يمتاز بإمكانيته غير المحدود على التشكيل.

٤٠- ويعرف أيضا بالزمامي، وسمي بخط العدول لاستخدامه في الوثائق العدلية، وهو خط صعب القراءة مقارنة بالخطوط الأخرى، وقد انحدر هذا الخط من المجوهر. انظر عن هذه الخطوط: معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا. ٣٧٤٩/١١-٣٧٥٢. وتاريخ الوراقة المغربية، للمنوني، ص: ٤٧.

٤١- انظر تاريخ الوراقة المغربية، لمحمد المنوني، ص: ٧٦.

٤٢- روضة الآس للمقري، ص: ٥٨

٤٣- تحفظ هذه الذخيرة المغربية في القسم العربي من مكتبة الأسكوريال بإسبانيا، تحت رقم ١٣٤٠. انظر قبس من عطاء المخطوط المغربي، للمنوني، ٢٣/١. وتاريخ العمارة الإسلامية، والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، لعثمان عثمان إسماعيل. ١٦٢/٥.

٤٤- تاريخ العمارة الإسلامية، والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، لعثمان عثمان إسماعيل، ١٦٢/٥.

٤٥- انظر قبس من عطاء المخطوط المغربي، للمنوني، ٥٧/١-٥٨. و ٢٣/١.

٤٦- هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، الإمام الحافظ المجود المقرئ الحاذق عالم الأندلس، ولد عام ٣٧١هـ، وتوفي سنة ٤٤٤هـ. انظر سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥/١٩٨٥. ٧٧/١٨.

٤٧- قبس من عطاء المخطوط المغربي، للمنوني، ٣٧/١.

٤٨- انظر الخط المغربي بين التجريد والتجسيد، دارسة تاريخية فنية من خلال مخطوطات مرينية وسعدية، لمحمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، مطبوعات أمنية الأنصاري، فاس، الطبعة الأولى ٢٠١٣م. ص: ١١٤.

٤٩- انظر تاريخ الوراقة المغربية، للمنوني، ص: ٧٨.

٥٠- تاريخ الوراقة المغربية، لمحمد المنوني، ص: ٨٤.

٥١- انظر تاريخ الوراقة المغربية، لمحمد المنوني، ص: ٨٤.

٥٢- هو رضوان بن عبد الله الجنوي، الولي الصالح المحدث المكثر الراوية، رحالة أهل زمانه، وواحد وقته وأوانه، آخر المحدثين الصالحين بفاس. توفي سنة ٩٩١هـ. انظر ترجمته في: درة الحجال لابن القاضي، ٢٧٤/١.

٥٣- روضة الآس، للمقري، ص: ٣٥.

٥٤- انظر تاريخ الوراقة المغربية، لمحمد المنوني، ص: ٧٩.

٥٥- هو أبو الحسن علي بن منصور بن المرابط الشياظمي، الفقيه الأديب المتفنن المشارك، أحد قواد المخدوم المنصور السعدي، ولد بعد ٩٥٠هـ، انظر درة الحجال، لابن القاضي، ٢٥٨/٣. وروضة الآس، للمقري، ص: ١٧٣.

٥٦- الاستقصا، للناصري، ١٢٥/٥.

٥٧- انظر تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، لعثمان عثمان إسماعيل، ١٣٨/٥

٥٨- نزهة الحادي، للمراكشي، ص: ١١٢.

٥٩- انظر تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، لعثمان عثمان إسماعيل، ١٠٩/٥. وقصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا، لعبد الهادي التازي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، مطبعة فضالة، الرباط، ١٩٧٧م، ص: ٦.

٦٠- يقول الفشتالي: "نظم مولانا أمير المؤمنين أيده الله صورها الخيالية بذهنه الشريف وحدسها الكريم الذي يخترع الأشياء في أحسن تقويم أحضر عرفاء المباني فاقترحها لهم وأخذ أيده الله يرشدهم بحاسة الوصف إلى أشكالها التي تصورها فلم يكونوا ليهتدوا إلى فهم ما لم يؤته أولوا الحكمة من يونان فبهتوا ثم شرعوا في تشييدها وفق الاقتراح الكريم والهمة الشريفة المنيفة". مناهل الصفا، للفشتالي، ص: ٢٥٩.

٦١- انظر قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا، لعبد الهادي التازي، ص: ٥.

٦٢- انظر تاريخ العمارة الإسلامية، والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، لعثمان عثمان إسماعيل، ١٢٨/٥.

٦٣- انظر المنتقى المقصور لابن القاضي، ٨٣٤/١-٨٣٥.

٦٤- الـلازَوَرد: معدن يُتَّخذ للحليّ وأجوده الصَّافي الشفَّاف الأزرق الضَّارب إلى حمرة وخضرة، وله منافع في الطِّب. معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف: أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ١٩٨٦/٣.

٦٥- تاريخ العمارة الإسلامية، والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، لعثمان عثمان إسماعيل، ١٢٨/٥.

٦٦- نزهة الحادي، للمراكشي، ص: ١٠٤.

٦٧- مناهل الصفا، للفشتالي، ص: ٢٥٦.

٦٨- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر-بيروت. ٥٠/٦.

٦٩- انظر نفح الطيب، للمقري، ٥٣/٦-٥٤.

٧٠- انظر نفح الطيب، للمقري، ٥١/٦-٥٢.

٧١- المنتقى المقصور، لابن القاضي، ٨٣٥/١.

٧٢- هو أبو مالك عبد الواحد بن أحمد بن أبي الحسن الشريف الحسني، الفقيه المفتي الأديب المحدث الرحالة، مفتي مراكش المحروسة، ولد عام ٩٣٣هـ. انظر: درة الحجال، لابن القاضي، ١٤١/٣.

٧٣- انظر قصر البديع بمراكش، لعبد الهادي التازي، ص: ١٤.

٧٤- انظر نزهة الحادي، للمراكشي، ص: ١١١.

٧٥- انظر نزهة الحادي، للمراكشي، ص: ١١٠.

٧٦- انظر نزهة الحادي، للمراكشي، ص: ١١٠.

٧٧- المصرية هي منزل يبنى شبه علية.

٧٨- نفح الطيب، للمقري، ٥٥/٦.

٧٩- نزهة الحادي، للمراكشي، ص: ١٠٤.

٨٠ انظر نفح الطيب، للمقري، ٤٧/٦.

٨١- انظر تاريخ العمارة الإسلامية، والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، لعثمان عثمان إسماعيل، ١٢٨/٥.

٨٢- انظر نفح الطيب، للمقري، ٤٧/٦-٤٨.

٨٣- انظر قصر البديع بمراكش، لعبد الهادي التازي، ص: ٢٢-٢٣.

٨٤- هو السلطان أبو النصر إسماعيل بن الشريف بن علي الينبوعي السجلماسي الحسني، بويع بعد وفاة أخيه المولى الرشيد عام ١٠٨٢هـ، وتوفي سنة ١١٣٩هـ. انظر ترجمته في: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨/١٤٢٩. ٦٣/٢. ونشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق: محمد حجي، وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر

وتوزيع: مكتبة الطالب-الرباط، ١٩٨٦/١٤٠٧. ٢٨٥/٣. والجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، لأبـي عبد الله محمد الكنسوسي، تحقيق وتعليق: أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ١٩٩٦م. ١١٩/١.

٨٥- انظر الاستقصا، للناصري، ١٤٣/٥-١٤٤.

ثبت المصـادر والمراجع

(أ)

١. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لابـن زيـدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسـي، تحقيق: علي عمر، مكتبـة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨/١٤٢٩. ٢.
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأحمد بن خالـد الناصري، تحقيق وتعليـق: جعفر الناصري ومحمـد الناصـري، دار الكتـاب الـدار البيضـاء ١٩٩٧/١٤١٨.

٣. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم السملالي، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية-الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٩٣/١٤١٣.

٤. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

(ت)

٥. تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، لعثمان عثمان إسماعيل، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٦. تاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، الطبعة الأولى، ١٩٩١/١٤١٢.

(ج)

٧. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد بن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط، ١٩٧٣م.

٨. جريدة المحجة العدد ٤٥٣، ٢٣ جمادى الأولى ١٤٣٧هـ/٠٣ مارس ٢٠١٦م.

٩. الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، لأبي عبد الله محمد الكنسوسي، تحقيق وتعليق: أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ١٩٩٦م.

(ح)

١٠. الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، لمحمد حجي، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة ١٩٧٨م.

(خ)

١١. الخط المغربي بين التجريد والتجسيد، دارسة تاريخية فنية من خلال مخطوطات مرينية وسعدية، لمحمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، مطبوعات أمنية الأنصاري، فاس، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

(د)

١٢. درة الحجال لأحمد بن محمد المكناسي، ابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة-تونس، دار التراث-القاهرة.

(ر)

١٣. روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، لأحمد بن محمد المقري، المطبعة الملكية-الرباط، الطبعة الثانية ١٩٨٣/١٤٠٣.

(س)

١٤. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن

من مظاهر عناية السلطان أحمد المنصور الذهبي بالخط العربي

علي الكتاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح-الدار البيضاء.

١٥. سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥/١٩٨٥.

(ق)

١٦. قبس من عطاء المخطوط المغربي، لمحمد المنوني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

١٧. قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا، لعبد الهادي التازي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، مطبعة فضالة، الرباط، ١٩٧٧م.

(م)

١٨. مجلة ليكسوس، العدد ٢٤، ماي ٢٠١٨م.

١٩. مجلة هيسبيريس، المجلد السابع، سنة ١٩٢٧م.

٢٠. معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف: أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢١. معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا.

٢٢. المغرب في عهد الدولة السعدية، للدكتور عبد الكريم كريم، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية – الرباط، الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٢٣. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن ابن خلدون، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

٢٤. مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي، دراسة وتحقيق، عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، المغرب، د.ط.

٢٥. المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، لأحمد ابن القاضي، دراسة وتحقيق: محمد رزوق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرباط، ١٩٨٦هـ.

(ن)

٢٦. نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، لمحمد الصغير المراكشي، تصحيح: هوداس، مطبعة بوردين وشركاه بمدينة انجي، ١٨٨٨م.

٢٧. نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق: محمد حجي، وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر وتوزيع: مكتبة الطالب-الرباط، ١٤٠٧/١٩٨٦.

٢٨. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر-بيروت.

التقنيات الهندسية في جوامع حلب خلال العصر العثماني

وكيفية الحفاظ عليها "جامع العادلية بحلب أنموذجا"

د. م. وفاء عبد الرحمن النعسان

سوريا

استولى العثمانيون على مدينة حلب عام (٩٢٢هـ/١٥١٦م) بقيادة السلطان سليم الأول، وبذلك تم ضمها إلى الإمبراطورية العثمانية، وعلى الرغم من التحولات الحاسمة على العلاقات الدولية التجارية، وتحول الطرق التجارية بعد اكتشاف رأس رجاء الصالح، لم ينحسر الازدهار الاقتصادي عن حلب خلال القرن الأول من هذا الاحتلال، بل أصبحت من أهم مراكز التبادل التجاري بين الهند وإيران وأوروبا، وقد قام البنادقة بتأسيس الوكالات التجارية والقنصليات فيها عام (١٥٤٨م)، وتبعهم في ذلك الفرنسيون والإنكليز والهولنديون.

ويصفها الرحالة الأوربيون الذين عاشوا في حلب في تلك الفترة، بأنها ثالث أضخم مدينة في الإمبراطورية العثمانية بعد استنبول والقاهرة، هذا الرخاء الاقتصادي إضافة إلى حالة الاستقرار التي نعمت بها البلاد تبعه الازدهار العمراني. ومع أن دمشق بقيت العاصمة الإقليمية الأولى لسورية العظمى، إلا أن حلب اكتست على الصعيد الهندسي الكثير من الرعاية التي أغدقت عليها من قبل السلاطين المماليك الذين شيّدوا فيها الجوامع، وشرعوا في وضع برنامج لتوسيع وتحسين أسواق المدينة[١] وكانت ثلاث أرباع الأبنية الوقفية الكبيرة التي تم إنشاؤها بين عامي (١٥٤٦- ١٥٨٣) م، تقوم بين القلعة وباب أنطاكية في جنوب الطريق المستقيم الواصل بين البنائين المذكورين، وهكذا توسعت المدينة من (٦) هكتارات إلى (١١) هكتارًا خلال (٥٠) عامًا[٢].

يزخر التراث العربي بالكثير من الأوابد التاريخية التي مازالت باقية إلى الآن تشهد بعناصرها المعمارية المميزة على براعة العرب وحسهم الهندسي العالي، وتعد المساجد أكثر هذه

الأوابد انتشارًا؛ وذلك لأهميتها ضمن المجتمع الإسلامي.

٢. مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في عدم وجود دراسات تحدد التقنيات الهندسية للجوامع العثمانية في مدينة حلب، والتبدلات التي جرت عليها، والمشاكل التي تعاني منها، إضافة إلى فقر المكتبة العربية والإسلامية للدراسات الهندسية، والحلول المقترحة بغية الحفاظ على هذه الجوامع التاريخية.

٣. أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من خلال الدراسة التاريخية للملامح الهندسية المميزة للعناصر الإنشائية للجوامع التاريخية في مدينة حلب خلال العصر العثماني.

٤. الهدف من البحث:

- تحديد سمات وخصوصية التراث الهندسي الإنشائي العربي في مدينة حلب خلال العصر العثماني.
- التوثيق الهندسي لعناصر إنشائية مستخدمة في مبانٍ تاريخية حجرية في مدينة حلب خلال العصر العثماني. وتحديد مواد البناء المستخدمة من خلال دراسة جامع العادلية الذي يعد أنموذجًا مميزًا عن الفن المعماري العثماني في مدينة حلب.
- الدراسة الترميمية المقترحة للجامع بغية الحفاظ عليه.

٥. طرائق الإنشاء الهندسي في العمارة التاريخية الإسلامية بحلب خلال العصر العثماني:

٥-١. مميزات الإنشاء في عمارة مساجد العصر العثماني في مدينة حلب:

المدن السورية التي بسطت السلطة العثمانية سيطرتها عليها كانت محتفظة بمبدئها التخطيطي للمدن الإسلامية. وتمتاز مدينة حلب بغناها بالمعالم الأثرية التي تشكل هوية بانيها وتاريخها العريق وأمجادها، فهي منارة للحضارات السابقة ومعلم من معالم التاريخ. يبين الشكل (١) مخطط مدينة حلب في بداية القرن السادس عشر الميلادي، كما يبين الشكل (٢) مخطط مدينة حلب في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

تم إحصاء أكثر من (٨٦) مسجدًا في حلب يعود للفترة العثمانية الممتدة بين (٩٢٢هـ/١٥١٦م - ١٣٣٦هـ/١٩١٨م)، ويعد بناء منشأة الخسروية عام (٩٥١هـ/١٥٤٤م) التي ضمت مسجدًا جامعًا ومدرسة داخلية وتوابعها، حدثًا بارزًا بل ثورة في العمارة الإسلامية في حلب، من حيث المسقط الأفقي والتسقيف والأقواس والواجهات، والمآذن والمحاريب والسدة، ولكن هذه الثورة لم تتمكن من القضاء على التقاليد المعمارية الحلبية التي ظلت مستمرة وسائدة[٣].

ومن أهم الملامح الهندسية التي ميزت مساجد العصر العثماني في مدينة حلب:

أ- **المسقط الأفقي:** أضيفت أروقة خارج حرم الصلاة الذي ثبت موقعه غالبًا جهة القبلة، كما أنشئت إيوانات ضمن حرم الصلاة، ومساطب، وبنيت الغرف والأروقة والإيوانات على الأضلاع الشرقية والغربية والشمالية. وتقل الأعمدة والدعامات في حرم الصلاة، ويمكن

اعتبار مساجد الخسروية والعادلية والبهرمية والعثمانية نماذج لهذا العهد.

ب-الجدران: استخدمت الجدران الضخمة المبنية بالحجارة الكلسية (المشذبة وغير المشذبة) بسماكات كبيرة.

ج-الدعائم والأعمدة: استخدمت الكمرات الضخمة لحمل القباب المركزية الكبيرة، وأشكال الكمرات مربعة، مضلعة أو مستطيلة أو صليبية المسقط، ولا تنتهي الكمرات عن ارتكاز العقود عليها، ولكنها تستمر تبرز حول رقبة القبة كالأبراج يعلوها القبيبات المزخرفة، واستخدمت الأعمدة لحمل قناطر الأروقة والقناطر الثانوية في قاعة الصلاة، وصنعت الأعمدة من الرخام أو الحجر.

د- الأقواس والعقود: كانت العقود الكبرى الرئيسية من النوع المدبب (يرسم من مركزين)، واستخدم العقد الفارسي (يرسم من ٤ مراكز) وقوساه العلويان مقعران نحو الخارج، كما استخدم العقد النصف دائري والعقد (أقل من نصف دائرة) في الأبواب، وفوق النوافذ.

هـ مواد البناء: كثر استعمال تشكيلات الحجارة الكلسية البيضاء والسوداء في الواجهات، وتنوعت نماذجها في إطارات النوافذ والأبواب، وسواكفها من مزررات وصنجات ومداميك، كما استعمل الحجر النحيت والغشيم، وأيضًا استخدم الكلس في البناء، واستخدم الرخام المنقوش والخزف والمعجونة الملونة في الزخارف، كما استخدم الجص في بعض النقوش، والخشب في التزيين، واستخدمت المونة الكلسية، إضافة إلى مادة القصر مل (كلس وغضار ومخلفات رماد الأفران).

و- المآذن: ليست مربعة أو مضلعة كما في العقود السابقة. منها إسطوانية كما في الأصل السلجوقي، وهي أكثر ارتفاعًا ورشاقة، ومزودة بالأخاديد أو كثيرة الوجوه، ومتعددة الشرفات، وتنتهي برأس مخروطي دقيق مصفح بالرصاص. والشكل العام لمآذن العهد العثماني يتميز بالنحافة والرشاقة، والمقطع العرضي للمئذنة مكون من (١٦) ضلعًا وهناك عددًا محدودًا له مقطع عرضي مكون من (١٢) ضلعًا أو من (٨) أضلاع. منظر المآذن العثمانية يشبه قلم الرصاص المدبب، واستعملت فيها المقرنصات تحت الشرفات أو عند موقع الانتقال من قاعدة الاستناد المربعة إلى الشكل المضلع لجذع المئذنة، بواسطة قسم انتقالي مقرنص ثلاثي الأبعاد.

ز- القبة: تطور إنشاء القباب على يد المعمار سنان بن عبد المنان، فأصبحت القبة الطابع المميز لعناصر إنشاء المساجد العثمانية، وأمكن بطريقة مبتكرة إنشائيًا توسيع فتحة القبة، وبالتالي إيجاد فراغ واسع لحرم الصلاة، وذلك بإنشاء قبة مركزية تستند على أنصاف قباب أو أجزاء قباب أصغر منها، تنقل حمولتها إلى عناصر الاستناد والتي أصبحت جدرانًا بدلًا عن الأعمدة الحاملة، هذا النوع من القباب موجود في مساجد إستانبول بكثرة.

ح-الأبواب والنوافذ: الأبواب أو البوابات المؤدية للمسجد أو قاعة الصلاة اعتيادية متناسبة مع

ارتفاع الواجهات، وأقل ارتفاعًا من الواجهات، عناية زخرفية في الأبواب وتزداد بمحارب جانبية، ونقوش ومقرصنات، وأشرعة كتابية مذهبة (كما في السلجوقية). والنوافذ معظمها متشابهة، ويعلوها قوس دائري أو مدبب، ونقوش جصية معشقة بالزجاج الملون.

ط- المحراب: تمثل محاريب الخسروية(٩٥١هـ/١٥٣٧م) والعادلية (٩٦٣هـ/١٥٥٥م) والبهرمية (٩٨٨هـ/١٥٨٦م) نماذج متنوعة لمحاريب العهد العثماني. في الخسروية تجويف المحراب نصف دائري، مضلع مزين بنقوش هندسية نجمية وبخط عربي، والعقد مدبب مكون من قوس دائرة أحدهما محدب للداخل والآخر للخارج عند القمة، وفوق العقد يوجد مزررات، وفي واجهة المحراب إطار زخرفي تزييني من الأشكال النجمية المرمرية، ونلاحظ في محرابي العادلية والبهرمية عناصر تزيينية وزخرفية مستمدة من محاريب العصر العثماني، مثل اللوحة فوق المحراب المكونة من تداخل شرائح حجرية متشابكة مستقيمة، ودائرية وتزيين تجويف المحراب بشرائح طولانية، ووجود عمودين إلى جانب المحراب، ثم تضاءلت العناصر التزيينية والزخرفية في محاريب العهد العثماني المتأخر[٤].

ي-المنبر: تميزت منابر الجوامع الثلاثة الأولى بزخارفها الحجرية، وألوان المرمر المتعددة التي استعملت في بنائها، أما منبر العثمانية فقد بني من الحجر الأصفر، وهو خال من الزخارف والألوان، وهذه المنابر كبيرة مرتفعة تتناسب مع ضخامة القبلية.

ك- المقصورة والسدة: وأهم المساجد العثمانية الجامعة التي ظهرت في القرون الأربعة بمدينة حلب، ومن خلال دراسة مواصفات وتصاميم وأساليب وتقنيات البناء التي تم الاعتماد عليها في عمارة المساجد التي شيدت في العصر العثماني بمدينة حلب، نجد جامع الخسروية، وتقع في ساحة بزة غرب السلطانية، جوار قلعة حلب (أمام مدخل القلعة)، وتعدّ أول الجوامع العثمانية التي شيدت في سورية بشكل عام وأقدمها، وفي مدينة حلب بشكل خاص، فقد قام المعماري سنان ببناء جامع الخسروية عام (١٥٣٦م، بأمر من الوالي خسرو باشا بن سنان، في عهد السلطان سليمان الأول القانوني، وعلى الرغم من تواضع الجامع من حيث القياس، مقارنة بمشروعات سنان التي نفذها فيما بعد في مدينة استانبول وغيرها، إلا أنها من أهم الجوامع الإسلامية، وتساير، وبنجاح، الموقع الذي أقيمت عليه، وتختلف عما سبقها من الجوامع والمساجد.

ل- العناصر الزخرفية: التكوين البنائي ظهر على الواجهات الخارجية من حيث الناحية الجمالية والزخرفية، ومن الداخل: ترخيم، ألواح خزف (قيشاني) مربع أو مسدس، وارتقت صناعة الخزف في هذا العهد، وألواح الخزف غالبًا عليها رسوم للأزهار والنباتات الملونة، والقيشاني، ونقوش جصية بشكل ممدود في طاسة القبة، أو أشرطة في أعالي الجدران الداخلية[٥].

٥ـ٢ـ السمات العامة للجوامع العثمانية في مدينة حلب:

- ظهور المسقط الأفقي المربع للقبلية ذي المساحة الأفقية الكبيرة، والخالي من الأعمدة.
- ظهور المسقط الأفقي ذي الدعامات الأربعة بمساحة كبيرة في الوسط، ومساحات صغيرة حولها.
- ظهور المسقط الأفقي كثير الأضلاع (المسدس).
- استمرار المساقط الأفقية التقليدية في معظم المساجد، مع غلبة القبلية ذات المجاز الواحد والفتحات الثلاث.
- ظهور الإيوانات في القبلية، والمحاريب الصغيرة فيها.
- بناء الرواق والمسطبتين أمام القبلية.
- بناء القبلية ككتلة معمارية مستقلة عن السياج الخارجي، وتحيط بها الباحات والحدائق، وانفتاح القبلية بنوافذ كثيرة على الوسط المحيط. وهذا منطلق لمساجد العصر الحديث.
- تزيين القبلية من الداخل بالألوان، باستعمال القاشاني فوق النوافذ، والأحجار الملونة بالأسود والأصفر، أو البني للنوافذ والأقواس، ودهان القباب من الداخل برسومات ذات ألوان متعددة، واستعمال الزجاج الملون للنوافذ.
- تزيين الواجهات الداخلية بالزخارف الحجرية، والألوان المتناوبة والمزررات والقاشاني.
- استعمال الأقواس ذات المراكز الأربعة، لأغراض معمارية وإنشائية (حاملة للقباب وفي الرواقات والنوافذ، وأقواس عاتقة)، ولكن هذا لم يكن على حساب الأقواس المدببة التي ظلت شائعة بل ومسيطرة.
- ظهور القوس حدوة الفرس المدبب وللمرة الأولى في مساجد حلب.
- استعمال القباب الكبيرة جزء من كرة ونصف كروية، لتغطية مساحات واسعة بدون أعمدة وسطية، مع تصفيح القباب بالرصاص، واستعملت الأسقف الجذع الهرمية، والأسقف على جسور الحديد، والأسقف الخشبية، مع استمرارية وسيادة الأقبية المتقاطعة، والقبو المهدي، إضافة إلى القباب الصغيرة على رقبات أو بدونها.
- ظهور الرقبات الدائرية من الداخل، ذات البروزات والدعامات من الخارج، والرقبات (١٦) ضلعًا، مع استمرارية الرقبات (١٢) ضلعًا وأحيانًا المثمنة.
- تعدد الأقواس الحاملة للقبة (٨ و١٢) واستعمال الحنيات الركنية، وبداخلها سروال أو مقرنصات للانتقال. وظهور السروال المزدوج، مع استمرارية استعمال السروال والمثلث الكروي للانتقال.
- ظهور المآذن الكثيرة الأضلاع (١٦) ضلعًا بشرفة بدون مظلة، ونهايتها مخروطية مصفحة بالرصاص. ولكن كان هذا في عدد محدود من المساجد (٨ مساجد)، وظلت المئذنة المثمنة بالشرفة والمظلة هي السائدة، مما يدل على أن ذوق المعمار الحلبي لم يتقبل الشكل الجديد للمئذنة، وبخاصة النهاية المخروطية.
- ظهور المآذن من (١٢) ضلعًا على نطاق محدود.
- بناء المئذنة كجزء من القبلية في بعض

المساجد، بدلًا من توضيعها للمسجد كما كان سائدًا. وسنجد هذه الظاهرة في مساجد العصر الحديث.

- بناء المحاريب المضلعة التي تملأ طاستها المقرنصات.
- جعل السدة جانبية على يمين المدخل، بدرج حجري داخلي في بعض المساجد، مع سيادة السدة التقليدية (فوق المدخل)[٦].

ولإيضاح طرائق الإنشاء الهندسي في المباني التاريخية الإسلامية خلال العصر العثماني، تم اختيار جامع العادلية من مدينة حلب كأنموذج لإيضاح الدراسة.

٢-٥ـ طرائق الإنشاء في جامع العادلية بحلب: (حالة دراسية من العصر العثماني):

٥-٣ـ ١ـ نبذة تاريخية: يقع الجامع في ساحة بزة بالقرب من مدرسة السفاحية بجانب حمام ميخان، وهو أول مسجد يُبنى في حلب وفق النموذج العثماني، فيه بعض ألواح من القاشاني الجميل، بناه محمد باشا بن أحمد الرومي سنة(٩٦٣هـ/١٥١٧م)[٧]. ويبعد عن مركز المدينة ما يقارب (٣٠٠) متر، ويقع الجامع في المنطقة العقارية السابعة والمحضر (٣٢٣٥)، ويبين الشكل (٣) موقع جامع العادلية بالنسبة لمركز المدينة بحلب. كما يبين الشكل (٤) المسقط الأفقي لجامع العادلية بحلب. وتبين الصورة (١) صورة جوية للموقع.

اشتهر باسم جامع العادلية أو العدلية؛ لأنه كان يقع بجوار دار العدل التي كانت دارًا للحكومة[٨]، وهي سراي سنقار على حد قول الغزي[٩]، كما يصف الغزي[١٠] الجامع قائلًا: "هذا الجامع من مشاهير جوامع حلب فخامة وإتقانًا، وأوقافه على كثرتها لا نظير لها، وهو مبني على نسق جوامع الروم، له رَحبة متسعة، في وسطها حوض مدور مسقوف بزخرف، ومحاط بشبابيك من الحديد، وفي الجهة الجنوبية من هذه الرَحبة رواقان ممتدان من الشرق إلى الغرب على القبلية، القسم الداخلي منها مسقوف بالأخشاب، والقبلية واسعة جدًا تشبه قبلية جامع البهرامية، ولها شبابيك مطلَّة على حديقة، وللجامع بابان غربي وشرقي".

ويُعرّفنا الطباخ[١١] في كتابه إعلام النبلاء هذا الجامعَ قائلًا: "إن محمد باشا بن دوقة كين الرومي وُلَدَ السلطانةِ كوهر ملكشاه بنت عَمِة السلطان سليمان بن عثمان، تولى الوزارة للسلطان سليم وَوَلـدِه سليمان، وتولى حلب سنة (٩٥٧هـ/١٥٢٣م)".

٢-٥ـ ٢ـ الوصف الهندسي للجامع:

أ- **المدخل الشرقي:** بسيط خالي من الزخارف عرضه (١,٨) م. بابه من الخشب المصفح بالحديد، ينتهي في الأعلى بقوس مجزوء يعلوه، ويبرز عنه عقد مدبب مفصّص. يؤدي هذا المدخل إلى ممر طويل (٣٣,٢×٣,٣٥) م. مسقوف بالأقبية المتقاطعة وينتهي بصحن الجامع. كما في الصورة (٢).

ب-**المدخل الغربي:** بوابة ضخمة عرضها (٢,٦) م. مؤلفة من درفتين كبيرتين من الخشب المصفح بالحديد، يعلوها قوس مدبب بكورنيش حجري ذو زخارف بسيطة. تنفتح هذه البوابة على بهو صغير أبعاده

(٢,٨×٣٠,٤) م. مغطى بقبو سريري مدبب يليه ممر طويل مكشوف في جهته الجنوبية دورات المياه. وينتهي بـدرج يصعد إلى المدخل الثاني وعرضه (١,٥) م، يؤدي إلى بهو مدرج بسبع درجات أبعاده (٢,٦×٣) م. مسقوف بقبة كروية وينفتح على صحن الجامع. كما في الصورة (٣).

ج- **الصحن** يقع الصحن شمـاليّ القبلية، وهو ذو شكل شبه منحرف طـول ضلعه الجنوبي (٥١,٥) مترًا، ويتوسطه حوض وضـوء مسدس الشكل، تعلوه قبة خشبية الصورة (٤)، والمسقوف بمظلة خشبية سداسية الشكل والمحمولة على ستة أعمدة من الحجر الأصفر، وهـذه الأعمدة ذات تيجان بسيطة، ويتوسط المظلة قبة خشبية مدببة ومصفحة بطبقة رصاصية، ويُدخل إلى الصحن من الجهتين الغربية والشرقية بممرين طويلين، وقد امتد في قسمه الجنوبي رواقـان باتجاه (شـرق، غـرب). أُنشِئت أحواض الوضوء غربيّ الرواقين، وأُنشئت الحجازية التي ضمَّت أحـواض الوضوء نحو عـام(١٣٨٠هـ/١٩٦٠م). وجُعِل سقف الـرواق الخارجي من البيتون المسلح عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٥م)[١٢]، وأرضية الجامع تم كساؤها بالحجارة البيضاء المصقولة، أما أرضية الصحن حول البركة، فتم أكسائها بالرخام الأبيض والأصفر والحجر الأصفر والأسود.

د- **التسقيف:** يُغطي القبلية قبة واحـدة كبيرة على شكل قطّـاع مـن كـرة، تكسوها من الخارج صفائح الرصاص، والقبة قطرها (١٨٦٠) سم، ومدعمة جانبيًا بثماني دعامات موزعة بشكل زوجي على محيط القبة، مبنية بالحجارة الكلسية، وتستند إلى جدار قوسي من الحجارة أيضًا، ويستند الجدار القوسي على جدران مبنية بالحجارة الكلسية وفق ما يوضحه الشكلان (٥) و(٦)، فكان هذا إنجازًا مهمًا كبيرًا في فن العمارة بحلب. كما أن القبة تطبق على محيط الاستناد الحقلي (الرقبة) قوى دفع أفقية، لهذا تَمَّ عمل ثماني دعامات حجرية، الشكلان (٧) و(٨)، موزعة بشكل مزدوج على كامل محيط الرقبة الحاملة للقبة وموزعة على زوايا المسجد الأربع، بحيث تُعد هذه الدعامات عناصر مقاومة لقوة الدفع الأفقية، الشكل (٩)، ونتيجة لهذه الدعامات تنتقل القوى الأفقية إلى جدران المسجد عند الزوايا الأربع المؤلفة من جدران حجرية كلسية بسماكات كبيرة، وصلت إلى نحو (٤٠٠) سم، الشكل (١٠). وتستند القبة إلى رقبة دائرية يدعمها من الخارج ستة عشر بـروزًا كما ذكرنا آنفًا، بين كل بروزين نافذة، وفي كل زاوية عنصران داعمان كل منهما على شكل نصف قوس، لمقاومة الدفع الأفقي عند تعرّض المنشأة لخطر الزلازل، الصورتان (٥) و(٦). يتقدم الرقبة من الداخل شُرفة تُسهِّل التنظيف والصيانة للقبة ورقبتها، تستند الشرفة والرقبة إلى ثماني أقواس، خلف الأقواس الأربع الزاوية حِنيات ركنية، وتحت كل حِنية ثمانية صفوف صفر من المقرّنصات، تُؤمِّن مع الحِنيات الركنية الانتقال من المربع إلى الدائرة، الصورة (٧). وسَقف المجاز الأول من الرواق أمام القبلية خمس قباب نصف كروية الصورة (٨) مغطاة بصفائح الرصاص، تستند كل قبة منها مباشرة وبلا رقبة إلى الأقواس المدببة الأربع

المحيطة بها، الصورة (٩)، ويتم الانتقال من الدائرة إلى المربع بمثلثات كروية، سقف المجاز الثاني بيتون مسلح جُدِّد في العصر الحديث الصورة (١٠).

هـ القبلية: القبلية تقع في الجهة الجنوبية، وهي ذات مسقط أفقي مربع الشكل (١٦*١٦) خالي من الأعمدة، وبذلك تشبه قبلية جامع الخسروية، عدا عن الإيوانات العشرة التي ترتفع عن أرضية القلبية بحوالي (٤٠) سم، والموزعة على جوانب القبلية[١٣]. ويتقدم مدخل القبلية ردهة صغيرة على جانبها تجويفان مضلعان على هيئة المحاريب، تعلو كل نصف قبة مدببة من المقرنصات الدقيقة، ويحدّ ردهة المدخل من الجانبين عمودان دائريان من الرخام الأبيض، ويزين بدن كل عمود نقوش نباتية، ويعلوه تاج رخامي مقرنص. أما سقف الردهة فيتشكل من نصف قبة مدببة، ومقرنصات ذات متدليات حجرية رائعة، ويزين واجهة المدخل من الأعلى عقد مدبب، تكونت مداميكه من الحجارة الصفراء والسوداء المتداخلة من الداخل، يعلو باب القبلية لوحة بشكل قوس مدبب من القاشاني الملون بالأزرق والأبيض، عليه صور نباتية متعانقة، يتوسطها قاشاني أزرق مكتوب عليه بخط الثلث آيات قرآنية، ويعلو المدخل سدة خشبية مرتفعة يصعد إليها من درج حلزوني يقع عن يمين المدخل. والجديد في هذا المسقط الأفقي، ليس فقط بوجود الإيوانات الداخلية والخارجية، والأروقة والمساطب أمام القبلية، وانفتاحها الكبير على الساحات والحدائق المحيطة، بل هو وبصورة رئيسية بخلو القبلية الواسعة من الأعمدة والدعامات التي كانت تقطع صفوف المصلين، وتحجب أنظار البعض عن الخطيب. وتبين الصورة (١١) مدخل قبلية الجامع.

و- المحراب: محراب القبلية تحفة فنية بزخارفه الحجرية وألـوان المرمر المتعددة التي استعملت في بنائه، وأكثر ما يميز المحراب، هـو استخدام المقرنصات التي أحيطت بالزخارف الحجرية والمزررات من المرمر الملون.

ز- المنبر: يقع المنبر على يمين المحراب، وهو رخامي أبيض التكوين، تزين حشوته الجانبية إطارات بسيطة من الرخام الأصفر والأسـود، وله باب خشبي تكسوه زخارف هندسية دقيقة مطعمة بالصدف، يعلوه تاج من المقرنصات. أما مكان وقوف الخطيب، فيعلوه هرم ثماني الأوجه محمول على أربعة عقود مدببة، تستند إلى أربع دعائم رخامية رشيقة. ويعلو المحراب نافذة مغطاة بالجص المعشق بالزجاج الملون، وبأشكال زخرفية نباتية، غاية في الدقة والجمال. وتبين الصورة (١٢) محراب ومنبر الجامع.

ح-الرواقان: هما متتاليان ملتحمان، يتقدمان القبلية من الجهة الشمالية، تكسو أرضها الحجارة الصفراء والمصقولة، الرواق الأول داخلي، يقوم على مصطبة مرتفعة منخفض في منتصفها عند مدخل القبلية. يعلو هذا الرواق خمس قباب ترتكز على عقود مدببة محمولة على جدران القبلية من الجهة الجنوبية، وعلى دعامات حجرية دائرية المقطع، تعلوها تيجان من المقرنصات الدقيقة. الصورة (١٣) تبين الرواقين الملتحمين. أما الـرواق الخارجي فهو محيط بالرواق الأول. مسقوف بسقف

بيتوني مستوي محمول على سبعة عشر عقدًا مدببًا، محمولة بدورها على أعمدة حجرية دائرية بتيجان مزخرفة بالمقرنصات والمتدليات الدقيقة الصنع والتي تختلف من تاج لآخر. ترتبط هذه التيجان مع بعضها بأربطة معدنية تحول دون انفراجها تحت ثقل السقف والعقود. وفي الجهة الغربية للرواق موضأ بأبعاد (١٣,٨×٦,٦) م. بسقف بيتوني مستوي. وفي الركن الغربي للموضأ درج مستقيم يصعد إلى الطابق العلوي المبني فوق غرفة الإمام، وهو عبارة عن صالة كبيرة أبعادها (٤,٥×٥,٤) م. ذات سقف بيتوني مستوي.

ط- المئذنة: أدخل العثمانيون إلى حلب شكلًا جديدًا للمآذن، أصبح من المميزات الرئيسية لمساجد العصر العثماني، برغم قلة انتشاره على نطاق واسع، ونُفِذَ في عدد محدود من الجوامع، ومئذنة جامع العادلية تُجَسِّد الشكل النموذجي للمآذن العثمانية الصورة (١٤). يرتفع جسم المئذنة فوق السطح عاليًا بمقطع من ستة عشر ضلعًا، يحيط به من الأعلى شريط من المزرّرات المشكلة من تداخل المرمر الأبيض والأسود. تبرز الشُرفة فوقه مستندة إلى مقرنصات دقيقة وجميلة، وتحيط بالشرفة سِتارة من الحجر المخرم، وتتوضع المئذنة في الزاوية الشمالية الغربية من كتلة القبلية مشكلة جزءًا منها. إن هذا النوع من المآذن أعطى شكلًا مميزًا عن بقية الجوامع في حلب، وللجامع مئذنة واحدة وتقع جنوب غربي الرواق، وتشكل جزءًا من كتلة القبلية، مقطع بدن المئذنة يتألف من (١٦) ضلعًا وشرفة، وتنتهي المئذنة بنهاية مخروطية مكسوة بصفائح النحاس.

ي-الواجهات: أولى العثمانيون الواجهات الداخلية لجوامع حلب عناية كبيرة، فزيَّنوها بالمُقرنصات وبتناوب الألوان وتعددها، وبالقاشاني وألوانه الزاهية. وتتألف واجهة رواق العادلية المُطلَّة على الصحن من أقواس حدوة الفرس المدببة، وهي أول استعمال لهذا النوع من الأقواس على نطاق واسع، ويتناوب الحجر الأسود والحجر الأبيض في القوسين على جانبي القوس الوسطى، كما تتوضع نافذة دائرية بين كل قوسين، تستند الأقواس إلى أعمدة دائرية، تعلوها تيجان مقرنصة الصورتان (١٥) و(١٦). منح العثمانيون مدخل القبلية ضمن الرواق عناية كبيرة فَجُعِل ضمن إيوان الصورة (١٧)، وزُيّن بتناوب الحجر الأسود والأصفر بالمزرّرات والمقرنصات الصورة (١٨)، والمُدلّيات والزخارف الحجرية، وهذا ما نشاهده في مدخل قبلية العادلية، ومُلئت المساحة بين نجفات النوافذ والأقواس ذات المراكز الأربعة بالقاشاني من داخل القبلية وخارجها، كما نلاحظ استعمال القوس الموتورة في بعض فتحات النوافذ والأبواب في الجامع، الصورتان (١٩) و(٢٠). أما الواجهات الخارجية للجامع، لم يعتن العثمانيون بالواجهات الخارجية المطلة على الشارع، فجاءت بسيطة خالية من الزخارف، واستمر التقليد المستمد من العصور السابقة، بوضع المدخل الخارجي ضمن إيوان، وجعل الإيوان العثماني بسيطًا خاليًا من الزخارف. وكان اهتمامهم على الواجهة الداخلية للقبلية المشرفة على الرواق، فأحاطوا المدخل

إلى القبلية بالمزررات الملونة بالأصفر والأسـود، وبالنقوش الحجرية والأقـواس بأنواعها المختلفة والمقرنصات، ولونت إطارات النوافذ من الداخل والخارج بالأصفر والأسود، كما ملئت المساحة بين نجفة كل نافذة والقوس في المراكز الأربعة فوقها بالقاشاني[١٤] الملون من الداخل والخارج، وجعلت أحجار بعض أقواس الأروقة ملونة، ولم تقتصر الزخرفة على الواجهة بل تعدتها إلى داخل القبلية، فجعل زجاج النوافذ العليا ملونًا، وزين المحراب والمنبر بمختلف ألوان المرمر والموزاييك. ولونت أحجار الأقواس الحاملة للقبة، كما دهنت القبة من الداخل برسومات بألوان مختلفة، واستخدمت النوافذ الدائرية العليا بزجاج ملون كعنصر زخرفي.

٥-٢-٢ الوضع الحالي (الراهن) للجامع:

أ- **القبلية:** تعرضت قبلية الجامع لأضـرار كبيرة، فقد شملت الجدران والأرضية وألواح القاشاني وكافة النوافذ والأبواب، بالإضافة إلى حدوث شروخ وانزياح في مراكز الأقواس الحاملة للشرفة، وفي المقرنصات أيضًا. أما المحراب فقد لحق الضرر بالقسم العلوي من الكورنيشة الحجرية ذات المقرنصات الدقيقة، والمنبر تعرض لقسم كبير من الدمار؛ حيث تم تدمير أغلب أقسامه، ولم يبق منه أي شيء يذكر. وتعرضت القبة الرئيسية في الجامع للتهدم بشكل كامل نتيجة الأعمال الإرهابية، والصورة (٢١) توضح الضرر الذي لحق بالقبة، ومقارنة بين شكلها الحالي، والشكل الذي كانت عليه قبل الحرب.

ب-**الرواقان الملتحمان الشماليان:** تم رصد تضـرر بسيط فـي الـرواقيـن الملتحمين الشماليين، كما هو موضح في الصورة (٢٢) التي تحتوي على مقارنة بين شكل الرواقين الملتحمين قبل الحرب، والشكل الحالي بعد الحرب.

ج-**الأروقة والقباب:** القبة الرئيسية دُمرت بشكل كامل، ولم يبق منها شيء يذكر، أما القباب الخمس فقد لحق بها التصدعات والشقوق، وتعرض القسم الأيمن من روق القبلية إلى الدمار، وكسر بعض الأعمدة الحاملة للأقواس.

د- **المئذنة:** تم رصد عدة أضرار في مئذنة جامع العادلية، وتتمثل هذه الأضرار في تخريب الذروة المخروطية للمئذنة، وتدمير جزء من القسم الأوسط، بالإضافة تخريب في الشرفة المستديرة، والمقرنصات أسفل الشرفة في المئذنة، كما هو موضح في الصورة (٢٣)

هـ-الرواق الغربي: طال الدمار الرواق الغربي للجامع، فنلاحظ تهدم بعض الأقواس المدببة والأعمدة في الرواق الغربي. الصورة (٢٤).

و- **الصحن:** تعرض الصحن لقسم من الدمار، بالإضافة إلـى هـدم قبة حـوض الوضوء (الشادروان). ألحقت بعض الأضرار البسيطة في صحن جامع العادلية، وتوضح الصورة (٢٥) الضرر الذي ألحق في حوض الماء المسقوف الذي يتوضع في صحن الجامع. كما تعرض باب المدخل الشرقي للجامع للتخريب كما هو موضح بالصورة (٢٦)

٥-٢-٤ الأعمـال الترميمية السـابقة في الجامع[١٥]:

شهد الجامع عددًا من التعديلات والإضافات منها:

- تم استبدال سقف الرواق الخارجي الخشبي، بسقف من الحديد، وذلك في عام (١٩٢٣م).
- كما أنشئت الحجازية عام (١٩٦٠م)، التي ضمت أحواضًا للوضوء.
- في عام (١٩٧٥م)، تم تحويل سقف الرواق الخارجي إلى بيتون مسلح.
- شهد الجامع فيما بعد عددًا من أعمال الترميم للقبة التي يبلغ قطرها (١٥) مترًا وارتفاعها (٢٢) مترًا، واشتملت أعمال ترميم القبة:

١. رسم الزخارف والكتابات الموجودة في منتصفها وعلى أطرافها.

٢. فك الزريقة القديمة وترميم الشقوق، وإعادة تزريق القبة بالكلسة الحلبية البيضاء، بعد تسليحها بشبك معدني.

٣. إعادة رسم الزخارف والكتابات كما كانت، وترميم القبة المصفحة بالرصاص من الخارج.

٤. إصلاح التمديدات الكهربائية والمنجور الداخلي، والدربزون الخشبي للرواق المحيط بالقبة.

• لذلك فإنه يجب تحقيق الأهداف الخاصة بالمبنى ومن أهمها:

١. إيجاد نوع من الإشراف الدائم على هذه المباني الأثرية، عن طريق مستخدميها والمتخصصين، بما يؤدي إلى الحيلولة دون إهمال هذه المباني وهجرها، وكذلك منع التعدي عليها، وإتلافها بشكل متعمد.

٢. الحماية والحفاظ والإحياء للمباني الأثرية، وضمان استمرارية أعمال الصيانة لهذا التراث المعماري، وبخاصة الأعمال قصيرة الأجل، كأعمال النظافة التي يصعب ضمان استمرارها دون إعادة توظيف المبنى.

٣. وجود الصيانة الذاتية للمبنى، من خلال الإصلاحات، وترميم ما قد يتلف من عناصرها.

٥-٢-٥- إعادة إحياء جامع العادلية:

تجدر الإشارة إلى أن قانون حماية الآثار رقم(١١٧) لعام(١٩٨٣م)، لم يشترط نوعية التوظيف لهذه المباني الأثرية، لكن اشترط ميثاق البندقية (١٩٦٤م) شروط ونوعية الوظيفة الملائمة للمباني الأثرية، بأن لا تتعارض مع طبيعة المبنى الأثري، وفي إنجلترا وعلى سبيل المثال لا توجد قيود على نوعية الاستخدام للمباني الأثرية المصنفة من الدرجة الثانية، إلا أنه بفضل التوظيف في الاستخدامات الثقافية والتعليمية، ومن أهم الوظائف التي أقرتها، أن تكون مستخدمة مكتبات ذات طابع أثري، أو مراكز ثقافية، أو مراكز تعليم الفنون، مثل أعمال المعادن والخشب والنسيج اليدوي، أو تستخدم معارض فنية[١٦].

سنقوم بطرح فكرة لتأهيل جامع العادلية، واستثماره سياحيًا، عسى أن تكون فكرة ناجحة في الحفاظ على هذا المبنى الجميل واستثماره، وتكمن هذه الفكرة بتحويل الجامع إلى متحف للكتب والمخطوطات الإسلامية، مستفيدين بذلك من فكرة تحويل الجامع العثماني آيا صوفيا إلى متحف، وسنقوم بتوزيع الوظائف كالآتي:

- تحويل الرواقات إلى قاعات تضم المكتبات التي تحوي على الكتب والمخطوطات الإسلامية.

- يتم المحافظة على القبلية كقسم مخصص لإقامة الشعائر الدينية.
- الحفاظ على وظيفة باقي العناصر.

٥-٢-٦- معايير اختيار وظيفة الجامع كمتحف إسلامي:

أ- الأهمية التاريخية للجامع:

إن المبنى يعود إلى الفئة العثمانية، ويوثق فترة من تاريخ حلب، فباختيارنا لهذه الوظيفة نشيد بأهمية هذا المبنى، ونسلط الضوء على أهمية التراث العربي الإسلامي، ونقوم بحماية هذا المبنى من خلال توفير الصيانة الدائمة له.

ب- الأهمية المعمارية للجامع:

لهذا الجامع أهمية معمارية؛ لأنه يعكس القيم الفنية الكامنة في العمارة العثمانية، وبالتالي عند إعادة إحياء هذا المبنى الجميل، وتزويده بمكتبة إسلامية غنية بالتراث الإسلامي، سيجذب انتباه الزوار من سياح وأبناء هذه المنطقة إلى نقطتين مهمتين:

١. يتم تعريف الزوار على عناصر العمارة العثمانية المكونة للمساجد في تلك الفترة.

٢. يتم تعريف الزوار بالتراث العربي الإسلامي العريق.

ج- أهمية موقع جامع العادلية:

نلاحظ أن جامع العادلية يقع ضمن النسيج العمراني للمدينة القديمة في حلب، مما يسهل وصول السيّاح والزوار إليه، كما سيسلط الضوء على باقي الأبنية الأثرية الموجودة بكثرة في المدينة القديمة بحلب، مما يساعد على النهوض بالمدينة القديمة وتقديمها بشكل جمالي يعكس روح التراث العربي.

د- حجم الإضافة والتعديل بالجامع:

استخدام المبنى كمتحف إسلامي لا يستدعي القيام بأعمال إضافات أو حذف للعناصر المعمارية والإنشائية.

هـ- التجهيزات المتحفية للجامع:

إن المواد التي سيتم عرضها هي عبارة عن كتب ومخطوطات إسلامية، والتي لها دور كبير في التعريف بالتراث الإسلامي، وهي تعد بمثابة إغناء روحاني للشعائر الإسلامية، كما أن الإنارة التي سيتم اعتمادها هي إنارة خفيفة، مما لا يؤثر على هوية المبنى ولا يحدث ضررًا بالعناصر المعمارية والإنشائية للجامع. ويمكن استخدام المؤثرات الصوتية كتلاوة القرآن مثلًا، مما يشكل بذلك جوًا روحانيًا، يضفي السكينة والراحة النفسية على قلب كل من يدخل هذا المبنى.

و- أهمية الفناء الداخلي للجامع:

الفناء الداخلي الغني بالعناصر النباتية، يسهم في تلطيف الجو، وخلق جو من السكينة والسلام في المبنى، كما سيشكل عنصرًا جماليًا للمبنى.

ويبين الجدول الآتي رقم (١) دراسة لعناصر الإنشاء ومواد البناء للجوامع التاريخية في مدينة حلب خلال العصر العثماني:

العناصر الإنشائية			الجوامع التاريخية خلال العصر العثماني بحلب
الأسقف	الأسقف المستوية		استخدمت الأسقف الخشبية في تغطية الغرف ذات الأبعاد الصغيرة.
			استخدمت الأسقف الحجرية المستوية على نطاق واسع، وذلك في الممرات الضيقة.
	الأسقف المقببة		استخدم القبو المتطاول لتغطية المساحات المستطيلة المستندة على الجدران بشكل واسع.
			شاع استعمال العقود المتقاطعة كثيرًا في التسقيف بدلًا من القبو المهدي (السريري)، وكثر استعمال القباب المدببة، أو العقود الطويلة التي لها مقطع الأقواس المدببة، ونجد في أغلب مساجد حلب أن سقوف الحرم مؤلفة من قبة في الوسط وعقدين طوليين على جانبيها.
		الشكل	شاع استخدام القباب نصف الكروية والمضلعة والبيضوية.
		الرقبة	كانت مضلعة، واسطوانية، ومربعة مستديرة الزوايا، أو دون رقبة. أي نلاحظ استناد القبة إلى الجدران مباشرة.
		طريقة الانتقال من الدائرة إلى المربع	بمثلثين هرميين مقلوبين ومثلثات أفقية مستديرة الحافة، وبمثلثين هرميين مقلوبين يليهما مباشرة أشكال معينية، وبمثلثات كروية، وبثلاثة مثلثات هرمية مقلوبة، وبمثلث أفقي قائم مستدير الوتر في كل ركن من الأركان الاربعة. وبقيت الزوايا تملأ بالمقرنصات والحنايا الركنية.
		تغطية القبة	غطيت بعض القباب بصفائح الرصاص.
الجدران			استخدمت الجدران الضخمة المبنية بالحجارة الكلسية (المشذبة وغير المشذبة) بسماكات كبيرة. لوحظ أيضًا وجود الجدران السميكة عند أماكن استناد الأقواس؛ وذلك لتأمين المقاومة والاستقرار الإنشائي لهذه الجدران نتيجة وجود الدفع الأفقي عند استناد الأقواس على الجدران الحاملة، وهذا يدل على الخبرة والحدس السليم لدى المعمار الذي صمم هذه الجدران.
الدعائم والأعمدة			استعملت الركائز في الأروقة والقبلية، واستخدمت الكمرات الضخمة لحمل القباب المركزية الكبيرة. وأشكال الكمرات مربعة، ومضلعة أو مستطيلة أو صليبية المسقط. ولا تنتهي الكمرات عن ارتكاز العقود عليها، ولكنها تستمر تبرز حول رقبة القبة كالأبراج يعلوها القبيبات المزخرفة. واستخدمت الأعمدة لحمل قناطر الأروقة والقناطر الثانوية في قاعة الصلاة. وصنعت الأعمدة من الرخام أو الحجر.

الأقواس والعقود		كانت العقود الكبرى الرئيسية من النوع المدبب (يرسم من مركزين)، واستخدم العقد الفارسي (يرسم من ٤ مراكز) وقوساه العلويان مقعران نحو الخارج، كما استخدم العقد النصف دائري والعقد (أقل من نصف دائرة) في الأبواب، وفوق النوافذ.
مواد البناء	**الحجارة**	كثر استعمال تشكيلات الحجارة الكلسية البيضاء والسوداء في الواجهات وتنوعت نماذجها في إطارات النوافذ والأبواب وسواكفها من مزررات وصنجات ومداميك متخالفة وتداخلات. كما استعمل الحجر النحيت والغشيم وأيضًا استخدم الكلس في البناء.
	الآجر	استخدم الجر في بناء القباب على نطاق واسع.
	الخشب	استخدم بكثرة في بناء الأسقف المستوية.
	المواد الرابطة بين الحجارة	استخدمت المونة الكلسية، إضافة إلى مادة القصرمل (كلس وغضار ومخلفات رماد الأفران).

الجدول رقم (١) التقنيات الهندسية (مواد البناء وعناصر الإنشاء) المستخدمة في الجوامع التاريخية في مدينة حلب خلال العصر العثماني

٦. نتائج البحث:

- إن جميع المواد المستخدمة في العناصر الإنشائية للجوامع العثمانية هي مواد محلية متوفرة بكثرة في مدينة حلب (الأحجار الكلسية)، واستخدمت الجدران الحمالة في بناء الجوامع العثمانية بحلب.
- استخدمت الأسقف المعقودة والمستوية.
- استخدمت العقود والأقواس المدببة والموتورة بشكل عام.
- تميزت المآذن العثمانية بكونها تتألف من (١٦) ضلع، وشرفة من دون مظلة، ونهايتها مخروطية ومصفحة بالرصاص.
- العناية بالقبلية، وذلك بتزيين المحراب والمنبر.
- استعمال الأقبية المتطاولة المستمرة والمتقاطعة في التسقيف، للتنوع في توزيع الحمولات، وتنوع في أشكال التسقيف، واستخدام الحجر بشكل سقف قبة في القبلية.
- فتح أبواب ونوافذ بسيطة، وذات أشكال هندسية، تطل على الفناء الداخلي لجامع العادلية.
- اعتمدت الواجهات الخارجية بالبساطة، دون وضع زخارف، واقتصرت الواجهات الداخلية على بعض الزخارف في واجهة القبلية التي تميز المبنى.
- استخدمت الزخارف الخشبية في القبلية، وفي المحراب والسدة وباب القبلية والنوافذ.
- أعطت الحديقة والباحة، عنصرًا نباتيًا جماليًا للمبنى بوساعته وجماله.
- يعد مسجد العادلية واحدًا من أهم المساجد في حلب ذات الطراز العثماني.
- أهم ما يميز عمارة مسجد العادلية هو المسقط الأفقي مربع القبلية، وانعدام الأعمدة التي كانت منتشرة في القبلية، والمسقوف بقبة مركزية كبيرة.

٧. التوصيات المقترحة:

- التوصل بالتوثيق والتحليل للمكونات الهندسية، مع التوصيف لما طرأ على الجوامع العثمانية من تغيرات، سواء بسبب العوامل الجوية، أو الإهمال، أو سوء الاستخدام.
- تنظيف الواجهات الخارجية من العناصر المتطفلة عليها، وإظهار الجمال الزخرفي للواجهات، وإزالة الزريقة الإسمنتية التي تؤثر على طبيعة الحجارة، واستبدالها بالزريقة الكلسية.
- المحافظة على الجمل الإنشائية في الجوامع التراثية وإظهار أصالتها، وكذلك المحافظة على نوعية مواد البناء، وعدم السماح باستبدالها بالبيتون المسلح، واستخدام الطرائق الحديثة في صيانتها وترميمها، لكن باستعمال مواد بناء شبيهة بالمواد المستعملة القديمة، وبخاصة في العناصر الإنشائية الظاهرة للعيان.

٨. الأشكال والصور:

الشكل(١) مخطط مدينة حلب في بداية القرن السادس عشر الميلادي (سوفاجيه)[١٧]

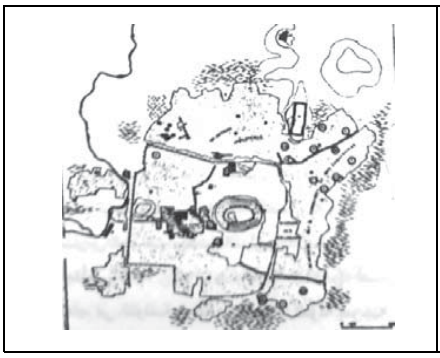

الشكل(٢) مخطط مدينة حلب في منصف القرن التاسع عشر الميلادي (سوفاجيه)[١٧]

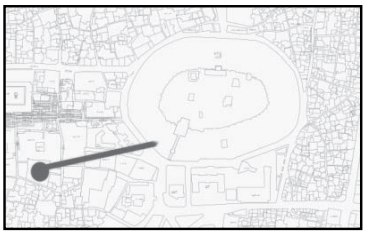

الشكل (٣)
موقع جامع العادلية بالنسبة لمركز المدينة

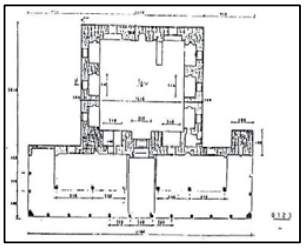

الشكل (٤)
المسقط الأفقي لجامع العادلية[١٨]

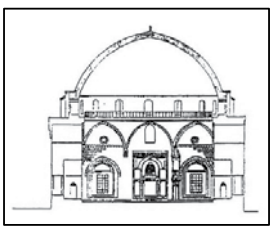

الشكل (٥) مقطع في قبلية جامع العادلية [١٨]

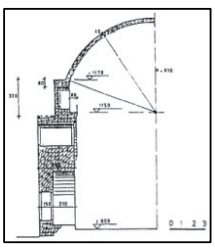

الشكل(٦) المقطع العرضي(أ - أ) في جامع العادلية بحلب [١٨]

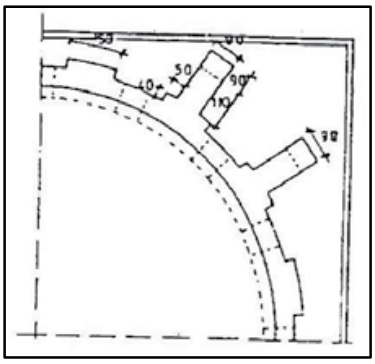

الشكل(٧)
المسقط الأفقي للدعامات الحجرية [١٨]

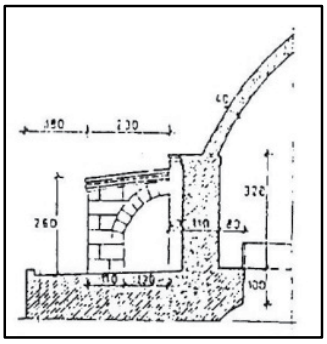

الشكل(٨)
مقطع تفصيلي لإحدى دعامات القبة [١٨]

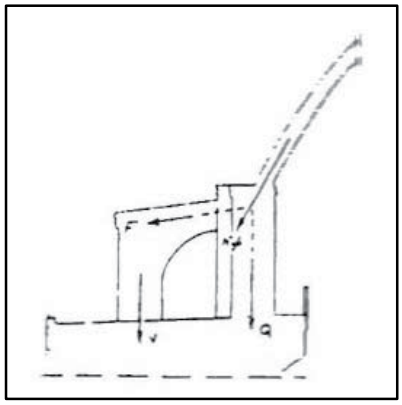

الشكل(٩)
القوى المؤثرة على إحدى دعامات القبة

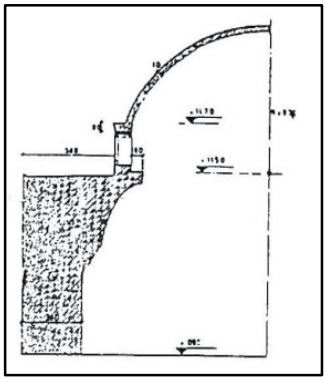

الشكل(١٠)
المقطع القطري (٢-٢)
في جامع العادلية بحلب [١٨]

الصورة (١)
صورة جوية لموقع جامع العدلية[١٩]

الصورة (٢)
المدخل الشرقي للجامع (من عمل الباحثة)

الصورة(٣)
المدخل الغربي لجامع العادلية
(من عمل الباحثة)

الصورة (٤)
صحن جامع العادلية يتوسطه
حوض وضوء تعلوه قبة خشبية (من عمل الباحثة)

الصورة (٥)
قبة جامع العادلية وتبدو المئذنة بجانبها
(من عمل الباحثة)

الصورة (٦)
قبة جامع العادلية تغطي قبلية الصلاة يحيطها
ستة عشر بروزًا، وتبدو العناصر الداعمة
لمقاومة الدفع الأفقي (من عمل الباحثة)

الصورة (٧) الحنية الركنية والمقرنصات تحت
قبة جامع العادلية (من عمل الباحثة)

الصورة (٨) التسقيف بالقباب نصف الكروية
في المجاز الأول من رواق قبلية جامع العادلية
(من عمل الباحثة)

الصورة (٩)
الأقواس المدببة تسند القباب في المجاز الأول من رواق جامع العادلية (من عمل الباحثة)

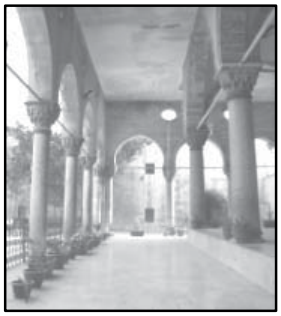

الصورة (١٠)
التسقيف بالبيتون المسلح في المجاز الثاني من رواق قبلية جامع العادلية (من عمل الباحثة)

الصورة (١١)
مدخل قبلية جامع العادلية. (من عمل الباحثة)

الصورة(١٢)
محراب ومنبر جامع العادلية (من عمل الباحثة)

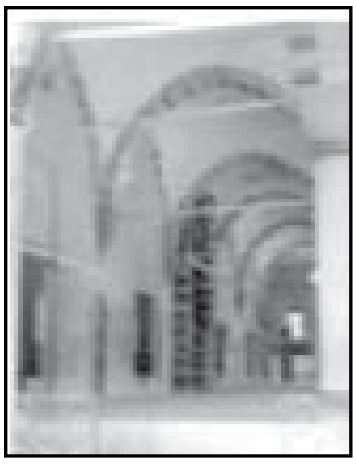

الصورة (١٣) تبين الرواقين الملتحمين الشماليين (من عمل الباحثة)

الصورة (١٤)
مئذنة جامع العادلية (من عمل الباحثة)

الصورة (١٥) أقواس حذوة الفرس المدببة تعلو واجهة رواق قبلية جامع العادلية (من عمل الباحثة)

الصورة (١٦) أقواس حدوة الفرس المدببة تعلوها نوافذ دائرية، تتوضع بين كل قوسين في رواق قبلية جامع العادلية (من عمل الباحثة)

الصورة (١٧) مدخل قبلية الصلاة في الجامع (من عمل الباحثة)

الصورة (١٨) المزررات والمقرنصات تعلو مدخل قبلية الصلاة (من عمل الباحثة)

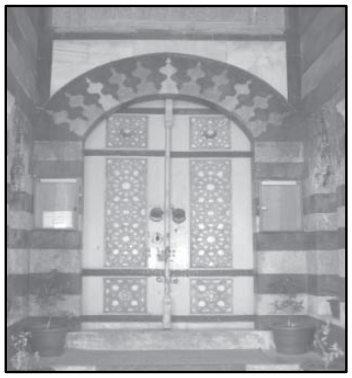

الصورة (١٩)
القوس الموتورة تعلو مدخل قبلية الصلاة
(من عمل الباحثة)

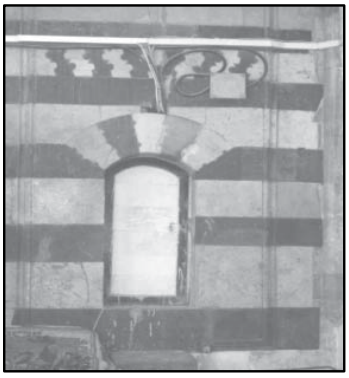

الصورة (٢٠)
القوس الموتورة تعلو إحدى فتحات قبلية الصلاة
(من عمل الباحثة)

الصورة (٢١) مقارنة بين القبة الرئيسية لجامع العادلية قبل وبعد الحرب (من عمل الباحثة)

الصورة (٢٢) مقارنة بين الرواقين الملتحمين لجامع العادلية قبل وبعد الحرب (من عمل الباحثة)

الصورة (٢٣) مقارنة بين المئذنة لجامع العادلية قبل وبعد الحرب (من عمل الباحثة)

الصورة (٢٤) مقارنة بين الأقواس المدببة للرواق الغربي قبل وبعد الحرب (من عمل الباحثة)

الصورة (٢٥)
مقارنة بين حوض الماء المسقوف في جامع العادلية قبل وبعد الحرب(من عمل الباحثة)

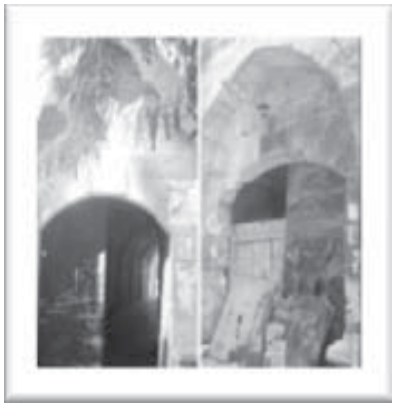

الصورة (٢٦)
مقارنة المدخل الشرقي لجامع العادلية قبل وبعد الحرب (من عمل الباحثة)

الحواشي

١. إلدم أدهم، غوفمان دانيا، ماسترز بروس، ٢٠٠٤م _ المدينة العثمانية بين الشرق والغرب. حلب، أزمير، إستانبول، مكتب العكبيان، الرياض، السعودية، ص٧٤-٧٦.

٢. حريتاني، محمود، ٢٠١١م_ حلب مدينة التاريخ. دار الشعاع بحلب، ص٥-٧.

٣. عثمان، نجوى، ١٩٩٢م_ الهندسة الإنشائية في مساجد حلب. مطبوعات جامعة حلب، معهد التراث، ص٢٧٣.

٤. الرفاعي، محمود فيصل، ١٩٩٦ _ حلب بين التاريخ والهندسة. جامعة حلب، معهد التراث، ص٢٩٧.

5. https://www.s-ajfan.com/ottoman.mosques

٦. عثمان، نجوى، ١٩٩٢م_ الهندسة الإنشائية في مساجد حلب. مطبوعات جامعة حلب، معهد التراث، ص٣٣٣.

٧. طلس، محمد أسعد، ١٩٥٦م_ الآثار الإسلاميَّة والتاريخيَّة في حلب. مديريَّة الآثار العامة في سورية، مطبعة الترقي، ص١٢٧

٨. شعث، شوقي، ١٩٨١م_ حلب تاريخها ومعالمها التاريخية. مطبوعات جامعة حلب، ص٤١.

٩. الغزي، كامل_ نهر الذهب في تاريخ حلب. المطبعة المارونية بحلب، ج٢، ص ١١١.

١٠. الغزي، كامل_ نهر الذهب في تاريخ حلب. المطبعة المارونية بحلب، ج٢، ص ١١٢.

١١. الطباخ، محمد راغب_ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. دار القلم العربي بحلب، ج٣، ص٢٠٢.

١٢. عثمان، نجوى، ١٩٩٢ _ الهندسة الإنشائية في مساجد حلب. منشورات جامعة حلب. ص ٢٦٧.

١٣. عثمان، نجوى، ٢٠٠٩م_ الآثار والأوابد التاريخية في حلب وكلس وغازي عنتاب. برنامج التعاون الإقليمي السوري-التركي، جامعة حلب، ص ١٠١.

١٤. الفن القاشاني أو الزخرفة القاشانية هو من الفنون الزخرفية الفارسية، شاع استخدامه في إيران في القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر ميلادي، وحل محل الفسيفساء، ثم ما لبث أن انتقل إلى تركيا في زمن العثمانيين مع انتقال العديد من الفنانين الفرس إلى تركيا، ليصبح الأساس في تزيين جدران المساجد، والتكايا والقصور والمقابر والأضرحة.

١٥. درويش، محمد_ جامع العادلية بحلب. مقالة على موقع حلب, ١٣ أيار ٢٠٠٨م.

١٦. الكفافي، عبد الحميد، ٢٠٠٣م_ حماية وصيانة التراث الأثري. دار الفجر، القاهرة، ط١، ص٦٣.

17- SUVAGET j, 1941- Alep essai sure le dévelopements d'une Grande Ville syrienne des origines au milieu XIXe siècle, Paris.

١٨. مديرية الأوقاف بحلب.

19- Google earth.

المراجع

١. إلدم أدهم، غوفمان دانيا، ماسترز بروس، ٢٠٠٤م _ المدينة العثمانية بين الشرق والغرب. حلب، أزمير، إستانبول، مكتب العكبيان، الرياض، السعودية، ٦٧٤صفحة.

٢. حريتاني، محمود، ٢٠١١م_ حلب مدينة التاريخ. دار الشعاع للنشر بحلب، ٢٠٧ صفحة.

٣. الرفاعي، محمود فيصل، ١٩٩٦ م_ حلب بين التاريخ والهندسة، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ٣٩٨ صفحة.

٤. شعث شوقي، ١٩٩١ ـ حلب تاريخها ومعالمها التاريخية. منشورات جامعة حلب، ط٢، ٣٣٦ صفحة.

٥. الطباخ محمد راغب، ١٩٨٨ـ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. دار القلم العربي بحلب، ٧ أجزاء، ٣٦٧٨ صفحة.

٦. طلس، محمد أسعد، ١٩٥٦م_ الآثار الإسلاميَّة والتاريخيَّة في حلب. مديريَّة الآثار العامة في سورية، مطبعة الترقي، ٣٩٠ صفحة.

٧. عثمان، نجوى، ١٩٩٢م_ الهندسة الإنشائية في مساجد حلب. مطبوعات جامعة حلب، معهد التراث، ٦٨٠ صفحة.

٨. عثمان، نجوى، ٢٠٠٩م_ الآثار والأوابد التاريخية في حلب وكلس وغازي عنتاب. برنامج التعاون الإقليمي السوري-التركي، جامعة حلب، ٥٥٨ صفحة.

٩. الغزي كامل، ١٣٤٢هـ ـ نهر الذهب في تاريخ حلب. المطبعة المارونية بحلب، سورية، ٣ أجزاء، ٢٠١٧ صفحة.

١٠. الفن القاشاني أو الزخرفة القاشانية هو من الفنون الزخرفية الفارسية، شاع استخدامه في إيران في القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر ميلادي، وحل محل الفسيفساء، ثم ما لبث أن انتقل إلى تركيا في زمن العثمانيين مع انتقال العديد من الفنانين الفرس إلى تركيا، ليصبح الأساس في تزيين جدران المساجد، والتكايا والقصور والمقابر والأضرحة.

١١. درويش، محمد_ جامع العادلية بحلب. مقالة على موقع حلب, ١٣ أيار ٢٠٠٨م.

١٢. الكفافي، عبد الحميد، ٢٠٠٣م_ حماية وصيانة التراث الأثري. دار الفجر، القاهرة، ط١، ص٦٣.

13. SUVAGET j, 1941- Alep essai sure le development dune Grande Ville syrienne des origins au milieu XIXe siècle, Paris.

١٤. مديرية الأوقاف بحلب .

15. Google earth. Com.

16. https://www.s-ajfan.com/ottoman.mosques

كتاب الكَسْب
على مذْهَب الإمَام الأعْظَم أبِي حنيفَة رحمَه اللّٰه

للقَاضِي محَمَّد بن سَمَاعَة عن الإمَام محمَّدٍ بن الحسن رحِمَهم اللّٰه تعالى

تحقيق

د. تيسير عبد اللّٰه النَّاعِس

سوريا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّدٍ سيِّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

١/ مشكلة البحث

تبدو مشكلة البحث في تقديم نصِّ كتاب الكَسْب للإمام محمَّدٍ بن الحسن كما رواه محمَّد بن سَمَاعَة عنه؛ للتَّمييز بين كلام الإمام محمَّدٍ وكلام الفقهاء الَّذين جاؤوا بعده وشرحوا كتبه، مثل شرح السَّرخسيِّ له.

٢/ هدف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق أقْدَم مخطوطٍ في موضوع النَّظريَّة الاقتصاديَّة الإسلاميَّة، وهو كتاب الكَسْب للإمام محمَّدٍ بن الحسن.

٣/ أهمّيَّة البحث

تظهر أهمِّيَّة البحث على مستويين:

الأوَّل: الفكر الاقتصاديُّ الإسلاميُّ، إذ يُعدُّ البحث من الدِّراسات التَّاريخيَّة الاقتصاديَّة الإسلاميَّة، والأهمِّيَّة العلميَّة والعمليَّة لهذه الدِّراسات تأتي في مقدِّمة أهمِّيَّة بحثنا.

الثَّاني: منهجيَّة البحث في علم الاقتصاد الإسلاميِّ، إذ لا تزال الأفكار المقدَّمة بهذا الخصوص أفكارٌ غضَّةٌ؛ نظرًا لحداثة الاهتمام بهذا العلم بين العلوم الإسلاميَّة المعاصرة، فيؤسِّس هذا المخطوط لمنهجيَّةٍ تقوم أساسًا على ارتباط علم الاقتصاد بالقيم، ويقدِّم نموذجًا لهذه المنهجيَّة عبر إدخال فكرة الحلال والحرام في الكتابة الاقتصاديَّة البحتة.

٤/ خِطَّة البحث

يتألَّف البحث من مقدِّمةٍ، ومبحثين، وخاتمةٍ.

تضمَّنت المقدِّمة بيان مشكلة البحث وهدف البحث وأهمِّيَّته، وتناول المبحث الأوَّل مقدِّمة التَّحقيق، والثَّاني نصَّ المخطوط محقَّقًا، وختم البحث بالنَّتائج الَّتي توصَّل إليها.

المطلب الأوَّل

مقدِّمة التَّحقيق

تتناول مقدِّمة التَّحقيق ما يأتي:

١/ ترجمة المؤلِّف (الإمام محمَّد بن الحسن).

٢/ دراسةٌ تحليليَّةٌ لمخطوط الكَسْب.

٣/ دراسةٌ اقتصاديَّةٌ لمحتوى الكتاب.

٤/ منهج التَّحقيق.

٥/ وصف نسخة المخطوط.

٦/ صورٌ لأوَّل المخطوط وآخره.

١/ تعريفٌ موجزٌ بالإمام محمَّدٍ بن الحسن

محمَّد بن الحسن بن فَرْقدٍ، أبو عبد الله، الشَّيبانيُّ بالولاء، صاحب الإمام أبي حنيفة، وشيخ المجتهدين في عصره وإمام أهل الرَّأي(١).

أصله من غوطة دمشق من حَرَسْتا، قَدِم أبوه العراق، فوُلِد محمَّدٌ بواسِط، ونشأ بالكُوفة(٢).

سمع الإمام أبا حنيفة، وحضر مجلسه، وأخذ عنه بعض كتب الفِقه، ولزم القاضي أبا يوسف، وتفقَّه به(٣).

وأخذ عنه: محمَّد بن سَمَاعَة، ومحمَّد بن مُقاتلٍ، وأحمد بن حَفْصٍ (أبو حَفْصٍ الكبير البخاريُّ)، وموسى ابن سليمان (أبو سليمان الجُوزْجانيُّ)، وأبو عُبيدٍ القاسم بن سلَّامٍ وآخرون(٤).

وُلِّي قضاء الرَّقَّة للرَّشيد بعد أبي يوسف، وكان مع تبحُّره بالفِقه يُضرب بذكائه المثل(٥).

والإمام محمَّدٌ من الأسماء التي اختلف حولها المؤرِّخون فيمَن كان أوَّل مَن دوَّن من الفقهاء، مع اتِّفاقهم أنَّه أوَّل مَن دوَّن الفِقه تدوينًا جامعًا، وأنَّه أوَّل مَن دوَّن الفِقه الحنفيَّ(٦). فيعود الفضل له في حفظ

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٢/ ٥٦١؛ بلوغ الأماني، الكوثري، ص٢، ٨.

(٢) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٤/ ١٨٤.

(٣) تاريخ الإسلام، الذهبي، ٤/ ٩٥٤.

(٤) بلوغ الأماني، الكوثري، ص٨.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٩/ ١٣٥.

(٦) تدوين الفقه الحنفي، الدسوقي، ص ص٢٨١-٣١٣.

ونشر الفِقه الحنفي؛ وذلك فيما دوَّن من الكتب الكثيرة النَّادرة[١].

وصُنِّفت كتب الإمام محمَّدٍ بحسب عدد رُواتها إلى كتب ظاهر الرِّواية، وهي الكتب المرويَّة بطريق الشُّهرة أو التَّواتر، وهي ستَّةٌ: المبسوط والجامع الصَّغير والجامع الكبير، والسِّير الصَّغير والسِّير الكبير والزِّيادات. وكتب غير ظاهر الرِّواية، وهي الكتب المرويَّة بطريق الآحاد دون الشُّهرة أو التَّواتر، وهي: الرَّقِّيَّات والجُرجَانيَّات والكَيسَانِيَّات والهارونيَّات والنَّوادر[٢].

ويصنَّف كتاب الكَسْب من كتب غير ظاهر الرِّواية لانفراد محمَّدٍ بن سَمَاعَة بروايته عن الإمام محمَّدٍ بن الحسن، فهو يشبه في هذا المعنى كتاب الرَّقِّيَّات، بجامع انفراد محمَّدٍ بن سَمَاعَة بروايتهما عن الإمام محمَّدٍ بن الحسن. قال السَّرخسيُّ[٣]: "وهو من جُملَة تصنيفاته إلَّا أنَّه لم يشتهر؛ لأنَّه لم يسمعْ منه ذلك أبو حَفْصٍ، ولا أبو سليمان رحمهما الله".

مات بالرِّيِّ، ودُفن بها، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنةً[٤].

٢/ دراسةٌ تحليليَّةٌ لمخطوط الكَسْب

يتفرَّد مخطوط الكَسْب للإمام محمَّدٍ بن الحسن بأهمِّيَّةٍ تاريخيَّةٍ وعلميَّةٍ خاصَّةٍ، فهو من الكتب التي تزامنت مع بَدْء ظهور حركة تدوين الفِقه في القرن الثَّاني الهجريِّ، وبالتَّالي كان أوَّل كتابٍ يُدوَّن في موضوع الكَسْب.

وتتعدَّد جوانب أهمِّيَّة المخطوط العلميَّة إلى ما يأتي:

أ/ ورد في سبب تأليف الكتاب أنَّه "قيل للإمام محمَّدٍ رحمه الله تعالى ألَا تصنِّف في الزُّهد؟ قال: حسبكم بكتاب البيوع"[٥]، وعَنَى بهذا الجواب تصحيح معنى الزُّهد، وهو ممارسة وجوه المكاسب المباحة بعد حفظ أحكامها الشَّرعيَّة؛ ليحذر من الوقوع في الحرام.

فالغرض من تأليف الكتاب بيان أنَّ الزُّهد الحقَّ لا يعني التعطُّل عن المكاسب، وإنَّما يعني تجنُّب الخبيث من المكاسب.

فقصد الإمام محمَّدٌ من تأليف الكتاب الوقوف بوجه حركة الزُّهد الأعجميِّ الَّتي نشطت في زمانه، والَّتي كانت ترمي إلى تشويه صورة الإسلام في القلوب، وإضعاف شوكة المسلمين اقتصاديًّا بذهابها

(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٤/ ١٨٤.

(٢) المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية، عبد الوهاب، ص٨٥.

(٣) المبسوط، ٣٠/ ٢٤٤.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٧/ ٣٣٧.

(٥) الجامع الوجيز (الفتاوى البزازية)، البزاز، ٢/ ١٠.

لتحريم المكاسب كمفهومٍ للزُّهد[1]. قال الحارث المحاسِبي[2]: "زعم قومٌ أنَّ التَّوكُّل لا يثبت لأهله إلَّا بترك الحركة في طلب الرِّزق والقعود عن الاضطراب، فمنعوا أنْ يكون في ذلك إباحةٌ من كتاب الله وسنَّة رسول الله عليه السَّلام". وقد سمَّاهم السَّرخسيُّ في شرحه لكتاب الكَسْب "جُهَّال أهل التَّقشُّف، وحَمْقَى أهل التَّصوُّف"[3]، وهو يعكس بهذه التَّسمية مدى فهمهم لتعاليم الإسلام.

فتأتي أهمِّيَّة المخطوط من تصدُّره طليعة الكتب الَّتي ظهرت للرَّدِّ على التَّيَّارات الفكرية (حركة الزَّندقة) الَّتي كانت تحاول عودة الدِّيانات الَّتي كانت موجودةً قبل الإسلام بطريقٍ غير مباشرٍ، وذلك عبر حركة زهدٍ إسلاميَّة المظهر، سلبيَّة المضمون، تريد إنهاء الحياة بإلغاء العمل وتحريم الكَسْب[4].

ب/ ظهرت مؤلَّفاتٌ عديدةٌ في موضوع الكَسْب بعده، مثل كتاب "المكاسب والورع والشُّبهة وبيان مباحها ومحظورها واختلاف النَّاس في طلبها والرَّدِّ على الغالطين فيه" للحارث المحاسِبي (ت٢٤٣هـ)، وكتاب "بيان الكَسْب" للحكيم التِّرمذيِّ (٣١١هـ)، وكتاب "الحثِّ على التِّجارة والصِّناعة والعمل، والإنكار على مَن يدَّعي التَّوكُّل في ترك العمل" لأبي بكرٍ الخلَّال (٣١١هـ)، وكتاب "الكَسْب" لشمس الأئمة الحَلواني (٤٤٩هـ)، وكتاب "البركة في فضل السَّعي والحركة" لمحمَّدٍ بن عبد الرَّحمن الوُصَابيِّ (٧٨٦هـ)، وكتاب "فضل الاكتساب وأحكام الكَسْب وآداب المعيشة" لعليِّ ابن اللُّبوديِّ (من رجال القرن التَّاسع الهجريِّ).

فتأتي أهمِّيَّة المخطوط من أنَّ مؤلِّفه أوَّل مَن فطِن إلى هذا الموضوع، وفتح الباب ومهَّد الطريق للمؤلَّفات التي جاءت من بعده.

ج/ تعدُّ الكتب التي ألَّفها الإمام محمَّدٌ العمدة بالنسبة لمَن جاء بعده من فقهاء المذهب؛ باعتباره أوَّل مَن دوَّن فِقههم، فكانت كتب الإمام محمَّدٍ الأصل لمؤلَّفات فقهاء وشُرَّاح المذهب اللَّاحقين، فليس لهم سوى التَّلخيص أو التَّفسير أو التَّرجيح، أو الاجتهاد في المسائل الَّتي طرأت بعده.

وتجاوزت أهمِّيَّة كتب الإمام محمَّدٍ المعنى السابق إلى أنَّ كتبه كانت عمدة الجميع في التَّبويب والترتيب للمسائل والموضوعات.

فتأتي أهمِّيَّة المخطوط من أنَّه أثَّر في منهج الحنفيَّة في التأليف، فحوت أكثر مؤلَّفات الفِقه الحنفيِّ على "كتاب الكَسْب"، اقتداءً بمنهج الإمام محمَّدٍ في المخطوط الَّذي بين أيدينا، بالإضافة إلى أنَّه قد تردَّد غالب كلامه الَّذي حواه المخطوط في تلك المؤلَّفات؛ لأنَّها كانت تجعل مخطوطنا الأصل، وكتاباتهم لا تعدو كونها شرحًا أو تلخيصًا له.

---

(١) الكسب، زكار "تحقيق وتقديم"، ص١٦، ١٨-١٩.

(٢) المكاسب، ص٢٤.

(٣) كتاب الكسب، أبو غدة "اعتنى به"، ص٨١.

(٤) الكسب، زكار، ص١٨-١٩.

د/ وبناءً على ما سبق، ظهرت ثلاثة تحقيقاتٍ سابقةٍ تحمل عنوان مخطوطنا هذا، لكن عند المراجعة والفحص يظهر أنَّها كانت تحقيقاتٍ لشرح الإمام السَّرخسيِّ له، قال الشَّيخ أبو غُدَّة -وهو آخر مَن اعتنى بالكتاب[1]-: "ومن الأسف أنَّه لم يصل إلينا أصلُ كتاب "الكَسْب" للإمام محمَّدٍ على صورته الَّتي ألَّفه عليها الإمام، وإنَّما الموجود أمامَنا هو الممزوج بشرح السَّرخسيِّ له، والسَّرخسيُّ رحمه الله تعالى -كعادته- لم يميِّز شرحه من كلام الإمام محمَّدٍ، فصار من المتعذِّر إفرادُ المتن من الشَّرح إلَّا في مواضع عديدةٍ لا تخفى على القارئ حين يمرُّ عليها".

وقال النَّدْويُّ[2]: "والكتاب المطبوع المتداول الَّذي يحمل عنوان "الكَسْب" هو ممزوجٌ بشرح الإمام السَّرخسيِّ، وإنَّه لمن الصعوبة بمكانٍ الفصل بينهما".

فتأتي أهمِّيَّة المخطوط من كونه يُحقِّق لأوَّل مرَّةٍ، في حين حُقِّق شرح السَّرخسيِّ له ثلاث مرَّاتٍ. وهذا بدوره يساعد على التَّمييز بين شروح الفقهاء له وبين كلام الإمام محمَّدٍ بن الحسن.

هـ/ قدَّم ظهور النَّصِّ الأصل لكتاب الكَسْب دليلًا جديدًا على أنَّ محمَّدً بن سَمَاعَة روى الكتاب كما سمعه عن الإمام محمَّدٍ بن الحسن، ولم يختصره.

فذهب محمود عرنوس -أوَّل محقِّقٍ للكتاب- إلى أنَّ الكتاب اختصره محمَّد بن سَمَاعَة باسم "الاكتساب في الرِّزق المستطاب"[3]، ونسخة المخطوط الَّتي بين أيدينا من أقوى الأدلَّة في ردِّ هذا القول.

٢/ دراسةٌ اقتصاديَّةٌ لمحتوى الكتاب

تبيَّن أنَّ شرح كتاب الكَسْب للإمام السَّرخسيِّ نال عناية ثلاثة محقِّقين، وهم:

- محمود عرنوس، وطبع الكتاب باسم "الاكتساب في الرِّزق المستطاب"، طبعه الأستاذ عزَّت العطَّار الدِّمشقيِّ بمطبعة الأنوار بمصر، سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
- سهيل زكَّار، وطبع الكتاب باسم "الكَسْب"، نشر وتوزيع عبد الهادي حرصوني بدمشق، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- عبد الفتَّاح أبو غُدَّة، وطبع الكتاب باسم "كتاب الكَسْب"، طبعته وأخرجته دار البشائر الإسلاميَّة ببيروت، ونشره مكتب المطبوعات الإسلاميَّة بحلب، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

وقد انتبه الباحثون في الاقتصاد الإسلامي لهذا الكتاب، وقدَّموا له بدراساتٍ اقتصاديَّةٍ أكاديميَّةٍ

(١) كتاب الكسب، ص٢١.

(٢) الإمام محمد بن الحسن الشيباني، ص١٤٧.

(٣) الاكتساب في الرزق المستطاب، عرنوس "تحقيق"، ص٤-٥.

- وقد وجد الباحث أنَّ ما ذهب إليه عرنوس قد أشار له الكوثري قبله، فقال: "يُقال إنَّه تلخيص ابن سَمَاعَة لكتاب الكَسْب لمحمَّدٍ". بلوغ الأماني، ص٦٥.

متخصِّصةٍ، وهي:

- "الفكر الاقتصاديُّ عند الإمام محمَّدٍ بن الحسن الشيبانيِّ" للباحث: أحمد سليمان الخصاونة، وهي رسالة ماجستيرٍ مقدَّمةٌ لقسم الفِقه والدِّراسات الإسلاميَّة في كلِّيَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة بجامعة اليرموك/ الأردن، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- "الأفكار الاقتصاديَّة عند محمَّدٍ بن الحسن الشيبانيِّ في كتابه الكَسْب" للباحث صالح حميد العلي، وهو بحثٌ علميٌّ محكَّمٌ نشرته مجلَّة الشريعة والدِّراسات الإسلاميَّة- جامعة الكويت، العدد (٧٤)- السَّنة (٢٣)، رمضان: ١٤٢٩هـ/ سبتمبر: ٢٠٠٨م. ص ص٩٧-١٣٧.
- بالإضافة إلى الدِّراسات العلميَّة الأكاديميَّة المتخصِّصة بتاريخ الفكر الاقتصاديِّ الإسلاميِّ، مثل: "معالم الفكر الاقتصاديِّ في القرن الخامس الهجريِّ دراسةٌ مقارنةٌ" للباحث: عصام بن عبَّاس بن محمَّدٍ نقلي. أطروحة دكتوراه مقدَّمةٌ لقسم الدِّراسات العليا الشرعيَّة بكلِّيَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة في جامعة أمِّ القرى/ مكَّة المكرَّمة، سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

ولم يخلُ كتابٌ معاصرٌ متخصِّصٌ في الفكر الاقتصاديِّ الإسلاميِّ من الإشارة إلى بعض الأفكار الاقتصاديَّة الواردة في كتاب الكَسْب، ومنها:

- سِلسِلة أَعْلام الاقتصاد الإسلاميِّ، الكتاب الأوَّل: شوقي دنيا، الرِّياض: مكتبة الخريجي، ط١، ١٩٨٤م.
- من التُّراث الاقتصاديِّ للمسلمين: رفعت العوضي، دار الطِّباعة والنَّشر الإسلاميَّة، ط٢، ١٩٨٨م.
- دراساتٌ في الفكر الاقتصاديِّ العربيِّ الإسلاميِّ: جاسم محمَّد شهاب البجَّاري، الموصل: مطبعة الجمهوريَّة، ١٩٨٩م.
- روَّاد الاقتصاد العرب: السَّيد محمَّد عاشور، القاهرة: دار الأمل، ١٩٩٨م.
- في الفكر الاقتصاديِّ الإسلاميِّ قراءاتٌ في التُّراث: رفيق يونس المصري، جدَّة: جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٩٩م.

قال النَّدْويُّ[1]: "ولَمَّا استجدَّ الكلام وكثر النِّقاش حول موضوع الاقتصاد الإسلاميِّ في الظُّروف الرَّاهنة، نال كتاب الإمام محمَّدٍ الاحتفاء والإشادة في أنظار الاقتصاديِّين المسلمين، وتبوأ مركز الرِّيادة في هذا الموضوع مع صِغَر حجْمِه. ولذلك انصبَّ جهد بعض المفكِّرين الاقتصاديِّين على دراسة الاقتصاد الإسلاميِّ في ضوء كتاب "الكَسْب"".

وخلصت تلك الدِّراسات إلى تصنيف الكتاب بحسَب الموضوعات الاقتصاديَّة الَّتي عرضها إلى قسم التَّحليل الاقتصاديِّ الجزئيِّ (النَّظريَّة الاقتصاديَّة الإسلاميَّة)، فغالب الأفكار والآراء الاقتصاديَّة الَّتي

(١) الإمام محمد بن الحسن، ص١٧٠.

عرض لها تدخل في نظريَّة الإنتاج، ونظريَّة التَّوزيع، ونظريَّة الاستهلاك.

وعلى الرَّغم من أهمِّيَّة هذه النَّتيجة، إلَّا أنَّ الكثير من الباحثين الاقتصاديِّين الإسلاميِّين لا يزالون مُصرِّين على مقولة حياديَّة علم الاقتصاد، وهذا يعني أنَّهم لم يطَّلعوا على نتاج الفكر الاقتصاديِّ الإسلاميِّ، أو أنَّهم لم يعرفوا أنَّ الفكر الاقتصاديَّ الغربيَّ مُنقسمٌ إلى رأيين حول هذه المسألة. وهذا يكشف عن قصورٍ في جانبين معًا:

الأوَّل: تجاهُل أو نِسيان توظيف الأفكار الاقتصاديَّة الإسلاميَّة الَّتي توصَّلت لها الدِّراسات التَّاريخيَّة الاقتصاديَّة المعاصرة في بناء علم الاقتصاد الإسلاميِّ.

والثَّاني: الجهود المبذولة في إحياء الفكر الاقتصاديِّ الإسلاميِّ لا تزال في مرحلة النُّشوء.

قدَّم الإمام محمَّدٌ بن الحسن في كتاب الكَسْب نموذجًا متقدِّمًا للكتابة الاقتصاديَّة الأخلاقيَّة، في حين لا يزال بعض الاقتصاديِّين الإسلاميِّين ينظروا لمسائل الحلال والحرام على أنَّها موضوعاتٌ لا صِلة لها بعلم الاقتصاد.

بقي التَّأكيد على ضرورة السَّعي لإحياء المصطلحات الاقتصاديَّة الإسلاميَّة وبعثها من جديدٍ؛ لأنَّها تحتوي على خصائص الاقتصاد الإسلاميِّ وركائزه الأساسيَّة، وتحمل دلالاتٍ للكثير من المبادئ الاقتصاديَّة الإسلاميَّة.

وقد أشرت للأفكار الاقتصاديَّة الَّتي لم تتعرَّض لها الدِّراسات السَّابقة في هامش نصِّ المخطوط، وحاولت اللُّجوء للاقتباس ما أمكن؛ ابتغاء تعظيم النَّفع من تلك الدِّراسة ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

٤/ منهج التَّحقيق

اتَّبع الباحث في تحقيق المخطوط المنهج الآتي:

- عزو الآيات إلى سورها، والأحاديث والآثار إلى مظانِّها.
- ترجمة الأَعْلام الَّذين ورد ذكرهم في الكتاب دون إسهابٍ، باستثناء الأَعْلام المعروفين كالإمام أبي حنيفة وأبي يوسف.
- توضيح المفردات اللُّغويَّة الغامضة، وضبط الكلمات المشكِلة.
- شرح المصطلحات الاقتصاديَّة الواردة في الكتاب.
- تصحيح الأخطاء الواردة في المتن، مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية.
- إضافة ما يلزم من الحروف أو الكلمات أو الأرقام في المتن، ووضعها بين قوسين، هكذا [ ].
- التَّعليق بما يخدم موضوع الكتاب في المواطن الَّتي تبدو أنَّها بعيدةٌ عن الكَسْب، أو للتَّنبيه إلى أفكارٍ اقتصاديَّةٍ لم تعرض لها الدِّراسات الاقتصاديَّة السَّابقة.

٥/ وصف نسخة المخطوط

- اسم المخطوط: كتاب الكَسْب على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله.
- اسم المؤلِّف: القاضي ابن سَمَاعَة عن الإمام محمَّدٍ بن الحسن رحمهم الله تعالى.
- تاريخ تأليف الكتاب: صنَّف الإمام محمَّدٍ كتاب الكَسْب قُبيل وفاته، فكان آخر ما كتبه قبل وفاته(١).
- مناسبة التَّأليف: بيان معنى الزُّهد، والرَّدُّ على التَّيَّارات الفكرية الَّتي ذهبت إلى تحريم المكاسب.
- مصدر المخطوط: مكتبة الأسد بدمشق (المكتبة الظَّاهريَّة سابقًا).
- اسم النَّاسخ: لا يوجد ذكرٌ لاسم النَّاسخ في المخطوط.
- نوع الورق الَّذي كُتب به المخطوط: ورقٌ عاديٌّ.
- عدد أوراق المخطوط: تسع ورقاتٍ.
- قياس الورقة: ١٣,٥× ١٩,٥ سم.
- عدد الأسطر في كلِّ ورقةٍ: تسعة عشر سطرًا.
- عدد الكلمات في كلِّ سطرٍ: ثماني كلماتٍ في كل سطرٍ تقريبًا.
- حالة المخطوط: جيِّدةٌ، والنَّصُّ واضحٌ.
- نوع الخطِّ الَّذي كُتب به المخطوط: كُتب بخطِّ النَّسخ، والخطُّ جيِّدٌ واضحٌ مقروءٌ، وحروفه صغيرةٌ.
- نوع المداد الَّذي كُتب به المخطوط: كُتبت عناوين الأبواب بخطٍّ أسودٍ عريضٍ، وكُتب المتن بالخطِّ الأسود العاديِّ.
- المصادر والمراجع التي اعتمد عليها: ذكر محمَّد بن الحسن اسم مصدرين بين ثنايا المخطوط، الأوَّل كِتَابَه "السِّير الكبير". والثَّاني كتاب "النَّوادر" لمحمَّدٍ بن مُقاتِلٍ، ولا ذكر لهذا الكتاب في غير مخطوطنا من الكتب المطبوعة أو العناوين المخطوطة.
- وقد ضُبطت بعض كلمات المخطوط، مثل: أَهْلٌ، سَرَفٌ، رُزِقَ.
- يبدأ المخطوط بالقول: "باب معرفة الكَسْب ..."، وينتهي بالقول: "وإنْ قنِع بأدنى الكَفَاف، وصرف الفضُول إلى ما ينفعها في الآخرة كان أفضل وأحْرى؛ لأنَّ ما عند الله خيرٌ وأبْقى".

---

(١) ورد في كتاب الإمام محمد بن الحسن للنَّدْوي ما يأتي: "وقد قيل: إنَّه لم يتمكَّن من إتمامه على الوجه الَّذي أراد، فقد وافاه الأجل المحتوم". ص١٤٦؛ ونقل الخصاونة هذه الفكرة عن النَّدْوي، فقال: "ورُوي أنَّه توفِّي قبل أنْ يُتمَّه". الفكر الاقتصادي عند الإمام محمد، ص١٧.

- وهذه فكرةٌ مهمَّةٌ، لكنَّ النَّدْوي لم يذكر مصدرها، ولا يلزم من كون الكتاب آخر ما ألَّفه الإمام محمَّدٌ أنْ لا يُتمَّه على الوجه الَّذي أراد. وقول النَّدْوي لا يحتمل ما ذهب إليه الخصاونة من أنَّه توفِّي قبل أنْ يُتمَّه.
- وجد الباحث أنَّ لقول النَّدْوي أصْلٌ في سيرة الإمام محمَّدٍ بن الحسن للكوثري؛ حيث جاء فيها: "وله كتاب الكَسْب، يُقال إنَّه مات قبل أنْ يُتمَّه ... بدأ في تأليف هذا الكتاب لكنَّ المنيَّة حالَت دون إتمامِه". بلوغ الأماني، ص٦٥.

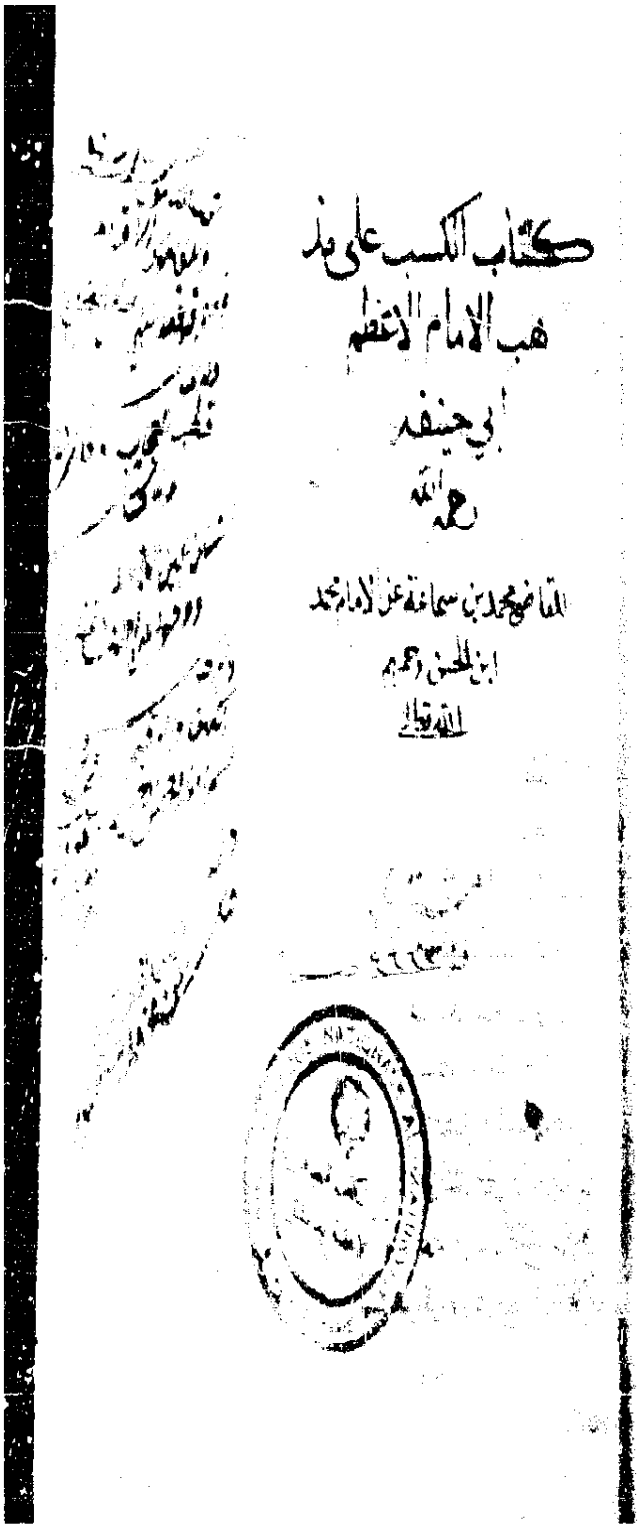
كتاب الكسب على مذ
هب الامام الاعظم
ابي حنيفه
رحمه الله

صورة عنوان المخطوط كما وردت في صفحة الغلاف

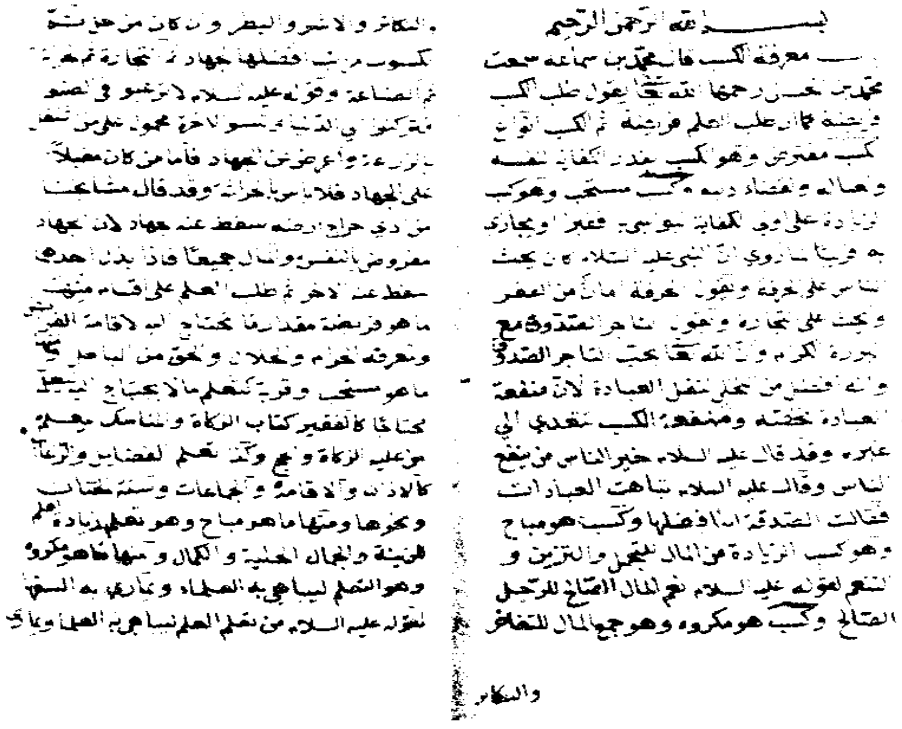

صورة الورقة (اللَّقطة) الأولى من متن المخطوط

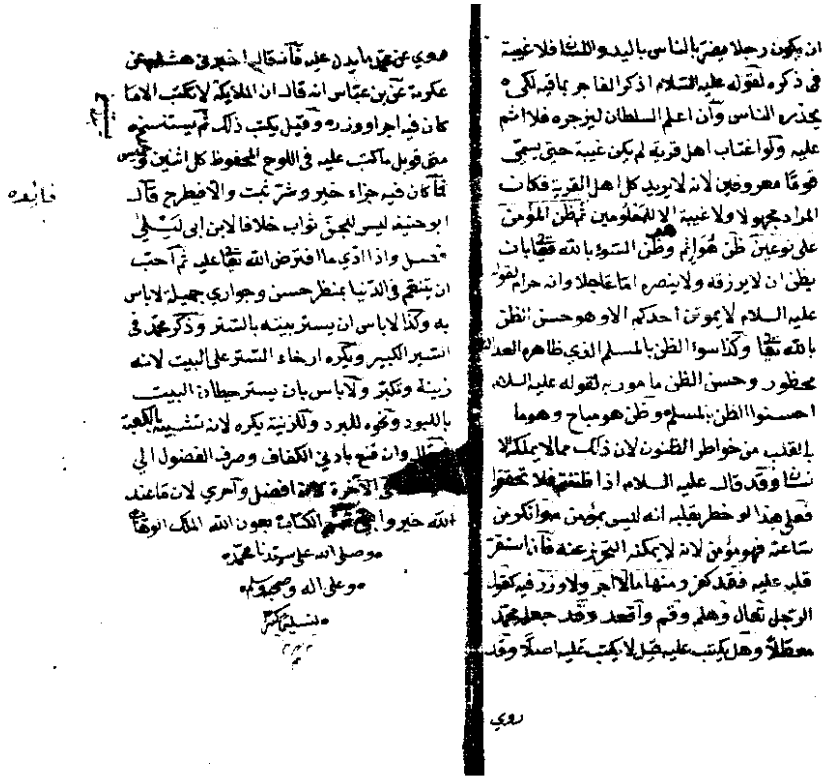

صورة الورقة (اللَّقطة) الأخيرة من متن المخطوط

المطلب الثَّاني

نصُّ كتاب الكَسْب محقَّقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

بابُ معْرِفة الكَسْب

قال محمَّد بن سَمَاعَة[1]: سمعت محمَّد بن الحسن رحمهما[2] الله تعالى يقول:

طلب الكَسْب[3] فريضةٌ، كما أنَّ طلب العلم فريضةٌ.

---

(١) محمَّد بن سَمَّاعَة (١٣٠- ٢٣٣هـ): أبو عبد الله التَّميميِّ الكوفيِّ، من أصحاب أبي يوسف ومحمَّدٍ بن الحسن، تفقَّه بهما وحدَّث عنهما، وهو من الحفَّاظ الثِّقات، روى الكتب والأمالي، وكان أحد أصحاب الرأي، له كتبٌ مصنَّفةٌ، منها: كتاب أدب القاضي، والمحاضر والسِّجلَّات. أخبار أبي حنيفة، الصيمري، ص١٦١-١٦٢؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣/ ٢٩٨؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ٥/ ٩١٨؛ الجواهر المضية، القرشي، ٣/ ١٦٨.

(٢) في إشراك والِد الإمام محمَّدٍ (الحسن بن فَرْقدٍ) بالرَّحمة إشارةٌ إلى فضله على ولَدِه، فالثَّراء الَّذي ورَّثه له والِدُه صرفه في العلم وأهله، قال محمَّد بن الحسن: "ترك أبي ثلاثين ألف درهمٍ، فأنفقت خمسة عشر ألفًا على النَّحو والشِّعر، وخمسة عشر ألفًا على الحديث والفِقه". تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٢/ ٥٦١؛ كما كان لثراء وَالِده أثرٌ في تفرُّغه لطلب العلم، فقال لأهله: "لا تسألوني حاجةً من حوائج الدُّنيا تشغلوا قلبي، وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلي، فإنَّه أقلُّ لهمِّي، وأفْرَغ لقلبي". تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٢/ ٥٦١.

(٣) الكَسْب في اللغة: "طلب الرِّزق". كتاب العين، الفراهيدي، ٥/ ٣١٥، وعرَّف العيني الكَسْب في الاصطلاح بأنَّه: "اسمٌ لعملٍ يجرُّ العامل إلى نفْسِه نفْعًا، أو يدفع عن نفْسِه ضُرًّا عاجلًا أم آجلًا". منحة السلوك، ص٤٦٥.

- وعرَّف الراغب الأصفهاني الكَسْب بالآتي: "ما يتحرَّاه الإنسان ممَّا فيه اجتلاب نفعٍ، وتحصيل حظٍّ، ككَسْب المال". المفردات في غريب القرآن، ص٧٠٩.
- وقال الماوردي: "وأمَّا المكْسَب فيكون بالأفعال الموصِّلة إلى المادَّة، والتَّصرُّف المؤدِّي إلى الحاجة. وذلك من وجهين: أحدُهما: تقلُّبٌ في تجارةٍ، والثَّاني: تصرُّفٌ في صناعةٍ". أدب الدنيا والدين، ص٢١٠.
- وذهب ابن قيِّم الجوزية إلى أنَّ الكَسْب وقع في القرآن على ثلاثة أوجهٍ:

الوجه الأوَّل: عقد القلب وعزمه، كقوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٢٥].

الوجه الثَّاني: كَسْب المال من التِّجارة، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧].

الوجه الثَّالث: السَّعي والعمل، كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]. شفاء العليل، ص١٢٠.

ثمَّ الكَسْب أنواعٌ:

[١] كَسْبٌ مفترَضٌ: وهُو الكَسْب بقدْرِ الكِفَاية[١] لنفْسِه ولعِيالِه، ولقضاء دَيْنه[٢].

[٢] وكَسْبٌ مستحبٌّ: وهو كَسْب الزِّيادة على أُولِي الكِفَاية؛ ليواسِي[٣] به فقيرًا[٤]، أو يُجازِي[٥] به قريبًا؛ لِما رُوي أنَّ النَّبي عليه السَّلام كان يحثُّ النَّاس على الحِرْفَة[٦]، ويقول: "الحِرْفَة أمَانٌ من

---

(١) الكِفَاية: هي الحاجات الأصليَّة، كستر العورة والطَّعام والشَّراب. قال الموصلي: "... أمَّا وجوب السُّكنى؛ فلأنَّها من الحوائج الأصليَّة، وهي من الكِفَاية، فتجب كالطَّعام والشَّراب ...". الاختيار لتعليل المختار، ٤/ ٨؛ وعرف ابن عابدين الحاجة الأصليَّة بالآتي: "وهي ما يدفع الهلاك عن الإنسان تحقيقًا، كالنَّفقة ودُور السُّكنى وآلات الحرب والثِّياب المحتاج إليها لدفع الحرِّ أو البرد، أو تقديرًا كالدَّين، فإنَّ المديون محتاجٌ إلى قضائه بما في يده من النِّصاب دفعًا عن نفسه الحبْس الَّذي هو كالهلاك، وكآلات الحِرْفة وأثاث المنزل ودوابِّ الرُّكوب وكتب العلم لأهلها، فإنَّ الجهل عندهم كالهلاك". رد المحتار، ٢/ ٢٦٢.

- وليس لتقدير الكِفَاية قانونٌ ثابتٌ، وإنَّما هي تختلف بحسَب الأشخاص والأزمان. قال ابن مازة البخاري: "... لأنَّ المقصود من النَّفقة الكِفَاية، وذلك ممَّا يختلف فيه طباع النَّاس وأحوالهم، ويختلف باختلاف الأوقات أيضًا". المحيط البرهاني، ٣/ ٥٢٨.

(٢) الدَّيْن: "عبارةٌ عن مالٍ حكميٍّ مُحدَثٍ في الذِّمَّة ببيعٍ، أو استهلاكٍ، أو غيرهما". الحاوي القدسي، القاضي الغزنوي، ١/ ٧٣؛ أو هو: "اسمٌ لمالٍ وجب في الذِّمَّة، يكون بدلًا عن مالٍ أتلفه أو قرضٍ اقترضه أو مبيعٍ عقد بيعه أو منفعةٍ عقد عليها من بُضْع امرأةٍ وهو المهر أو استئجار عينٍ". فتح القدير، الكمال ابن الهمام، ٧/ ٢٢١.

(٣) المواسَاة: "هي المشاركة والمساهمة في المعاش والرِّزق". تاج العروس، الزبيدي، ٣٧/ ٧٦؛ وجاء في لسان العرب لابن منظور: "واسَاه بماله: أنَالَه منه وجعله فيه أُسوةً، وقيل: لا يكون ذلك منه إلَّا من كفافٍ، فإنْ كان من فضْلةٍ فليس بمواساةٍ". ١٤/ ٣٦.

(٤) الفقير: مَن له أدنى شيءٍ؛ وهو ما دون النِّصاب أو قدْر نصابٍ غير تامٍّ، وهو مستغرق الحاجة. تبيين الحقائق، الزيلعي، ١/ ٢٩٦.

(٥) المجازاة: "هي المكافأة، وهي المقابَلة من كلِّ واحدٍ من الرَّجلين، والمكافأة هي مقابلة نعمةٍ بنعمةٍ هي كفؤها". الزبيدي، تاج العروس، ٣٧/ ٣٥٢.

(٦) قال العيني: "... من الحِرفة والاحتراف، وهو الاكتساب". البناية، ١٠/ ٣٣٩؛ وجاء في البحر الرَّائق لابن نجيم ما يأتي: "... الحِرْفة بالكسر، وهي كما في ضياء الحَلُوم بكسر الحاء وسكون الرَّاء اسمٌ من الاحتراف، وهو الاكتِسَاب بالصِّناعة والتِّجارة، وقال في موضعٍ آخر: الصِّناعة الحِرْفة. ا هـ.

والظَّاهر أنَّ الحِرْفة أعمُّ من الصِّناعة؛ لأنَّها العلم الحاصل من التَّمرُّن على العمل، ولذا عبَّر المصنِّف بالحِرْفة دون الصِّناعة، لكن قال في القاموس: الحِرْفة بالكسر الطُّعمة والصِّناعة يرتزق منها، وكلُّ ما اشتغل الإنسان به، وهي تُسمَّى صنْعةٌ وحِرْفةٌ؛ لأنَّه ينحرف إليها". ٣/ ١٤٣؛ ونبَّه سراج الدِّين ابن نجيم في كتاب النهر الفائق إلى أنَّ ما ذكره في البحر من أنَّ الحِرْفة أعمُّ من الصِّناعة مسطورٌ في حاشية شرح المواقف لابن الفَنَاري، فقال: "وأقول: هذا مسطورٌ في (حاشية شرح المواقف) لابن الفَنَاريِّ، حيث قال: الصِّناعة أخصُّ من الحِرْفة؛ لأنَّها يحتاج في حصولها إلى طروِّ آلةٍ، وقد يُراد بالحِرْفة ما يُقابل الصِّناعة". ٢/ ٢٢٢.

الفقر"[1]، ويحثُّ على التِّجارة[2]، ويقول: "التَّاجر الصَّدُوق مع البَرَرة الكِرام"[3]، وإنَّ الله تعالى يحبُّ التَّاجر الصَّدوق، وإنَّه أفضل من التَّخلِّي لنفل العبادة؛ لأنَّ منفعة العبادة تخصُّه، ومنفعة الكَسْب تتعدَّى إلى غيره، وقد قال عليه السَّلام: "خير النَّاس مَن ينفع النَّاس"[4]، وقال عليه السَّلام: "تبَاهَت العبادات، فقالت الصَّدقة: أنا أفضلها"[5].

[٣] وكَسْبٌ هو مباحٌ: وهو كَسْب الزِّيادة من المال[6]؛ للتَّجمُّل والتَّزيُّن والتَّنعُّم؛ لقوله عليه السَّلام: "نِعْم المال الصَّالح للرَّجل الصَّالح"[7].

[٤] وكَسْبٌ هو مكروهٌ: وهو جمع المال للتَّفاخر [١/ أ] والتَّكاثر، والأَشَر[8] والبَطَر[9]، وإنْ كان من حِلٍّ ثمَّ.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) عرَّف السرخسي التِّجارة، فقال: "والتِّجارة نوعان: حلالٌ يُسمَّى في الشَّرع بيعًا، وحرامٌ يُسمَّى رِبًا". المبسوط، ١٢/ ١٠٨؛ وقال أيضًا: "التِّجارة مبادلة مالٍ بمالٍ". المبسوط، ٢٥/ ١٥٧؛ وعرَّف الكاساني التجارة، فقال: "التجارة كسب المال ببدلٍ ما هو مالٌ". بدائع الصنائع، ٢/ ١٢.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج الترمذي في الجامع الكبير نحوه، بلفظ: "التَّاجر الصَّدوق الأمين مع النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء". ٢/ ٥٠٦، رقم (١٢٠٩)؛ وأخرجه ابن ماجه في سننه، بلفظ: "التَّاجر الأمين الصَّدوق مع الشُّهداء يوم القيامة". ٢/ ٧٢٤، رقم (٢١٣٩).

(٤) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن ورد نحوه بلفظ: "خير النَّاس أنفعهم للنَّاس"، أخرجه بهذا اللَّفظ الطبراني في المعجم الأوسط، (٦/ ٥٨، رقم (٥٧٨٧) والقضاعي في مسند الشهاب، ١/ ١٠٨، رقم (١٢٩)، ٢/ ٢٢٣، رقم (١٢٣٤)؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، ٢/ ١٠٦، رقم (٨٦١) والمعجم الكبير، ١٢/ ٤٥٣، رقم (١٣٦٤٦) بلفظ: "أحبُّ النَّاس إلى الله أنفعُهم للنَّاس".

(٥) لم أقف عليه.

(٦) عُثِر - فيما بين الكتب المطبوعة - على ثلاثة تعاريف للمال عند الحنفيَّة:

الأوَّل للقاضي الغزنوي: "المال: اسمٌ لغير الآدميِّ، خُلِق لمصالح الآدميِّ، وأمكن إحرازُه والتَّصرُّف به على وجه الاختيار". الحاوي القدسي، ١/ ٧٤.

والثَّاني لعبد العزيز البخاري: "المال: ما يميل إليه الطَّبع، ويمكن ادِّخاره لوقت الحاجة، كذا قيل. وقيل: هو الشَّيء الَّذي خُلق لمصالح الآدميِّ، ويجري فيه الشُّحُّ والضِّنَّة". كشف الأسرار، ١/ ٢٦٨.

والثَّالث: لملَّا خسرو: "... المال موجودٌ يميل إليه الطَّبع، ويجري فيه البذل والمنع". درر الحكام، ٢/ ١٦٨.

(٧) أخرجه ابن حبان في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ٨/ ٦، رقم (٣٢١٠).

(٨) قال ابن فارس: "قولهم: هُو أَشِرٌ، أي: بَطِرٌ مُتسرِّعٌ ذو حِدَّةٍ". معجم مقاييس اللغة، ١/ ١٠٨.

(٩) قال أبو نصر الفارابي: "البَطَرُ: الأَشَرُ، وهو شدَّة المرح. وقد بطِر بالسُّكر يبطر. وأبْطره المال". الصحاح، ٢/ ٥٩٢-٥٩٣.

الكُسُوب مراتِب: أفضلها[١] الجهاد، ثمَّ التِّجارة، ثمَّ الحِراثَة، ثمَّ الصِّناعة[٢].

وقوله عليه السَّلام: "لا ترغَبوا في الضَّيْعة فتركَنوا إلى الدُّنيا وتنْسَوا الآخرة"[٣]، محمُولٌ على مَن اشتغل بالزِّراعة[٤] وأَعْرض عن الجهاد، فأمَّا مَن كان مُقبِلًا على الجهاد فلا بأس بالحِراثَة.

وقد قال مشايخنا: مَن أدَّى خَرَاج[٥] أرضه سقط عنه الجهاد؛ لأنَّ الجهاد مفروضٌ بالنَّفس والمال جميعًا، فإذا بذَل أَحدَهما سقط عنه الآخر.

ثمَّ طلب العلم على أقسامٍ:

[١] منها ما هو فريضةٌ: مقدار ما نحتاج إليه لإقامة الفرائض، ومعرفة الحرام والحلال، والحقِّ من الباطل.

[٢] ومنها ما هو مستحبٌّ وقُربةٌ: كتعلُّم ما لا يحتاج إليه ليُعلِّمه مُحتاجًا، كالفقير كتاب الزَّكاة والمناسِك؛ ليُعلِّم مَن عليه الزَّكاة والحجَّ. وكذا تعلُّم الفضائل والرَّغائب؛ كالأذَان والإقامة والجمَاعات، وسنَّة الخِتان[٦] ونحوها.

[٣] ومنها ما هو مباحٌ: وهو تعلُّم زيادة العلم؛ للزِّينة والجمال [و]الحِلْية والكمَال.

[٤] ومنها ما هو مكروهٌ: وهو التَّعلُّم ليُباهِي به العلماء، ويُماري به السُّفهاء؛ لقوله عليه السَّلام: "مَن

---

(١) يُنسب إلى القِدِّيس سان توما الأكويني Sant Thomas Aquinas التَّأكيد على كرامة العمل الإنسانيِّ، أيًّا كان نوع العمل، طالما أنَّه لا يتعارض مع تعاليم الدِّين، فكلُّ عملٍ في سبيل الكَسْب المشروع عملٌ نبيلٌ، سواءٌ كان في الزِّراعة أو الصِّناعة أو التِّجارة. تاريخ الفكر الاقتصادي، النجار، ص٢١.

وفي قول الإمام محمَّدٍ سبقٌ لهذه الفكرة، فكلُّ وجوه الكَسْب في الإباحة سواءٌ، والتَّفاضل طارئٌ عليها من الخارج، بحسب الظُّروف الزَّمانيَّة والمكانيَّة والأحوال الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة. قال العيني: "ينبغي أنْ يختلف الحال في ذلك باختلاف حاجة النَّاس، فحيث كان النَّاس محتاجين إلى الأقوات أكثر، كانت الزِّراعة أفضل؛ للتَّوسعة على النَّاس، وحيث كانوا محتاجين إلى المتْجَر؛ لانقطاع الطُّرق، كانت التِّجارة أفضل، وحيث كانوا محتاجين إلى الصَّنائع أشدَّ، كانت الصَّنعة أفضل، وهذا حسَنٌ". عمدة القاري، ١٢/ ٢١٩.

(٢) الصِّناعة: "هي تأليف الأجسام بعضها على بعضٍ". رسائل إخوان الصفا، ١/ ٥٠.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ. لكن ورد نحوه بلفظ: "لا تتَّخذوا الضَّيعة فترغبوا في الدُّنيا". أخرجه بهذا اللَّفظ الترمذي في الجامع الكبير، ٤/ ١٤٣، رقم (٢٣٢٨) والإمام أحمد بن حنبل في المسند، ٣/ ٤٩٧، رقم (٣٥٧٩) وابن حبان في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ٢/ ٤٨٧، رقم (٧١٠) والحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٣٥٨، رقم (٧٩١٠).

- والضَّيْعة: الأرض التي تُزرع وتُستغَلُّ. التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، ١١/ ٨٢.

(٤) عرَّف الموصلي الزِّراعة، فقال: "... الزِّراعة: وهي الحَرْث والفِلاحة". الاختيار، ٣/ ٧٤.

(٥) الخَرَاج: ما فُرِض من ضرائب على رقاب الأرض سياسةً. المعجم الاقتصادي الإسلامي، الشرباصي، ص١٢٩.

(٦) الخِتان: "موضع القطْع من الذَّكَر". معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم الفارابي، ١/ ٤٦٩.

تعلَّم العلم ليُباهِي به العلماء ويُمارِي [١/ ب]السُّفهاء أُلجِم بلِجامٍ من نارٍ يوم القيامة"[١].

والتَّعليم والتَّعلُّم بقدْر ما يحتاج إليه لإقامة فرُوضه فريضةٌ؛ لقوله عليه السَّلام: "مَن سُئل عن علمٍ عنده، احتاج النَّاس إليه فكَتَمه، أُلجِم يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ"[٢]، حتَّى قالوا: يجب على المولى أن يُعلِّم عبْدَه القرآن والعلم بقدْر ما يحتاج إليه لأدَاء الفرائض، ثمَّ يُفترض على العَالِم تعليمه إلى أنْ يفهم المتعلِّم ويحفظه ويضبِطه؛ لأنَّه لا يتمكَّن من إقامة الفرائض إلَّا بالحفظ.

ولهذا قالوا: لو ناظر مع غيره، إنْ كلَّمه غيره مُتعلِّمًا مُسترشدًا غير متعنِّتٍ لا يحلُّ له التَّمْويه والحيْلَة لطرحه في المنَاظَرة معه؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى إخفاء العلم وكتمانه وأنَّه حرامٌ، وإنْ كلَّمه متعنِّتًا ويريد طرحه يحلُّ له ذلك؛ لأنَّ الحيلة لدفع التَّعنُّت مشروعٌ. وكذلك كره أبو حنيفة رحمه الله تعلُّم الكلام والمنَاظَرة فيه، ورأى قدْر الحاجة.

ولا يجب على الفقيه أنْ يُجيبَ عن كلِّ ما يُسأل، إذا علِم أنَّه متى لم يُجبْ هو يُجيبُ غيره، وإنْ علِم أنَّه لا يُجيبُ غيره يلزمه الجواب؛ لأنَّ الفتوى والتَّعليم فرض كفايةٍ.

وذكر محمَّدٌ رحمه الله في "السِّير الكبير": ولو طلب كافرٌ من مسلمٍ أنْ يُعلِّمه [٢/ أ] القرآن ويُفقِّهه في الدِّين فلا بأس به، ليقف على حُسن نَظْمِه، وجَودة أحكامه، ولطائف حِكَمِه، فيُسلِم.

وكذلك ردُّ السَّلام فريضةٌ على كلِّ مَن سمع الكلام، إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

[فائدةٌ][٣]: والتَّسليم سنَّةٌ والرَّدُّ فريضةٌ؛ لأنَّ في الامتناع من الرَّدِّ إهانةٌ بالمسلم، واستخفافًا له، وإنَّه حرامٌ، إلَّا أنَّ ثَوَاب المُسلِّم أجْزَل من ثَوَاب الرَّادِّ؛ لقوله عليه السَّلام: "للبَادِي من الثَّواب عشرةٌ وللرَّادِّ واحدٌ"[٤]، وفي روايةٍ: "للبَادِي من الثَّواب عشْرِين وللرَّادِّ عشرةٌ"[٥]، ثمَّ إنَّما يصحُّ ردُّ السَّلام إذا سمع المُسلِّم؛ لأنَّ الجواب إنَّما يكون جوابًا إذا سمِعه المخَاطَب، إلَّا إذا كان المُسلِّم أصَمَّا، فينبغي أنْ يُريَه بتحريك شَفَتَيه.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج ابن ماجه في سننه نحوه، بلفظ: "مَن طلب العلم ليُماري به السُّفهاء، أو ليُباهي به العلماء، أو ليصرف وجوه النَّاس إليه، فهو في النَّار". ١/ ٩٣، رقم (٢٥٣)؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، بلفظ: "مَن طلب العلم ليُباهي به العلماء ويُماري به السُّفهاء في المجالس، لم يَرَحْ رائحة الجنَّة". ٢٠/ ٦٦، رقم (١٢١).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج أبو داود في سننه نحوه، بلفظ: "مَن سُئل عن علمٍ فكتمه، ألجمه الله بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة"، ٣/ ٣٢١، رقم (٣٦٥٨)؛ وأخرجه الترمذي في الجامع الكبير، بلفظ: "مَن سُئل عن علمٍ علِمَه ثمَّ كتمه، أُلجِم يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ". ٤/ ٣٢٦، رقم (٢٦٤٩)؛ وأخرجه ابن ماجه في سننه، بلفظ: "مَن سُئل عن علمٍ فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ". ١/ ٩٧، رقم (٢٦٤).

(٣) كُتبت بالهامش.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

[فائدةٌ][1]: وكذلك جوابُ العطْسَة؛ لقوله عليه السَّلام: "مَن شَمَّت العاطِس، فقد أَمِن من الشَّوْص واللَّوْص[2] والعِلَّوْص[3]"[4].

ولو سلَّم على قومٍ وفيهم صبيٌّ وردَّ سلامه، إنْ كان لا يعقل لا يصحُّ، وإنْ كان يعقل، قيل: لا يسقط الرَّدُّ عن الباقين؛ لأنَّ ردَّ السَّلام فرْضٌ، والصَّبيُّ ليس من أهل إقامة الفرْض، وقيل: سقط لأنَّه أهْلٌ لإقامة فرْضٍ لا يلحقه في إقامته مشقَّةٌ؛ ولهذا لو أسْلَم يصحُّ إسلامه؛ لأنَّه فرْضٌ لا يلحقه في إقامته ضررٌ [٢/ ب] ومشقَّةٌ.

ولو سلَّم الرَّجل على المرأة، قيل: عليها الرَّدُّ، [وقيل][5]: لا يجب؛ لأنَّ صوتها عورةٌ.

وإنْ عطَسَت المرأة فإنْ كانت عجوزًا يُشمِّت الرَّجل عليها، وإنْ كانت شابَّةً يردُّ عليها في نفْسِه. وكذلك الجواب في ردِّ سلامها على الرَّجل.

ولا يجب ردُّ سلام السَّائل على باب الدَّار؛ لأنَّه يُسلِّم لشِعَار سُؤاله لا للتَّحيَّة.

[فائدةٌ][6]: ومَن بلَّغ غيره سلامًا من غائبٍ، ينبغي أنْ يردَّ عليهما السَّلام، هكذا فعله النَّبي عليه السَّلام حين بَلَّغه الحسن سلام أبيه.

ولا ينبغي أنْ يُسلِّم على مَن يقرأ القرآن؛ لأنَّه يُشغله عن قراءته، وإنْ سلَّم عليه فالأصحُّ أنَّه يجب عليه ردُّه؛ لأنَّه فرْضٌ وقراءة القرآن ليست بفرْضٍ. بخلاف ما لو سمع اسم النَّبي عليه السَّلام لا تجب عليه الصَّلاة؛ لأنَّ قراءة القرآن على نظْمِه أفضل من الصَّلاة على النَّبي عليه السَّلام.

رجلٌ جالسٌ مع القوم، فسلَّم عليه رجلٌ، وقال: السَّلام عليك، ولم يسمعه، فردَّه بعض القوم، يسقط عنه؛ لأنَّ قصد المُسلِّم التَّسليم على الكلِّ، ويجوز أنْ يُشير إلى خطاب الجماعة بخطاب الواحد، و[حين][7] حيَّى كان هذا تسلِيمًا على الكُلِّ، يكتفي جواب الواحد. وإن سمَّى واحدًا، فقال: السَّلام [٣/ أ] عليك يا زيدُ، فأجاب غيره، لا يسقط عنه؛ لأنَّه سلَّم عليه خاصَّةً.

ولا يجوز السَّلام على الكافر ابتداءً؛ لأنَّ الكفَّار ليسُوا من أهل السَّلام عليهم، بل هم أهل اللَّعْنة والنِّقْمة، إلَّا إذا ابتدأ بالسَّلام، فيردُّ عليه، ويقول: وعليكَ، مجازاةً له، هكذا فعله النَّبي عليه السَّلام.

---

(١) كُتبت بالهامش.

(٢) في الأصل: "وللَّوص".

(٣) في الأصل: "والعوص".

(٤) لم أقف عليه. قال المطرزي: "الشَّوص: وجع الضِّرس، واللَّوْص: وجع الأُذُن، والعِلَّوص اللَّوَى؛ وهو التُّخْمة". المغرب في ترتيب المعرب، ص٢٥٩.

(٥) كُتبت بالهامش.

(٦) كُتبت بالهامش.

(٧) كُتبت بالهامش.

[فائدةٌ][1]: ولو اجتمع المسلمون والكفَّار فيُسلِّم عليهم، وينوي بقلبه المسلمين[2] دون الكفَّار. ولو قال: السَّلام على مَن اتَّبع الهدى، يجوز.

ولو قال مسلمٌ لذِمِّيٍّ: أطال الله بقاءك، فإنْ نوى بقلبه أنَّ الله يُطيل بقاءه لعلَّه يُسلم، أو ليُؤدِّي الجزية[3] عن ذُلٍّ وصَغَار، لا بأس به؛ لأنَّه دعا له بالإسلام في الأُولى، وفي الثَّانية منفعةٌ للمسلمين. وإنْ لم ينوِ شيئًا لا يجوز .

ولو قال لذِمِّيٍّ: أرشدك الله، أو هداك الله، فحَسَنٌ.

بابُ معْرِفة الأكْل

الأكل على ثلاث مراتب:

أحدُها: ما هو فرْضٌ، وهو مأجورٌ فيه، وهو ما يندفع عنه الهلاك؛ لقوله عليه السَّلام: "إنَّ الله تعالى لَيُؤجِر المؤمن في كلِّ كلِّ شيءٍ، حتَّى اللُّقْمة يرفعها إلى فِيه"[4]. وكذلك أكل ما زاد ما يُقوِّم به البَدَن؛ لتُمكِّنه الصَّلاة قائمًا والصَّوم ساهلًا.

والثَّاني: ما هو مباحٌ، وهو أكل ما زاد على أدْنى الكِفَاية [٣/ ب] إلى الشِّبَع؛ ليزداد به قوَّة البَدَن، فهو مباحٌ لا أجْرَ ولا وِزرَ فيه، ويُحاسَب فيه حسابًا يسيرًا، إنْ كان من حِلٍّ؛ لِما رُوي أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم "أُتي بفَرَقٍ[5] فيه تمرٌ ورُطَبٌ، فقال: إنَّكم لتُحاسبون في هذا، فرفعه عمر ورفعه، وقال: أفي هذا يُحاسِب؟ فقال عليه السَّلام: إي والله، والَّذي نفسي بيده إنَّكم لتُحاسبون يوم القيامة في الماء البارد والماء الحرِّ، إلَّا كِسْرة خبْزٍ تُبرِّد بها جوعك وشَربة ماءٍ تُطفِي بها عطشك، وخِرقةً تستر بها عوْرَتك"[6].

---

(١) كُتبت بالهامش.

(٢) في الأصل: "المسلمون".

(٣) الجزية: ضريبةٌ توظَّف على رؤوس القادرين على الكَسْب من فئاتٍ مخصوصةٍ من غير المسلمين. البناية، العيني، ٧/ ٢٣٨-٢٣٩؛ المعجم الاقتصادي الإسلامي، الشرباصي، ص٩٥.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج الإمام أحمد في المسند نحوه، بلفظ: "عجبت للمسلم، إذا أصابه خيرٌ حمد الله وشكر، وإذا أصابته مصيبةٌ احتَسب وصبَر، المسلم يُؤجَر في كلِّ شيءٍ، حتَّى اللُّقمة يرفعها إلى فيه"، ٢/ ٢٤٧، رقم (١٥٣١)؛ وأخرجه البخاري في الجامع المسند الصحيح، ٥/ ١٧٨، رقم (٤٤٠٩) ومسلم بن الحجاج في المسند الصحيح المختصر، ٣/ ١٢٥١، رقم (١٦٢٨) بلفظ: "... ولستَ تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلَّا أُجِرت بها، حتَّى اللُّقمة تجعلها في في امرأتك".

(٥) الفَرَق: "مكيالٌ يسَع ستَّة عشر رطْلًا، وهي اثنا عشَر مُدًّا وثلاثة آصُعٍ عند أهل الحجاز". لسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ٣٠٦.

(٦) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج الإمام مسلم في المسند الصحيح المختصر نحوه في حديثٍ طويلٍ؛ حيث جاء فيه: "...فذبح لهم، فأكلوا من الشَّاة ومن ذلك العِذْق وشربوا، فلمَّا أنْ شبِعوا ورَوَوا، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأبي بكرٍ وعمر: والَّذي نفسي بيده، لتُسألُنَّ عن هذا النَّعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثمَّ لم ترجعوا حتَّى أصابكم هذا النَّعيم". ٣/ ١٦٠٩، رقم (٢٠٣٨).

والثَّالث: ما هو حرامٌ، وهو الأكْل ما فوقَ الشِّبَع، إلاَّ ليتقوَّى به لصوم الغَد. وإذا نزل به ضيفٌ ولم يشبَع ضيفُه، وهو يعلم أنَّه متى أمسك من الأكل أمسك الضَّيف عنه حياءً [و] خجلًا، فلا بأس بأكله فوق الشِّبَع؛ لكيلا يصير دَاخِلًا في جملة مَن أساء القِرى؛ أي: الضِّيافة، فإنَّ إساءة القِرى مذمومٌ شرْعًا.

[فائدةٌ][1]: ولا يجوز ترْويض نفْسِه بتقليل الأكل حتَّى يضعُف عن أداء العبادات؛ لقوله عليه السَّلام: "إنَّ نفْسَك مطيَّتك فارْفُق بها"[2]، من الرِّفق أنْ لا يُجيعَها، فإنْ تركوا أكلهم وشُرْبهم فقد عصَوا؛ لأنَّ مَن [٤/ أ] امتنع عن أكل الميتة عند المخمصة حتَّى مات عصى ربَّه، ولقِي الله تعالى بدمه، فما ظنُّك بمَن ترك الحلال حتَّى مات بالمجاعة. وكذا لو صام ولم يأكل حتَّى مات، أَثِم، بخلاف ما لو استطْلَق بطْنُه أو رَمِدَت عيناه، فلم يُعالِج حتَّى أَضْعَفه ومات، لا يأْثَم؛ لأنَّه ربَّما يصحُّ من غير معالجةٍ، ولا تنفعه المعالجة.

[فائدةٌ][3]: والتَّفكُّه بأنواع الفواكه لا بأس به؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: ٥٧]، وإنْ تركه كان أفضل حتَّى لا يَنقُص عن دَرَجَاته في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٠]، واتِّخاذ ألوان الأطعمة والمباحات، ووضع الخبز على المائدة أضْعَاف ما يحتاج إليه الآكلون سَرَفٌ[4].

ويُكره تعليق الخبز على الخِوَان[5]، ووضع الخبز في جنب القَصْعة ليَستَوي القَصْعة[6]. ويُكره مسح الأصابع والسِّكِّين في الخبز. ويُكره وضع المملحة على الخبز، ولكن يُوضَع الملح وَحْده على الخبز؛ لأنَّا أُمِرنا بتكريمه؛ لقوله عليه السَّلام: "أَكرِموا الخبز، فإنَّ الله تعالى أخرجه فيما بين بركات السَّموات والأرض"[7]، وقال عليه السَّلام: "ما استخفَّ قومٌ [بحقِّ الخبز] إلَّا ابتلاهم الله بالجوع"[8]. ويُكره أنْ يأكل ما انتفخ من الخبز أو وجهه [٤/ ب] ويترك البَاقي.

---

(١) كُتبت بالهامش.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) كُتبت بالهامش.

(٤) السَّرف: "مجاوزة الحدِّ عن مقدار ما أُبيح منه". شرح مختصر الطحاوي، الجصاص، ٦/ ٣٦٠. وفرَّق ابن عابدين - فيما نقل عن الكرماني في شرح صحيح البخاري- بين الإسراف والتَّبذير، فقال: "والتَّبذير يُستعمل في المشهور بمعنى الإسراف، والتَّحقيق أنَّ بينهما فرقًا وهو أنَّ الإسراف صرف الشَّيء فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي، والتَّبذير صرفه فيما لا ينبغي". رد المحتار، ٦/ ٧٥٩-٧٦٠.

(٥) الخِوَان: "طبَقٌ كبيرٌ من نحاسٍ، تحته كرسيٌّ ملزوقٌ به". منحة السلوك، العيني، ص٤٧٣.

(٦) تُسمَّى في اللغة: الصَّبِير. قال ابن منظور: "وصبِير الخِوان: رُقاقةٌ عريضةٌ تُبسط تحت ما يُؤكَل من الطَّعام". لسان العرب، ٤/ ٤٤٠.

(٧) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج الطبراني في المعجم الكبير نحوه، بلفظ: "أكرموا الخبز فإنَّ الله أكرمه، فمَن أكرم الخبز أكرمه الله". ٢٢/ ٣٣٥، رقم (٨٤٠)؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، بلفظ: "أكرموا الخبز وإنَّ كرامة الخبز أنْ لا ينتظر به". ٤/ ١٣٦، رقم (٧١٤٥).

(٨) خبرٌ موضوعٌ. الموضوعات، ابن الجوزي، ٢/ ٢٩٢؛ اللآلئ المصنوعة، السيوطي، ٢/ ١٨٣.

وسُنن الطَّعام: أنْ يغسل يدَيْه قبل الطَّعام وبَعْده؛ لقوله عليه السَّلام: "الوضوء قبل الطَّعام [ينفي الفقر][1]، وبَعْده ينفي اللَّمَم"[2]، والأَدَب في غسل الأيدي قبل الطَّعام: أنْ يبدأ بالشُّبَّان ثمَّ بالشُّيُوخ، وبَعْد الطَّعام يبدأ بالشُّيُوخ.

[فائدةٌ][3]: ولا يمسح يدَه قبلُ بالمنديل، لكن يترك ليجِفَّ؛ ليكون[4] أثر الغَسْل باقيًا وقت الطَّعام، وبَعْد الطَّعام يمسح يدَه بالمنديل؛ ليكون أثر الطَّعام زائلًا بالكُلِّيَّة.

والتَّسمية على الطَّعام سنَّةٌ، وإنْ نسي في أوَّله فليقل في آخره.

[فائدةٌ]: ولا بأس بأكل الخبز متَّكئًا، وشُكر المؤمِن إذا رُزِق[5] أنْ يُسمِّي الله عند أكله، وإذا رفع يدَه من الطَّعام حمد الله تعالى عليه؛ لقوله عليه السَّلام: "إنَّ الله تعالى ليرضى من عبْدِه المؤمِن إذا قدَّم إليه الطَّعام أنْ يُسمِّي الله تعالى في أوَّله ويحمَد الله في آخره"[6].

[فائدةٌ][7]: وعلى النَّاس فريضةٌ أنْ يتَّخذوا أوعيةً لنقل الماء إلى النِّساء وأهل البيوت؛ لأنَّهن عوْرَةٌ منهيَّةٌ عن الخروج للوضوء والغُسل[8]. واتِّخاذ الأوعية من الخزَف أفضل؛ لقوله عليه السَّلام: "مَن اتَّخذ أواني في بيته خزَفًا زارت الملائكة بيته"[9]، واتِّخاذها [٥/ أ] من نُحاسٍ أو رَصَاصٍ أو شَبَهه مباحٌ، ومن الذَّهب والفِضَّة حرامٌ[10].

---

(١) كُتبت بالهامش.

(٢) مسند الشهاب، القضاعي، ١/ ٢٠٥، رقم (٣١٠)، بزيادة "ويُصحُّ البَصَر" في آخره.

(٣) كُتبت بالهامش.

(٤) في الأصل: "ليجفَّ".

(٥) قال الكاساني: "... ورِزْق الإنسان كفايته في العرف والعادة، كرزق القاضي". بدائع الصنائع، ٤/ ٢٣.

(٦) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج الترمذي في الجامع الكبير نحوه، بلفظ: "إذا أكل أحدكم طعامًا، فليقل: بسم الله، فإنْ نسي في أوَّله، فليقل: بسم الله في أوَّله وآخره". ٣/ ٣٥٢، رقم (١٨٥٢)؛ وأخرجه ابن ماجه في "سننه" بلفظٍ قريبٍ من لفظ الترمذي المتقدِّم، ٢/ ١٠٨٦، رقم (٣٢٦٤).

(٧) كُتبت بالهامش.

(٨) نقل المرغيناني قول محمَّدٍ الآتي: "الذَّكر والأنثى من بني آدم جنسان؛ للتَّفاوت في الأغراض". الهداية في شرح بداية المبتدي، ٣/ ٤٧؛ وقال البابرتي: "فالغلام والجارية جنسان؛ لأنَّ الغلام يصلح لخدمة خارج البيت، كالتِّجارة والزِّراعة وغيرهما. والجارية لخدمة داخل البيت، كالاستفراش والاستيلاد اللَّذين لم يصلح لهما الغلام بالكلِّيَّة". العناية، ٦/ ٤٣١؛ وشرَح العيني قول محمَّدٍ بالقول: "لأنَّ المطلوب من العبد الاستخدام خارج الدَّار، ومن الأَمَة الاستخدام داخل الدَّار، كالطَّبخ والكنس والاستفراش والاستيلاد، والغلام لا يصلح للاستفراش، فكان التَّفاوت بينهما فاحشًا". البناية، ٨/ ١٧٢.

- تؤسِّس الاقتباسات السَّابقة مع ما ورد في المتن إلى فكرة تقسيم العمل على أساس الجنس.

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) لهذا الحكم الشَّرعيِّ معنًى اقتصاديٌّ مهمٌّ، وهو انفراد الأثمان (النُّقود) بوظيفة التَّبادل فقط، أمَّا السِّلع فتتمتَّع بوظيفةٍ أخرى، وهي الاستعمال.

ويُنفق على نفْسِه وعياله ووَلَدِه ما يكفيهم بلا سَرَفٍ ولا تقْتيرٍ[1].

بابُ معْرِفة الكُسْوة

للكُسْوة أربعة أنواعٍ:

[١] ما هو فرضٌ: وهو اتِّخاذها من القُطْن والكِتَّان أدْنى ما يستر عوْرَته ويوارِي مُهْجَته، ويدفع عنه الحرَّ والبرد، ويأخذ الوسط في حقِّ الكُسْوة، لا الدَّنِي حتَّى تحقِره العُيون، ولا النَّفِيس حتَّى يصير عَلَمًا فيما بين النَّاس.

[٢] ومنها ما هو مستحبٌّ: وهو ستر العَوْرة في الصَّلاة.

[٣] ومنها ما هو مباحٌ: وهو لُبْس الثِّياب الجميلة للتَّزيُّن والتَّجمُّل، ورُوي أنَّ أبا حنيفة رضي الله [عنه][2] ارتدى بُرْدًا ثمينًا[3] قيمتُه[4] أربع مئة دِينارٍ، وكان يجرُّه على الأرض، فقيل له: أَوَلَسْنا نُهِينَا عن هذا، فقال: إنَّما ذلك لِذَوي الخُيَلاء، ولَسْنا [منهم][5].

[٤] ومنها ما هو مكروهٌ: وهو لُبْس الثِّياب الجميلة للتَّكبُّر والأَشَر والبَطَر.

ويُستحبُّ لُبْس الثِّياب البِيض؛ لقوله عليه السَّلام: "إنَّ الله تعالى يحبُّ الثِّياب البِيض، وإنه خَلق الجنَّة [بيضاء]"[6]. ويُكره لُبْس الثِّياب الأحْمَر، والمعَصْفَر؛ "لنهيه عليه السَّلام عن لُبْس المعَصْفَر [٥/ ب] وعن القراءة في الرُّكوع"[7].

والسُّنَّة في لُبْس العِمَامة إرخاء ذَنَب العِمَامة بين الكتِفين، كما فعله رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

ومنهم مَن قدَّر ذلك بشِبرٍ، وقيل: إلى وسط الظَّهْر، وقيل: إلى موضع الجلوس.

---

(١) ويُسمَّى: "المعروف"؛ أي الإنفاق بمقدار الكِفَاية، "وهو فوق التَّقتير ودون الإسراف". المبسوط، السرخسي، ٥/ ١٨١.

(٢) كُتبت بالهامش.

(٣) في الأصل: "ثمينٌ".

(٤) القِيْمة: "ما قُوِّم به الشَّيء، بمنزلة المعيار من غير زيادةٍ ولا نُقْصانٍ". رد المحتار، ابن عابدين، ٤/ ٥٧٥.

(٥) كُتبت بالهامش.

(٦) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج البزار في البحر الزخار نحوه، بلفظ: "إنَّ الله خَلق الجنَّة بيضاء، وأحبُّ شيءٍ إلى الله البياض، فليلبَسْه أحياؤكُم، وكفِّنوا فيه موتاكم". ١١/ ٨٥، رقم (٤٧٩٥)؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ: "... وعليكم بالبياض، فإنَّ الله خَلق الجنَّة بيضاء، فليَلْبَسْه أحياؤكم وكفِّنوا فيه موتاكم ...". ١١/ ١٠٩، رقم (١١٢٠١).

(٧) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج مسلم في المسند الصحيح المختصر نحوه، بلفظ: "أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم نهى عن لُبْس القَسِّيِّ، والمعَصْفَر، وعن تختُّم الذَّهب، وعن قراءة القرآن في الرُّكوع". ٣/ ١٦٤٨، رقم (٢٠٧٨).

[فائدةٌ][1]: وإذا أراد أنْ يُجدِّد لفَّ العِمَامة ينْقُضها كما لفَّها، ولا يلقِيها على الأرض دُفعةً واحدةً، هكذا فعله رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

بابُ معْرِفة الإطْعَام

محتاجٌ اشتدَّ جُوعُه وعجِز عن طلب القُوت[2]، فيُفترض على كلِّ مَن علِم بحاله أنْ يُطعمه؛ صونًا له عن الهلاك، أو يدلُّ آخر عليه، كمَن رأى لقيطًا أشرف على الهلاك، أو أعمى كاد أن يتردَّى في البئر، يُفترض عليه دفع الهلاك عنه، فإذا أطْعَمه واحدٌ سقط عن الباقين.

ومحتاجٌ جائعٌ يقْدِر على التَّكسُّب والسُّؤال من النَّاس، يلزمه الكَسْب إنْ قدِر عليه، وإنْ لم يقْدِر عليه يلزمه السُّؤال، ولو ترك السُّؤال حتَّى مات جائعًا أَثِم ولقي الله تعالى بذَمِه.

وفقيرٌ له قُوت يومٍ لا يحلُّ له السُّؤال؛ لأنَّه يستذِلُّ نفْسَه بلا ضرورةٍ، وإنَّه حرامٌ.

ثمَّ قال أبو مطيعٍ البَلْخيِّ[3]: لا يحلُّ للرَّجل أنْ يُعطي سُؤَّال [٦/ أ] المسجد؛ لِما رُوي في الآثار "[يُنادي] يوم القيامة منادٍ لِيَقُم بَغِيضُ الله، فيقوم سُوَّال المسجد"[4].

والمختار أنَّه إنْ كان السَّائل لا يتخطَّى رقاب النَّاس، ولا يمرُّ بين يدَي المصلِّي، ولا يسأل النَّاس إلحافًا، فلا بأس بالسُّؤال والإعْطاء؛ لأنَّ السُّوَّال كانوا يسألون على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في المسجد، حتَّى رُوي "أنَّ عليًّا رضي الله عنه تصدَّق[5] بخَاتمه وهو في الرُّكوع، فمَدَحه الله تعالى بقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥]"[6]. وإنْ كان يتخطَّى رقاب النَّاس، ويمرُّ بين يدَي المصلِّي يُكره إعطاؤه؛ لإعانته له على أذى النَّاس.

[فائدةٌ][7]: حتَّى قيل[8]: هذا فِلْسٌ واحدٌ يحتاج إلى سبعين فِلْسًا لكفَّارته[9].

---

(١) كُتبت بالهامش.

(٢) القُوت: الكِفَاية من الطَّعام من غير زيادةٍ؛ أي: ما يقوم به بَدَن الإنسان من الطَّعام بمقدار ما يُمسك الرَّمق. البناية، العيني، ٧/ ٢٤٠؛ لسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٧٤.

(٣) أبو مطيعٍ البَلْخيِّ: اسمه الحكم بن عبد الله، تفقَّه بأبي حنيفة وروى عنه، وكان فقيهًا بصيرًا بالرَّأي، ووُلِّي قضاء بَلَخ، وله كتاب: الفِقه الأكبر. مات سنة تسعٍ وتسعين ومئةٍ. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٩/ ١٢١؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ٤/ ١٠٩٧.

(٤) أورد هذا الأثر ملَّا علي القاري في مرقاة المفاتيح بلفظ: "يُنادي يوم القيامة ليقم بغيض الله، فيقوم سُوَّال المسجد". ٢/ ٥٩٨.

(٥) الصَّدقة: "إخراج المال إلى الله سبحانه وتعالى". بدائع الصنائع، الكاساني، ٧/ ٣٥٥.

(٦) أورد هذا الأثر ملَّا على القاري في مرقاة المفاتيح، ٢/ ٥٩٨.

(٧) كُتبت بالهامش.

(٨) عزا العيني هذا القول لإسماعيل المسْتَمْلي. منحة السلوك، ص٤٧٥.

(٩) الكفَّارة الماليَّة: عقوبةٌ منصوصٌ عليها في القرآن أو السُّنَّة؛ لتكفير الخطايا وحصول الثَّواب. رد المحتار، ابن عابدين، ٣/ ٤٧٢.

قال محمَّدٌ رحمه الله: المعْطِي أفضل من آخِذ؛ لقوله عليه السَّلام: "اليد العُليا خيرٌ من اليد السُّفْلى"(١)؛ أي: اليَد المعطِية خيرٌ من اليَد الآخِذة.

والغَنيُّ(٢) الشَّاكر أفضل أم الفقير الصَّابر؟

قيل: الغَنيُّ الشَّاكر أفضل، وإليه أشَار محمَّدٌ رحمه الله؛ لِما رَوَينا، وقيل: الفقير الصَّابر أفضل؛ لأنَّه عليه السَّلام اختار الفقر، فقال: "[اللهم] أحْيِنِي مسكينًا، وأمِتْني مسكينًا"(٣)، وهو يختار ما هو الأفضل.

واختلف الصَّحابة في جواز قَبُول هديَّة(٤) أُمراء الجَوْر، والأصوب فيه [٦/ ب] أنْ ينظر إنْ كان أكثر ماله حرامًا لا يحلُّ له قَبُول هديَّته ولا أكل طعامه، وإنْ كان أكثر ماله حلالًا بأنْ كان صاحب تجارةٍ أو زرعٍ، وأكثر ماله من ذلك فلا بأس به؛ لأنَّ أموال النَّاس لا تخلو عن قليل حرامٍ، فكانت العِبْرة للغالب(٥).

قال أبو يوسُف رحمه الله: الوَلِيمة هي طَعام العُرْس، والخُرْس طعام الوِلَادة، والمأدُبَة طعام الخِتَان.

وقال محمَّد بن مُقاتِلٍ(٦) في "نوادره": الوَكِيرة طعام البناء، والعَقِيقة طعام الحَلْق، والنَّقِيعة طعام القادِم، والوَضِيمة طعام التَّعزية(٧).

(١) متَّفقٌ عليه: أخرجه البخاري في الجامع المسند الصحيح، ٢/ ١١٢، رقم (١٤٢٩) ومسلم في المسند الصحيح المختصر، ٢/ ٧١٧، رقم (١٠٣٣).

(٢) قال الزيلعي: "الغِنى على ثلاث مراتب: الأُوْلى ما يتعلَّق به وجوب الزَّكاة، والثَّانية ما يتعلَّق به وجوب صدقة الفِطر والأضحية، وهو أنْ يكون مالِكًا لمقدار النِّصاب فاضِلًا عن حوائجه الأصليَّة ... والثَّالثة ما يحرم به السُّؤال، وهو أنْ يكون مالِكًا لقُوت يومه وما يستر به عورته عند عامَّة العلماء". تبيين الحقائق، ١/ ٣٠٢؛ وقال ابن نجيم: "والغِنى الشَّرعيُّ مُقدَّرٌ بالنِّصاب، وشُرِط أنْ يكون فاضلًا عن حوائجه الأصليَّة". البحر الرائق، ٢/ ٢٧١.

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، ٤/ ١٥٥، رقم (٢٣٥٢) وابن ماجه في سننه، ٢/ ١٣٨١، رقم (٤١٢٦).

(٤) الهديَّة عند الحنفيَّة من ألفاظ الهبة. بدائع الصنائع، الكاساني، ٦/ ١١٥؛ والهبة: "تمليك العين مجَّانًا". تنوير الأبصار، التمرتاشي، ٥/ ٦٨٧.

(٥) خصَّص الحارث المحاسِبي في كتاب المكاسب بابًا خاصًّا بحكم جوائز السُّلطان، فقال: "ثمَّ اختلف النَّاس في جوائز السُّلطان: فكرهت ذلك طائفةٌ، ولم ترَ طائفةٌ بذلك بأسًا، وفِرقةٌ قالت: شُبهةٌ، وفِرقةٌ قالت: حرامٌ". ص٨٩.

كما عرض المحاسِبي لأدلَّة كلِّ الأقوال، وعرض لدليل مَن قالوا لا بأس به بأنَّهم تأوَّلوا قول عليٍّ بن أبي طالبٍ بأنَّ ما يدخل في بيت مالهم من الحلال أكثر من الحرام. المكاسب، ص٨٩.

(٦) محمَّد بن مُقاتِلٍ: الرَّازيُّ، القاضي، من أصحاب محمَّدٍ بن الحسن، كان إمام أصحاب الرَّأي بالرِّيِّ، ومات بها، توفِّي سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين، وقيل في الَّتي بعدها. الجواهر المضية، القرشي، ٣/ ٣٧٢؛ لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ٧/ ٥١٨.

(٧) في الأصل: "العرية".

وكلُّها ليست بسنَّةٍ إلَّا الوَلِيمة فإنَّها سنَّةٌ قديمةٌ، وفيها مثُوبةٌ عظيمةٌ، فإنَّه ذكر الحسن بن زيادٍ[١]: لو بَنَى رجلٌ بامرأته، ينبغي أنْ يُولِم[٢].

والوليمَة حسنةٌ؛ وهي أنْ يدعو الجيران والأقرباء والأصدقاء، ويصنع لهم طعامًا، ويذْبَح لهم.

[فائدةٌ][٣]: وينبغي للرَّجل أنْ يُجيب، وإنْ لم يفعلْ فهو آثمٌ؛ لقوله عليه السَّلام: "مَن لم يجِب الدَّعوة فقد عصى الله ورسوله"[٤]، فإنْ كان صائمًا أجاب ودعى، وإنْ لم يكنْ صائمًا أكل ودعى، وإنْ لم يأكلْ أَثِم وجفى؛ لأنَّه يكون استهزاءً بالمُضيف عادةً.

ويُكره اتِّخاذ الضِّيافة[٥] بعد[٦] [الثَّلاث][٧] [/٧ أ] في المصِيبة؛ لأنَّ الضِّيافة تُتَّخذ عند السُّرور والفرح لا عند الحزن والتَّرح.

ويحرم رفع الزَّلَّة[٨] إلَّا بإذن صاحب المائدة؛ لأنَّه مأذونٌ بالأكل لا بالرَّفع.

ولو ناول الضَّيف لقمةً من طعامه ضيفًا آخر، رُوي عن محمَّدٍ أنَّه لا يحلُّ للآخذ أنْ يأكل، بل يضع ثمَّ يأكل من المائدة؛ لأنَّه مأذونٌ بالأكل لا بالإعطاء، وقال عامَّة مشايخنا إنَّه يحلُّ له؛ لأنَّه مأذونٌ فيه عادةً لتعامل النَّاس في ذلك. وكذا لو ناول بعض الخَدَم الَّذي هو قائمٌ على رأسه جاز. ولا يجوز أنْ يعطي سائلًا أو إنسانًا دخل هناك لحاجةٍ. وكذا لو ناول شيئًا من الخبز واللَّحم كلب صاحب البيت أو غيره لا يَسَعه، ولو ناوله الطَّعام أو الخبز المحترق وَسِعه.

ويجوز لأهله أنْ يجمع كِسرات الخبز الَّتي لا يشتهي أهلها، [فله] أنْ يُطعم[٩] حَيَوانًا كالدَّجاجة والشَّاة، وهو أفضل، ولا ينبغي أنْ يُلقيها في النَّهر أو في الطَّريق، إلَّا إذا وضع لأجل النَّمل ليأكل النَّمل فيجوز.

---

(١) الحسن ابن زيادٍ: القاضي أبو عليٍّ اللُّؤلؤيِّ الكوفيِّ، من أصحاب الإمام أبي حنيفة، وكان أحد الأذكياء البارعين في الرَّأي، وروى عنه محمَّد بن سَمَاعَة، وصنَّف الكتب، ومنها: النَّفقات، والخراج، وأدب القاضي. مات سنة أربعٍ ومئتين. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ٢٧٥؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٩/ ٥٤٣- ٥٤٤؛ الزركلي، الأعلام، ٢/ ١٩١.

(٢) هناك مناسبةٌ قويَّةٌ بين الزَّواج والطَّعام، وهي أنَّهما من الحوائج الأصليَّة للإنسان. قال الكاساني: "والنِّكاح من الحوائج الأصليَّة للإنسان". بدائع الصنائع، ٧/ ٢٢٥.

(٣) كُتبت بالهامش.

(٤) أخرجه مسلم في المسند الصحيح المختصر، ٢/ ١٠٥٥، رقم (١٤٣٢).

(٥) الضِّيافة: القِرَى. لسان العرب، ابن منظور، ٦/ ١٧٠.

(٦) في الأصل: "عند".

(٧) تُرِك فراغٌ في الأصل بمقدار كلمةٍ.

(٨) الزَّلَّة: اسم لِما يُحمل من المائدة لقريبٍ أو صديقٍ. يُقال: اتَّخذ فلانٌ زلَّةً: أي طعامًا للنَّاس. لسان العرب، ابن منظور، ١١/ ٣٠٧.

(٩) في الأصل: "يعم".

بابُ معْرِفة الكَلام

الكلام[1] على ثلاثة أقسامٍ:

[١] منها ما يُكسَب به أجرٌ؛ كالتَّحميد والتَّمجيد والتَّسبيح ونحوه، وقد لا يُؤجَر عليه ويأْثَم به في حالٍ؛ كمَن ذكر اسم الله [تعالى][2] [٧/ ب] وسبَّح في مجلس الفِسْق؛ على أنَّه يعمل عمل الفِسْق، فهو حرامٌ يأْثَم به.

[فائدةٌ][3]: فكذلك التَّاجر لو فتح متاعه لمشتريه[4]، وسبَّح الله تعالى وصلَّى على نبِيِّه، وأراد بذلك إعْلَام المشتري جَودة متاعه يُكره، وكذا [يقول] فَقَّاعي عند فتح الفُقَّاع[5]: لا إله إلَّا الله، أو يقول: صلَّى الله على محمَّدٍ يأْثَم؛ لأنَّه يأخذ كذلك ثمنًا[6]. بخلاف العَالِم إذا أمر بالصَّلاة في المجلِس، أو الغَازي أمر بالتَّكبير حيث بَارَز لا يُكره؛ لأنَّه يذكر للتَّعظيم والتَّفخيم.

ولو سبَّح في مجلس الفِسْق على وجه الاعتبار، أو على نيَّة أنَّهم يشتغلون بالفِسْق وأنا أشتغل بالتَّسبيح، فهو حسنٌ ويؤجر عليه، كمَن سبَّح الله تعالى في السُّوق على عزيمة أنَّ النَّاس يشتغلون بأمور الدُّنيا وأنا أشتغل بالتَّسبيح، فهو أفضل من تسبيحه وَحْده في غير السُّوق.

---

(١) يمكن أنْ يُطرح هنا التساؤل الآتي: ما الرابط بين موضوع المخطوط (الكَسْب) والأبواب السابقة (الأكل، والكُسْوة، والإطعام)، وبين باب معرفة الكلام؟

والجواب هو أنَّ الكلام من جملة الحاجات الضَّروريَّة للإنسان في توفير مستلزمات معاشه، فكما أنَّه محتاجٌ للاجتماع والتَّعاون في قضاء حاجاته، كذلك هو محتاجٌ للألفاظ والإشارات، جاء في كتاب الإبهاج في شرح المنهاج ما يأتي: "وقد خَلق الله نوع الإنسان وصيَّره محتاجًا إلى أمورٍ لا يستقلُّ بها، بل يفتقر إلى المعاونة عليها، ولا بدَّ في المعاونة من الاطِّلاع على مضمرات النُّفوس؛ وذلك إمَّا باللَّفظ أو بالإشارة أو بالمثال". ١/ ١٩٤؛ وجاء في شرح الكوكب المنير ما يأتي: "ولَمَّا خَلق الله تعالى النَّوع الإنسانيَّ وجعله محتاجًا لأمورٍ لا يستقلُّ بها، بل يحتاج فيها إلى المعاونة: كان لا بدَّ للمعاون من الاطِّلاع على ما في نفس المحتاج بشيءٍ يدلُّ عليه: من لفظٍ، أو إشارةٍ، أو كتابةٍ، أو مثالٍ، أو نحوه ... فكلُّ واحدٍ قصَر وقته على حِرْفةٍ يستقلُّ بها؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من الخلْق لا يمكنه أنْ يقوم بجملة مقاصده. فحينئذٍ لا يخلو من أنْ يكون محلُّ حاجته حاضرةً عنده أو غائبةً بعيدةً عنه، فإنْ كانت حاضرةً أشار إليها، وإنْ كانت غائبةً فلا بدَّ له من أنْ يدلَّ بشيءٍ على محلِّ حاجته. فوضعوا الكلام دلالةً". ١/ ١٠٠-١٠١.

(٢) كُتبت بالهامش.

(٣) كُتبت بالهامش.

(٤) في الأصل: "ليشتريه".

(٥) الفُقَّاع: "شرابٌ يُتَّخذ من الشَّعير، وسُمِّي فُقَّاعًا لِما يعلوه من الزَّبد". شمس العلوم، اليمني، ٨/ ٥٢٣١.

(٦) الثَّمن: ما تراضى عليه العاقدان في مقابلة المبيع، سواءٌ زاد على القيمة أو نقص. رد المحتار، ابن عابدين، ٤/ ٥٧٥.

والتَّرجيع[1] بقراءة القرآن، قيل: لا بأس؛ لقوله عليه السَّلام: "زيِّنوا القرآن بأصواتكم"[2]، وقال عليه السَّلام: "ليس منَّا مَن لم يتغنَّ بالقرآن"[3]، وقال عامَّة مشايخنا بأنَّه مكروهٌ، ولا يحلُّ الاستماع إليه؛ لأنَّ فيه تشبُّهًا بفعل الفَسَقة في حال فِسْقِهم، وهو التَّغنِّي، وليس هذا[4] كان في الابتداء؛ ولهذا يُكره هذا النَّوع في الأذَان.

وكره أبو حنيفة [٨/ أ] رحمه الله قراءة القرآن عند القُبور، وعند محمَّدٍ لا يُكره، ومشايخنا أخذوا بقول محمَّدٍ، وينفع الميِّت بورود الآثار بقراءة آية الكرسيِّ، وسورة الإخلاص والفاتحة، ونحو ذلك عند القُبور، ولا يُكره التَّسبيح والتَّهليل ونحوه.

وذُكر عن الحسن أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم "كان يكره رفع الصَّوت عند التَّلبية، وعند قراءة القرآن، وعند الجنائز، والقِتال، والذِّكر"[5]؛ أي: الوعظ، ففيه كراهة رفع الصَّوت عند سماع القرآن، فما ظنُّك عند الغناء، وهو الَّذي يسمُّونه المتصوِّفة وَجْدًا[6].

[٢] ومنها ما يكتسِب وِزْرًا وإثْمًا؛ كالكذب والنَّميمة والغِيبة والشَّتيمة.

[فائدةٌ][7]: والكذب محظورٌ إلَّا في القِتال مع العَدوِّ للخُدعة، وفي الصُّلح بين اثنين، وفي إرضاء الرَّجل أهله، وفي دفع الظَّالم عن المظلوم؛ لقوله عليه السَّلام: "لا يصلح الكذب إلَّا في ثلاثٍ؛ في الصُّلح بين اثنين، وفي القِتال، وفي إرضاء الرَّجل أهله"[8].

والتَّعريض بالكذب بغير حاجةٍ، كما إذا قيل له كُلْ هذا الطَّعام، فقال: أكلت، يريد به الأكل بالأمس، قيل: لا بأس به، وقيل: يُكره؛ لأن اللَّفظ ظاهره الكذب وإنْ يحتمل الصِّدق.

(١) التَّرجيع: "هو التَّرديد في الصَّوت". تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٧٩؛ "وقيل: التَّرجيع تحسين التِّلاوة لا ترجيع الغِناء". عمدة القاري، العيني، ٢٠/ ٧٨.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، ٢/ ٧٤، رقم (١٤٦٨) والنسائي في لمجتبى، ٢/ ١٧٩، رقم (١٠١٥) وابن ماجه في سننه، ١/ ٤٢٦، رقم (١٣٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في الجامع المسند الصحيح، ٩/ ١٥٤، رقم (٧٥٢٧).

(٤) في الأصل: "ولهذا".

(٥) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف نحوه، بلفظ: "أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان يكره الصَّوت عند ثلاثٍ: عند الجنازة، وإذا التقى الزَّحفان وعند قراءة القرآن". ٢/ ٤٧٤، رقم (١١٢٠٤)؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، بلفظ: "أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان يكره الصَّوت عند القتال". ٢/ ١٢٧، رقم (٢٥٤٤).

(٦) "الوَجْد: المحبَّة. يُقال وجد بفلانة وجْدًا شديدًا: إذا أحبَّها". شمس العلوم، اليمني، ١١/ ٧٠٧٨.

(٧) كُتبت بالهامش.

(٨) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج الترمذي في الجامع الكبير نحوه، بلفظ: "لا يحلُّ الكذب إلَّا في ثلاثٍ: يُحدِّث الرَّجل امرأته ليُرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليُصلح بين النَّاس". ٣/ ٣٩٥، رقم (١٩٣٩)؛ وأخرجه الإمام أحمد في المسند، بلفظ: "لا يصلح الكذب إلَّا في ثلاثٍ: كذب الرَّجل مع امرأته لترضى عنه، أو كذبٌ في الحرب، فإنَّ الحرب خَدْعةٌ، أو كذبٌ في إصلاحٍ بين النَّاس". ٤٥/ ٥٧٤، رقم (٢٧٥٩٧).

وكذا الغِيبة حرامٌ إلَّا في حالٍ، وهو[٨/ ب] أنْ يكون رجلًا يضرُّ بالنَّاس باليد واللِّسان، فلا غِيبة في ذِكره؛ لقوله عليه السَّلام: "اذكر الفاجر بما فيه لكي يحذره النَّاس"(١)، وإنْ أعلَم السُّلطان ليزجره فلا إثْم عليه.

[فائدةٌ](٢): ولو اغتاب أهل قريةٍ لم يكن غِيبةً حتَّى يُسمِّي قومًا معروفين؛ لأنَّه لا يريد كلَّ أهل القرية فكان المراد مجهولًا، ولا غِيبة إلَّا للمَعْلومين.

ثمَّ ظنُّ المؤمن على نوعين:

[أ] ظنٌّ هو إثْمٌ: وهو ظنُّ السُّوء بالله تعالى؛ بأنْ يظنَّ أنْ لا يرزقه ولا ينصره عاجلا(٣)، وإنَّه حرامٌ؛ لقوله عليه السَّلام: "لا يموتنَّ أحدكم إلَّا وهو حسن الظَّنِّ بالله تعالى"(٤)، وكذا سوء الظَّنِّ بالمسلم الَّذي ظاهره العدالة محظورٌ.

وحُسن الظَّنِّ مأمورٌ به؛ لقوله عليه السَّلام: "أحسنوا الظَّنَّ بالمسلم"(٥).

[ب] وظنٌّ هو مباحٌ: وهو ما بالقلب من خواطر الظُّنون؛ لأنَّ ذلك ممَّا لا يملكه الإنسان، وقد قال عليه السَّلام: "إذا ظننتم فلا تُحقِّقوا"(٦).

فعلى هذا لو خطر بقلبه أنَّه ليس بمؤمنٍ وأنْكَر من ساعته فهو مؤمنٌ؛ لأنَّه لا يمكنه التَّحرُّز عنه، فإنْ استقرَّ قلبه عليه فقد كفر.

[٣] ومنها ما لا أجْرَ ولا وِزْر فيه؛ كقول الرَّجل: تعال وهلُمَّ وقم واقعد، وقد جعله محمَّدٌ معطَّلًا، وهل يُكتب عليه؟

قيل: لا يُكتب عليه أصلًا، وقد [٩/ أ] رُوي عن محمَّدٍ ما يدلُّ عليه، فإنَّه قال: أخبرني هشامٌ عن عِكرمة عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: "إنَّ الملائكة لا تكتب إلَّا ما كان فيه أجْرٌ أو وِزرٌ"(٧)، وقيل: يُكتب

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج الطبراني في المعجم الأوسط نحوه، بلفظ: "خطبهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: "حتَّى متى تُرْعَوْن عن ذكر الفاسق؟ هَتِّكُوه حتَّى يحذرَه النَّاس". ٤/ ٣٣٨، رقم (٤٣٧٢)؛ وأخرج الطبراني في المعجم الكبير، بلفظ: "ليس للفاسق غِيبةٌ". ١٩/ ٤١٨، رقم (١٠١١).

(٢) كُتبت بالهامش.

(٣) في الأصل: "إمَّا عاجلًا".

(٤) أخرجه مسلم في المسند الصحيح المختصر، ٤/ ٢٢٠٥، رقم (٢٨٧٧).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف عليه بهذا اللَّفظ، لكن أخرج الطبراني في المعجم الكبير نحوه، بلفظ: "إذا حسدْتَ فاستغفر الله، وإذا ظننتَ فلا تُحقِّق، وإذا تطيَّرت فامْض". ٣/ ٢٢٨، رقم (٣٢٢٧).

(٧) لم أقف عليه.

ذلك ثمَّ يُستنسَخ متى قُوبل ما كُتب عليه في اللَّوح المحفوظ كلَّ اثنين وخميس، فما كان فيه جزاء خيرٍ وشرٍّ ثبت، وإلَّا فيُطرح.

[فائدةٌ][1]: قال أبو حنيفة: ليس للجِنِّ ثوابٌ، خلافًا لابن أبي لَيْلى[2].

فصل

وإذا أدَّى ما افترض الله تعالى عليه، ثمَّ أحبَّ أنْ يتنعَّم في الدُّنيا بمنظرٍ حسنٍ وجواري جميلةٍ لا بأس به. وكذا لا بأس أنْ يستر بيته بالسِّتر، وذكر محمَّدٌ في "السِّير الكبير": ويُكره إرخاء السِّتر على البيت لأنَّه زينةٌ وتكبُّرٌ، ولا بأس بأنْ يستر حيطان البيت باللُّبُود ونحوه للبَرد، وللزِّينة يُكره؛ لأنَّه تشبيهٌ بالكعبة، ثمَّ قال: وإنْ قنِع بأدنى الكِفَاية[3]، وصرف الفضُول إلى [ما ينفعها][4] في الآخرة كان أفضل وأحْرى؛ لأنَّ ما عند الله خيرٌ وأبْقى.

تمَّ الكتاب بعون الله المَلِك الوهَّاب

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا

الخاتمة

توصَّل البحث إلى النَّتائج الآتية:

أ/ يكشف تأخُّر تحقيق هذا المخطوط إلى هذا الوقت عن قصور الاهتمام بعلم الاقتصاد الإسلاميِّ، وخاصَّةً دراسات تاريخ الفكر الاقتصاديِّ منه، مقارنةً بالأهمِّيَّة الَّتي حظيت بها موضوعات التَّمويل والاستثمار في النِّظام الاقتصاديِّ الإسلاميِّ.

ب/لا تخرج الأفكار والمصطلحات الَّتي عرض لها الإمام محمَّدٌ عن موضوعات التَّحليل الاقتصاديِّ الجزئيِّ.

ج/يؤكِّد الكتاب على دخول القيم إلى علم الاقتصاد، ويقدِّم أنموذجًا عن الكتابة الأخلاقيَّة الاقتصاديَّة.

---

(١) كُتبت بالهامش.

(٢) ابن أبي ليلى (٧٤-١٤٨هـ): محمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي ليلى، الكوفيُّ، القاضي، ومن أصحاب الرَّأي. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٤/ ١٧٩-١٨١؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ٣/ ٩٦٧.

(٣) في الأصل: "الكَفَاف". والكَفَاف: "هو المنزل والخادم وثياب البَدَن". العناية، البابرتي، ٤/ ٤٦٧، أو هو: "منزلٌ يسكُنه، وثوبٌ يلبسُه ويستر عورته، وقُوت يومِه". درر الحكام، ملَّا خسرو، ٢/ ٤١.

- يبدو من هذه التَّعاريف للكفاف أنَّه ما كان على قدْر النَّفقة والحاجة دون زيادةٍ أو نُقصانٍ، يُقال: نفقته كفافٌ؛ أي: ليس فيها فضْلٌ ولا نقْصٌ. لسان العرب، ابن منظور، ٩/ ٣٠٦. وبناءً على هذا المعنى للكَفَاف أثبتنا في المتن مصطلح "الكِفَاية"؛ لأنَّ عيشة الكَفَاف ليس لها مستوياتٌ حتَّى نقول: "أدنى الكَفَاف"، وإنَّما هي درجةٌ واحدةٌ.

(٤) يوجد طمسٌ بالسَّواد فوق هذه الكلمة بالأصل.

د/ وبناءً على ما سبق، يقدِّم الكتاب مجموعةً من المصطلحات الاقتصاديَّة الإسلاميَّة، وهذه المصطلحات حُبلى بالقيم الإسلاميَّة، الأمر الَّذي يعني ضرورة المحافظة على هذه المصطلحات في الكتابات الاقتصاديَّة الإسلاميَّة المعاصرة ما أمكن؛ لتكون هذه الكتابات ذات منهجيَّةٍ أخلاقيَّةٍ اقتصاديَّةٍ إسلاميَّةٍ خاصَّةٍ.

هـ/غفلت شروح كتاب الكَسْب عن بيان الكثير من الأفكار والأحكام الَّتي وردت في متن الكتاب الأصل، مثل (باب معرفة الكلام)، ويمكن تفسير ذلك أنَّهم لم يروا في هذا الباب صِلةً بموضوع الكَسْب.

وهذا يعني أنَّ الشروح لم تُغنِ عن المتن، وأنَّ شروح كتاب الكَسْب لم تستطع الكشف عن عمق مفهوم الكَسْب عند الإمام محمَّدٍ بن الحسن.

المصادر والمراجع

- الإبهاج في شرح المنهاج. آل السبكي (علي ووَلَده عبد الوهاب). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. محمد ابن حبان. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- أخبار أبي حنيفة وأصحابه. الحسين بن علي الصيمري. بيروت: عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- الاختيار لتعليل المختار. عبد الله بن محمود الموصلي. القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.
- أدب الدنيا والدين. علي بن محمد الماوردي. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.
- الأعلام. خير الدِّين الزركلي. بيروت: دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- الاكتساب في الرزق المستطاب. محمود عرنوس "تحقيق". بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الإمام محمد بن الحسن الشيباني نابغة الفقه الإسلامي. علي الندوي. دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق. زين الدِّين بن إبراهيم ابن نجيم. بيروت: دار الكتاب الإسلامي، ط٢، [د.ت].
- البحر الزخار (مسند البزار). أحمد البزار. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٩٨٨- ٢٠٠٩م.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. أبو بكر بن مسعود الكاساني. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنه. محمد زاهد الكوثري. (٩) من تراث الكوثري. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- البناية شرح الهداية. بدر الدِّين العيني. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- تاج العروس من جواهر القاموس. محمد الزبيدي. تحقيق: مجموعة من المحققين. [د.م]: دار الهداية، [د.ت].

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.
- تاريخ الفكر الاقتصادي. سعيد النجار. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٣م.
- تاريخ بغداد. أحمد بن علي الخطيب البغدادي. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق. عثمان بن علي الزيلعي. القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١٣هـ.
- تدوين الفقه الحنفي وأثره في تدوين فقه المذاهب. محمد السيد الدسوقي. حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية- جامعة قطر. العدد (٢٠)، ٢٠٠٢م.
- تفسير القرآن العظيم. إسماعيل ابن كثير. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. [د.م]: دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- التنوير الأبصار وجامع البحار. محمد بن عبد الله التمرتاشي. تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- التنوير شرح الجامع الصغير. محمد بن إسماعيل الصنعاني. تحقيق: محمد إبراهيم. الرياض: مكتبة دار السلام، ط١، ٢٠١١م.
- الجامع الكبير (سنن الترمذي). محمد بن عيسى الترمذي. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.
- الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري). محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. [د.م]: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الجامع الوجيز (الفتاوى البزازية). محمد بن محمد البزاز. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية. عبد القادر القرشي. تحقيق: عبد الفتاح الحلو. [د.م]: دار هجر، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- الحاوي القدسي في فروع الفقه الحنفي. أحمد بن محمود القاضي الغزنوي. تحقيق: صالح العلي. دمشق: دار النوادر، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- درر الحكام شرح غرر الأحكام. محمد بن فرامرز ملَّا خسرو. بيروت: دار إحياء الكتب العربية، [د.ت].
- رد المحتار على الدر المختار. محمد أمين ابن عابدين. بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- رسائل إخوان الصفا. الهند: مطبعة نخبة الأخيار، ١٣٠٥هـ.
- سنن ابن ماجه. محمد بن يزيد ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. [د.م]: دار إحياء الكتب العربية، [د.ت].
- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث أبو داود. تحقيق: محمد محيي الدِّين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، [د.ت].
- سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد الذهبي. مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- شرح الكوكب المنير. محمد بن أحمد النجار. تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد. الرياض: مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- شرح مختصر الطحاوي. أحمد الجصاص. تحقيق: عصمت الله عنايت الله محمد وآخرون. [د.م]: دار البشائر الإسلامية ودار السراج، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. محمد بن أبي بكر ابن قيِّم الجوزية (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد اليمني. تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون. دمشق/ بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد أبو نصر الفارابي. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الطبقات الكبرى. محمد ابن سعد. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٦٨م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بدر الدِّين العيني. بيروت: دار إحياء التراث العربي، [د.ت].
- العناية شرح الهداية. محمد البابرتي. بيروت: دار الفكر، [د.ت].
- فتح القدير. محمد بن عبد الواحد الكمال ابن الهمام. بيروت: دار الفكر، [د.ت].
- الفكر الاقتصادي عند الإمام محمد بن الحسن الشيباني. أحمد سليمان محمود الخصاونة. رسالة

ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة اليرموك/ الأردن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- كتاب العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. القاهرة: دار ومكتبة الهلال، [د.ت].
- كتاب الكسب. عبد الفتاح أبو غدة "اعتنى به". بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة). عبد الله ابن أبي شيبة. تحقيق: كمال يوسف الحوت. الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ.
- الكسب. سهيل زكار "تحقيق وتقديم". دمشق: نشر وتوزيع عبد الهادي حرصوني، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي. عبد العزيز البخاري. بيروت: دار الكتاب الإسلامي، [د.ت].
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. عبد الرحمن السيوطي. تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- لسان العرب. محمد ابن منظور. بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
- لسان الميزان. أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م.
- المبسوط. محمد بن أحمد السرخسي. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- المجتبى (السنن الصغرى). أحمد بن شعيب النسائي. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. حلب: نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- المحيط البرهاني في الفقه النعماني. محمود بن أحمد ابن مازة البخاري. تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية. علي عبد الوهاب. القاهرة: دار السلام، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المفاتيح. علي بن محمد ملّا علي القاري. بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- المستدرك على الصحيحين. محمد بن عبد الله الحاكم. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

- مسند الشهاب. محمد بن سلامة القضاعي. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم). مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، [د.ت].
- المسند. الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- المسند. الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- المعجم الاقتصادي الإسلامي. أحمد الشرباصي. بيروت: دار الجيل، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- المعجم الأوسط. سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين، [د.ت].
- المعجم الصغير. سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير. بيروت/ عمان: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- المعجم الكبير. سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، [د.ت].
- معجم ديوان الأدب. إسحاق بن إبراهيم أبو إبراهيم الفارابي. تحقيق: أحمد مختار عمر. مراجعة: إبراهيم أنيس. القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- معجم مقاييس اللغة. أحمد ابن فارس. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- المغرب في ترتيب المعرب. ناصر المطرزي. بيروت: دار الكتاب العرب، [د.ت].
- المفردات في غريب القرآن. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق/ بيروت: دار القلم والدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ.
- المكاسب والورع والشبهة وبيان مباحها ومحظورها واختلاف الناس في طلبها والرد على الغالطين فيه. الحارث المحاسِبي. تحقيق: نور سعيد. بيروت: دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٢م.
- منحة السلوك في شرح تحفة الملوك. بدر الدِّين العيني. تحقيق: أحمد عبد الرزاق الكبيسي. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

- الموضوعات. عبد الرحمن ابن الجوزي. تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- النهر الفائق شرح كنز الدقائق. عمر بن إبراهيم سراج الدِّين ابن نجيم المصري. تحقيق: أحمد عزو عناية. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- الهداية في شرح بداية المبتدي. علي بن أبي بكر المرغيناني. تحقيق: طلال يوسف. بيروت: دار إحياء التراث العربي، [د.ت].
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أحمد بن محمد ابن خلكان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صار، ١٩٩٤م.

رســـــالة فيمن تولى الصعيد من الأمـــــرا
لمؤلف مجهول
كان حيا عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م

رسـالة فيمن
تولى الصعيد
من الأمـرا
لمؤلف مجهول
كان حيا عام
١١٠٥هـ/
١٦٩٣م

دراسة وتحقيق

د. محمد عبد السلام عباس إبراهيم

مصر

كانت ناحية جرجا بصعيد مصر خلال العصر المملوكي الجركسى من النواحي الهامة التي صارت في إقطاع العربان من قبائل هوارة؛ حيث قام السلطان المملوكي الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٩م) ثم (٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٩٠-١٩٩٩م) بإقطاع قبيلة هوارة تلك الناحية فعمروها واستزرعوا أراضيها بعد أن كانت خرابا واستوطنوها بعد أن قام السلطان برقوق بنقلهم من البحيرة إلى صعيد مصر.

ولم يلبث أن سطع نجم مدينة جرجا، بل ونازعت مكانة مدينة أسيوط التي كانت مقرا لنائب الوجه القبلي بجانب ولاية أسوان، وبرزت في هذا الخصوص أسرة بني عمر الهواري على مسرح الحوادث السياسية، ولعبوا دورا سياسيا واضحا، بل وتمكن أحد أمرائهم من هزيمة الأمير يلبغا الأحمدي المجنون، الذي خرج على طاعة السلطان فرج بن برقوق (٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٨-١٤٠٥)، ثم (٨٠٨-٨١٥هـ/١٤٠٥- ١٤١٢) في عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، واستطاع هزيمته، ولكن بعد ذلك وفى عهد السلطان خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م) اضطربت الأحوال في أقاليم الصعيد، وخرج أمراء هوارة عن طاعة السلطان، وثاروا على كاشف أسيوط، ولكنهم مع ذلك ظلوا يتعاقبون على حكم جرجا وزعامة القبيلة الهوارية حتى نهاية العصر المملوكي في عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م.

ولما دخل السلطان العثماني سليم الأول أرض مصر في ٩٢٣هـ/١٥١٧م استنجد السلطان طومان باى (٩٢٢- ٩٢٣هـ/ ١٥١٦- ١٥١٧م) آخر سلاطين المماليك بحكام جرجا من أسرة بني عمر الهواري، إلا أنهم رفضوا مناصرته في حربه ضد العثمانيين، بل ولم يعترفوا بسلطنته كما يظهر من ثنايا المخطوط، ومن ثم ظلوا بعد دخول العثمانيين لمصر يتوارثون حكم جرجا، بل وأصبحت جرجا من أهم ولايات الصعيد في العصر العثماني.

وتتناول هذه الدراسة الماثلة تحقيق المخطوط الذي يوضح أسماء حكام ولاية جرجا منذ عصر السلطان المملوكي قانصوه الغوري وحتى عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م، وترجع أهمية دراسة هذا المخطوط في كونه كتب على يد أحد أبناء ولاية جرجا كما يتبين من مطالعته ودراسته، وخلال فترة مبكرة قبل ظهور المؤلفات الموسوعية التي تناولت التاريخ المصري في تلك الفترة بشكل تفصيلي أكثر وضوحا كمؤلفات الملوانى (ت: ١١٣١هـ/١٧١٨م) والدمرداشى (ت: بعد ١١٦٩هـ/١٧٥٥م) والجبرتي (ت: ١٢٤١هـ/١٨٢٥م) وغيرهم، فضلا عن وجود بعض المعلومات الأكثر وضوحا في ذكر بعض القضايا التاريخية بين المخطوط والمصادر التي تناولت ذلك.

ولعل قلة عدد أوراق المخطوط وعدم وجود نسخ أصلية أخرى له بخلاف النسخة الوحيدة المحفوظة بمكتبة الأزهر الشريف بالقاهرة والنسخة المنقولة عنها بدار الكتب المصرية بالقاهرة، فضلا عن ركاكة اللغة المكتوب بها المخطوط، والتي تكاد تكون لهجة عامية في كثير من المواضع هو ماجعل

الكثير من الباحثين يعزفون عن دراسته وتحقيقه.

وقد حاول الباحث جاهدا آملا في أن يصادفه التوفيق في استجلاء طريقة كتابة المخطوط ومؤلفه وناسخه ومن كتب برسمه مع توضيح الشخصيات والمعلومات والقضايا التاريخية الواردة بالمخطوط ومثيلاتها التي وردت في المصادر التاريخية للوقوف على صورة هي أقرب للحقيقة التاريخية.

١- الأوضاع السياسية في بلاد الصعيد خلال عصري المماليك الجراكسة والعثمانيين حتى عام ١١٠٥هـ/١٦٩٢م:

يحتل صعيد مصر مساحة كبيرة من جملة المساحة المصرية في المسافة الممتدة من جنوب الفسطاط إلى أسوان، إذ يصفه صاحب كتاب تقويم البلدان بقوله " ويسمى ما علا عن الفسطاط على جانبي النيل بالصعيد، وما سفل عنه بالريف وطول الصعيد من أسوان إلى الفسطاط فوق خمس وعشرين مرحلة وعرضه ما بين نصف يوم إلى يوم" (١)، وقد سمى الصعيد بهذا الاسم، لأن أرضه كلما أخذت في الجنوب بدأت في الصعود والارتفاع، وهو اسم يطلق على جانبي النيل بينه وبين الجبلين الشرقي والغربي في المساحة من مصر القديمة إلى أسوان، (٢) وتتبع بلاد الواحات بلاد الصعيد، وهي مقسمة ثلاثة أقسام، هي واح البهنسا، وواح الداخلة، وواح الخارجة. (٣)

ويطلق علي تلك المنطقة أيضا مسمى" الوجه القبلي"، وذلك لأنها تقع في جنوب وادي مصر، وتشمل العديد من الأقاليم، والتي تغيرت مسمياتها على طول امتداد العصور مابين كور وأعمال وولايات ومحافظات على طول امتداد الفترة التاريخية منذ الفتح العربي، وهى: الجيزية(٤)،

(١) أبو الفدا: تقويم البلدان، دار صادر، بيروت. لبنان (د. ت)، ص ١٥٣.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٢، ج٣، ص ٣٨٠؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة ١٩٩٦، ج١، ص١١٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،المؤسسة المصرية للطبع والنشر (د. ت)، ج٩، ص٤٣، حاشية رقم ٣.

(٣) ابن مماتي: قوانين الدواوين، تحقيق د/ عزيز سوريال عطية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة١٩٩١، ص١٩٩، ٢٠٠؛ ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٤، ص٣.

(٤) الجيزية: هي إحدى الأقاليم الإدارية بالصعيد، وأول أقاليمه شمالا، عرفت في العصرين الأيوبي والمملوكي باسم عمل الجيزية، ثم أصبحت بعد ذلك تعرف باسم" ولاية الجيزة"، وهى الآن تعرف باسم محافظة الجيزة. محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤، ج ٣، ق٢، ص٦.

الأطفيحيـة[١]، الفيومية[٢]، البهنساوية[٣]، الأشمونين[٤]، الأسيوطية[٥]، الأخميمية[٦]، القوصية[٧]، والتي تشمل عمل أسوان[٨] .

وترجع أهمية الوجه القبلي إلى ماتمتع به من موقع جغرافي فريد؛ حيث كان له أثره الإيجابي على تجارة مصر الداخلية والخارجية، وفى هذا الشأن ازدهرت مدينتا قوص وأسوان، وكان لهما دورهما الريادي في التجارة بين الشرق والغرب وبين مصر وبلاد إفريقيا، وكانت مدينة قوص على وجه التحديد محطة هامة من محطات قوافل الحجيج، ولم يقتصر تاريخ الصعيد على ذلك فحسب، بل لعبت منطقة الصعيد دورا هاما في إثراء الحياة العلمية والدينية لمصر والعالم الإسلامي.[٩]

وقد كانت إمرة عربان الصعيد في العصر المملوكي تتركز في أقاليم البهنساوية والأشمونين والقوصية، ففي إقليم البهنساوية كانت إمرة العربان لأولاد زعازع وأولاد قريش، وكانت منازلهم تقع

---

(١) الأطفيحية: هي إحدى أقاليم الصعيد، عرفت أولا باسم" كورة أطفيح" ثم الأعمال الأطفيحية، ثم أصبحت أطفيح الآن مدينة ومركز بمحافظة الجيزة تتبعه عدة قرى على الشاطئ الشرقي للنيل. محمد أمين صالح: تاريخ الجيزة في العصر الإسلامي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٩١، ص٣٠.

(٢) الفيومية: يطلق هذا الاسم على أرض منخفض الفيوم، وهو أحد أقاليم الوجه القبلي وأقدمها،عرف أولا باسم " كورة الفيوم" ثم " الأعمال الفيومية، ثم "مديرية الفيوم" وهي الآن تعرف باسم محافظة الفيوم. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ج ٣، ق٢، ص١٣.

(٣) البهنساوية: هي قسم من أقسام الوجه القبلي، عرفت أولا باسم " كورة البهنسا " ثم الأعمال البهنساوية، والآن أصبحت البهنسا قرية من قرى مركز بني مزار بمحافظة المنيا. محمد رمزي: المرجع السابق، ج ٣، ق٢، ص٢١١، ٢١٢.

(٤) الأشمونين: قسم من أقسام الوجه القبلي كانت تعرف باسم "كورة الأشمونين" ثم "أعمال الأشمونين" ثم" ولاية الأشمونين"، ثم اختفى اسم الأشمونين من أقسام مصر الإدارية، وأصبحت الأشمونين قرية من قرى مركز ملوي بمحافظة المنيا. محمد رمزي: المرجع السابق، ج٣، ق٢، ص١١.

(٥) الأسيوطية: هي إحدى أقالـيم مصر الإدارية، وأسيوط هي مدينة كبيرة في غرب النيل. ياقوت الحموي: معجم البلدان في معرفة القرى والمدن والسهل والوعر والعمار والخراب من كل مكان، دار صادر، بيروت - لبنان (د. ت)، ج ١، ص ١٩٣، ج ١، ص ١٩٣.

(٦) الأخميمية: عرفت أولا باسم كورة أخميم بالصعيد (ياقوت الحموي:المصدر السابق،جـ١، ص١٢٣)، وأخميم الآن هي إحدى مراكز محافظة سوهاج. محمد رمزي: المرجع السابق، ج ٤، ق٢، ص ص٨٩، ٩٠.

(٧) القوصية: إحدى أقاليم الصعيد نسبة لمدينة قوص، عرفت أولا باسم كورة قوص، ثم الأعمال القوصية، ثم اختفى اسم القوصية وأنشئ بدلا منها ولاية جرجا، وأصبحت الآن قوص إحدى مراكز محافظة قنا. محمد رمزي: المرجع السابق، ج ٤، ق٢، ص١٨٧.

(٨) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٨٤، حاشية رقم ١٠.

(٩) محمود الحويرى: أسوان في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٨٠، ص٨٢؛ ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص٢.

بنويرة [١] ودلاص[٢]، بينما كانت إمرة العربان في الأشمونين لبنى ثعلب من السلاطنة وهم أولاد بني جحيش، من أبناء إسماعيل بن جعفر الصادق من عقب مولانا الإمام الحسين بن على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) وكانت منزلتهم في "دروة سربام " [٣] ،على حين كانت إمرة العربان في القوصية في بيتين هما قبيلة "بلى" وهم بنو شادي، وكانت منازلهم بالقصر الخراب المعروف بقصر بني شادي[٤] بالقوصية، والبيت الثاني هم بنو العجيل. [٥]

وكانت قبائل عربان هوارة من أشهر قبائل عربان الصعيد في العصر المملوكي، وقد قام السلطان المملوكي الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٩م) ثم (٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٩٠-١٩٩٩م) في عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م بنقلهم من البحيرة إلى صعيد مصر ثم انبسطت أيديهم في أقاليم الصعيد وأذعنت لهم سائر القبائل في الوجه القبلي، وصاروا طوع قيادتهم، وكانت إمرتهم في بيتين هما: أولاد عمر ومنازلهم إخميم، وأولاد غريب ومنازلهم دهروط[٦] وما حولها. [٧]

---

(١) نويرة: من القرى القديمة وهى الآن تسمى النويرة إحدى قرى مركز بني سويف بمحافظة بني سويف وتقع إلى الشمال الشرقي من ناحية إهناسية المدينة. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ج ٣، ق٢، ص ١٥٣.

(٢) دلاص: من القرى القديمة بالبهنساوية أسمها القبطي Tilodj وكانت تابعة لمركز الواسطى، وفى عام ١٩٣٦ صدر قرار بإلحاقها بمركز بني سويف لقربها منه. محمد رمزي: المرجع السابق، ج ٣، ق٢، ص ١٥٩، ١٦٠.

(٣) دروة سربام: هي البلدة التي تعرف اليوم باسم (ديروط الشريف) قاعدة مركز ديروط بمحافظة أسيوط . محمد رمزي: المرجع السابق، ق١، (البلاد المندرسة)، ص ٢١٥.

(٤) قصر بني شادي: المقصود بها قرية القصر، التي وردت في قوانين الدواوين باسم قصر بني كليب، وفى التحفة السنية باسم قصر بني كليب، وهو قصر بني شادي من الأعمال القوصية، وهى اليوم تعرف باسم "القصر "إحدى قرى مركز نجع حمادي بمحافظة قنا. ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص١٧١؛ ابن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٤، ص ١٩٤؛ محمد رمزي: المرجع السابق ج ٤، ق٢، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٥) القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦٧ - ٦٩.

(٦) دهروط: من القرى القديمة الواقعة غرب النيل بصعيد مصر، ويقول أهلها أن أصلهم من الأشراف المنتسبين إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه، ومن ثم تعرف بلدهم بالأشراف البكرية، وهى إحدي قرى مركز مغاغة بمحافظة المنيا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٢؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ج٣، ق٢، ص ٢٤٨.

(٧) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، ص٦٩؛ صلاح أحمد هريدى: دور الصعيد في مصر العثمانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤، ص٢٩٥؛ نوال طلال الشريف: الدور السياسي لعمر بن عبد العزيز الهواري وأبناءه بمصر المملوكية (٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق ٢٠١٠، ص١٥٨؛ أحمد محمود أبو حرام: ثورات العربان وأثرها على الحياة العامة في مصر زمن سلاطين المماليك، رسالة ماجستير، كلية الآداب سوهاج ١٩٨٩، ص١٥٨.

كما قام السلطان برقوق بإقطاع الأمير إسماعيل بن مازن زعيم عربان هوارة ناحية (دجرجا)[١] بإقليم الأخميمية وكانت خرابا فعمروها، إلا أنها أخذت منهم فيما بعد على يد السلطان المملوكي قايتباى المحمودى (٨٧٣-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٥م) وصارت في إقطاع الأمير يشبك الدوادار.[٢]

ولكن كان بإقطاع السلطان الظاهر برقوق لهم تلك الناحية قد تمكنوا من استغلال مساحات واسعة من الأراضي في الإنتاج الزراعي[٣]، وبدت قبيلة هوارة كما لو كانت قبيلة حدودية تحمى الطرف الجنوبي لصعيد مصر تحت إشراف السلطان الظاهر برقوق، وأسهمت بشكل أو بآخر في إضعاف قبائل بني الكنز، إذ وضعت بذلك حدا لنفوذهم في أسوان وشمال النوبة ومنطقة العلاقى وصحراء عيذاب، واتخذت هوارة من استصلاح الأراضي وزراعتها دعامة قوية لارتكاز نفوذها في صعيد مصر.[٤]

وكان يتولى الصعيد في عصر المماليك الجراكسة نائبا عن السلطان، أطلق عليه مسمى"نائب الوجه القبلي"، واتخذ من مدينة أسيوط مقرا له، وهي من الوظائف المستحدثة في عهد السلطان الظاهر برقوق، إذ لم تكن لها أهمية قبل ذلك لهدوء الأوضاع السياسية والأمنية في بلاد الصعيد، ولكن لما ازدادت الأخطار التي تهددت البلاد من جهة النوبة والحبشة فضلا عن تمرد العربان، استحدث الظاهر برقوق هذه الوظيفة إلى جانب وظيفة والى أسوان.[٥]

ومن الملاحظ أن الحكومة المركزية المملوكية في العصر الجركسى قد تخوفت من قوة عربان هوارة وغيرهم من عربان الصعيد، ولم تستطع قمع ثوراتهم المتكررة، ومن ثم لجأ السلطان برقوق إلى سياسة بث بذور الفرقة بين فرعى قبيلة هوارة من أولاد غريب أمراء عربان هوارة الشمالية في الأشمونيين والبهنساوية، وأولاد عمر أمراء عربان هوارة الجنوبية بجرجا وأخميم، ولهذا ولى السلطان

(١) دجرجا: من البلاد القديمة، وردت في التحفة السنية بهذا الاسم، وصارت مركزا من مراكز محافظة سوهاج منذ عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٤٠؛ ابن الجيعان: التحفة السنية، ص ١٨٩؛ محمد رمزي: المرجع السابق، جـ٤، ق٢، ص١١٣.

(٢) ابن الجيعان: المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٣) سعيد عثمان يونس: صعيد مصر في عصر المماليك البحرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب بقنا ١٩٩٥، ص١٨٤؛ صلاح أحمد هريدى: المرجع السابق، ص٢٩٥، أحمد محمد أبو حرام: المرجع السابق، ص١٥٨.

(٤) نسيم مقار: أضواء على تاريخ الهوارة، المجلة التاريخية المصرية العدد ٢٦، القاهرة ١٩٧٩، ص١٨٩؛ محمد عبد النعيم عبده: صحراء مصر الشرقية في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٩٣، ص١٨٨.

(٥) سعيد عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، القاهرة ١٩٧٠، ص٣٠١؛ ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص٢٤.

برقوق الأمير عمر بن عبد العزيز الهواري[١] نيابة الوجه القبلي بالإضافة إلى ولاية منفلوط.[٢]

ويشهد الواقع التاريخي أن أمراء العربان من بني عمر في صعيد مصر لعبوا دورا واضحا خلال العصر المملوكي الجركسى، وفى هذا الشأن تمكن الأمير محمد بن عمر الهواري[٣] من هزيمة الثائر الأمير يلبغا الأحمدي المجنون[٤]، الذي خرج على طاعة السلطان فرج بن برقوق (٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٨-١٤٠٥)، ثم (٨٠٨-٨١٥هـ/١٤٠٥- ١٤١٢) في عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، واستطاع الأمير عمر الهواري هزيمته، وقبض على جماعة من أصحابه، حتى هرب يلبغا، ونزل بفرسه إلى النيل فغرق، ثم طفت جثته بعد أيام على سطح النيل، فأرسل الأمير عمر الهواري رسالة إلى السلطان عن طريق متولي أعمال الأشمونيين يبشره بالقضاء على تلك الثورة.[٥]

وفى عهد السلطان خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م) اضطربت الأحوال، نتيجة تأليب السلطان الفئات المملوكية بعضها على البعض، واستخدم شغبهم في الاستيلاء على أموال الأغنياء والتجار، وهكذا أخلى الجو للمماليك الجلبان، فأخذوا يعيثون في الأرض فسادا ويقتلون الأبرياء، وباع السلطان خشقدم الوظائف علنا، وهدم موازيين العدالة، واضطربت الأوضاع في أقاليم الصعيد، وخرج ابن عمر أمير هوارة عن طاعة السلطان، وثار على يشبك من مهدي[٦] كاشف أسيوط[٧].

---

(١) هو ركن الدين عمر بن عبد العزيز الهواري، تولى إمرة هوارة بعد مقتل إسماعيل بن مازن، وهو جد أولاد بني عمر الذين تولوا إمرة عربان هوارة من بعده، وقد سار على نفس سياسة سلفه في محالفة السلطة المملوكية، وشارك في محنة السلطان الظاهر برقوق حتى عاد للسلطنة، كما حاول الانتقام من أبناء عمومته من أولاد غريب بمساعدة نائب السلطنة بالوجه القبلي، وظل يتولى إمرة عربان هوارة حتى وفاته عام٧٩٩هـ/١٣٩٧م. المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق/ عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩، ص٥٨؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق/ حسن حبشي، القاهرة ١٩٧٠،ج١، ص١٩٨؛ نوال طلال الشريف: الدور السياسي لعمر بن عبد العزيز الهواري وأبناءه، ص١٥٨، ح رقم ٩.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص٦٨؛ ابن حجر: إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ، تحقيق/ حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٩، ج١، ص٥١٢، ٥١٣؛ ماهر أحمد مصطفى: المرجع السابق، ص٥٦.

(٣) الأمير محمد بن عمر الهواري: هو أمير هوارة البندارى ابن الأمير عمر بن عبد العزيز؛ حيث تولى هو وابنه يوسف وولده إسماعيل إمرة هوارة القبلية بالصعيد.السخاوى: الذيل التام على دول الإسلام، تحقيق/ حسن إسماعيل، محمود الارناؤوط، دار العروة بالكويت بالتعاون مع دار ابن لقمان بلبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧، ج ٢، ص٥١.

(٤) يلبغا المجنون: هو يلبغا الأحمدي المؤيدى استادار العالية، وقد سمى المجنون لتهوره واندفاعه. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص١٢، حاشية رقم ٢.

(٥) ابن حجر: المصدر السابق،ج٢، ص١، ٦.

(٦) يشبك من مهدي:هو الأمير يشبك بن مهدي جقمق المعروف بالصغير، ترقى في الخدمة وشغل كشوفية الصعيد ونيابة الوجه القبلي، ودخل في حروب مع الهوارة، حتى توفى عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م. السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت- لبنان ١٩٩٢، ج١٠، ص٢٧٢- ٢٧٤.

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق/ محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٢، ج١، ق١، ص١٦٢؛ ماهر

وبعد وفاة السلطان خشقدم توالى عدد من سلاطين المماليك على حكم مصر كانت فيها الفتن متصلة واضطرابات العربان في صعيد مصر قائمة، وكان قد تولى زعامة هوارة جرجا العديد من أبناء وأحفاد الأمير عمر بن عبد العزيز الهواري مثل إسماعيل ويوسف وعيسى وداود بن سليمان بن عيسى حتى تولى إمرة هوارة جرجا الأمير علي بن عمر(١)، وصوابه علي بن منصور(٢) من بني عمر الهواري في ربيع الآخر عام ٩١٦هـ/١٥١٠م حتى وفاته عام ٩٢٩هـ/١٥٢٣م(٣)، وقد استنجد السلطان طومان باى بهوارة جرجا وطلب منهم مناصرته ضد العثمانيين، ولجأ إليهم في مقابل أن يرفع عنهم الخراج لمدة ثلاث سنوات، إلا أنهم رفضوا ذلك وقالوا في هذا الشأن" قد بلغنا أن الروم- يقصدون العثمانيين- تقاتل بالنار، ومن يطيق النار؟"، وقالوا أيضا" لا نستطيع أن نأوي من عصى السلطان لئلا نبتلى ببلائه".(٤)

ولما عاين الأمير علي بن عمر الهواري دخول العثمانيين مصر رأى أنه من المفيد تقديم الولاء للحاكم الجديد لمصر، كما أن السلطان العثماني سليم الأول لم يشأ أن يغير من النظم المملوكية التي وجدها بمصر، فسعى إلى استمالة الهواريين، وأقر الأمير على أميرا لهوارة جرجا، وحفظ السلطان سليم العثماني لأبناء عمر الهواري هذا الجميل لعدم موافقتهم إيواء طومان باى ورفضهم القتال إلى جانبه، فأبقاهم في حكم بلاد الصعيد.(٥)

وبعد الفتح العثماني لمصر عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م كانت هناك علاقات تبادلية بين العثمانيين وحكام جرجا، إذ جرت العادة أن يقدم حكام الأقاليم الهامة هدايا سنوية للباشا، فكان على حاكم جرجا أن يقدم هدية مكونة من الجواد والعبيد والجواري السود، وعدد من الجمال وكميات من العنبر والكافور وأشياء أخرى.(٦)

وعلى هذا الأساس سارت الدولة العثمانية في سياستها إزاء الصعيد وبخاصة قبائل العربان، الذين أعطتهم الدولة مساحات معينة من الأراضي نظير الحماية، إذ لم تكن هناك حاميات عسكرية قد أنشئت

أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص٤٤، ٤٥؛ وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة/ محمود عابدين، سليم حسن، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٥، ص١٦٦، ١٦٧.

(١) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣، ص٢٩٧، ج٤، ص٤٨٥

(٢) مجهول: رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا، مخطوط بالمكتبة الأزهرية رقم ٦٦٨٦/ تاريخ أباظة، ص ١؛ نوال طلال الشريف: الدور السياسي لعمر بن عبد العزيز الهواري وأبناءه، ص١٧٤.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق ،ج٣، ص٢٩٧، ج٤، ص٤٨٥؛ نوال طلال الشريف: المرجع السابق، ص١٧٤.

(٤) ابن زنبل الرمال: آخرة المماليك، تحقيق/ عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨، ص١٤٥.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٤٨٧؛ ليلى عبد اللطيف أحمد: الصعيد في عهد شيخ العرب همام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧، ص٤٤.

(٦) صلاح أحمد هريدى: دور صعيد مصر في مصر العثمانية، ص٨٧.

رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا لمؤلف مجهول كان حيا عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م

في الصعيد[١]، وكانت أقوى القبائل العربية في الصعيد هناك قبيلة عمر أوجلي، التي هي من أبناء عمر الهواري، وقد امتد نفوذ تلك القبيلة الهوارية من جرجا وحتى جنوب النوبة، وزرعوا الأراضي في تلك المنطقة وحصلوا ضرائبها بمقتضى اتفاقهم مع العثمانيين.[٢]

وطبقا للتقسيم الإداري الذي أوجده العثمانيون في الصعيد بعد الفتح العثماني لمصر، فقد كانت ولاية جرجا وعاصمتها جرجا من ضمن الخمس ولايات الكبرى في إطار التنظيم الإداري لمصر العثمانية، وحكم عربان هوارة الصعيد من المنيا حتى الشلال[٣]، ثم أصبحت ولايات الوجه القبلي بعد ذلك تتشكل من البهنسا والأشمونيين وأطفيح وجرجا وإقليم الواحات، التي كانت تعتمد في دخلها على الرسوم التي تجبى من سنار ودارفور، وذلك حتى عام ١١٠٠هـ/١٧٨٥م.[٤]

وعلى هذا كانت ولاية جرجا من أهم الولايات في الصعيد خلال العصر العثماني؛ لأنها لعبت أدورا كثيرة هامة في تاريخها، بل وشارك حكامها في الكثير من الأحداث التي شهدتها مصر العثمانية، وكان حكامها يديرونها لحسابهم، وكانوا يديرون جنبا إلى جنب مع قرى كشوفية الباشا بالولاية، وفى عام ١٠٨٢هـ/١٦٧١م انفصلت بعض القرى من كشوفية ولاية جرجا، وتعطل إرسال الغلال إلى الحرمين الشريفين بسبب سوء الأحوال الاقتصادية للبلاد وانتشار الطاعون[٥]، وفى عام ١٠٩١هـ/١٦٨٠م امتنع حاكم جرجا عن دفع العوائد المطلوبة، وذلك إبان ولاية عثمان باشا[٦] على مصر (١٠٩١-١٠٩٤هـ/١٦٨٠-١٦٨٣م)، ثم انتهى الأمر بالدفع بعد ذلك، وصدرت الأوامر بعودة القرى المفصولة إلى جرجا مرة أخرى عام ١١٠٣هـ/١٦٩١م، وكتب ذلك بحجج شرعية.[٧]

وقد بدا واضحا منذ بداية الحكم العثماني لمصر أن الهدف من توحيد الصعيد تحت إدارة حاكم جرجا كان هدفه تقوية ذلك الحاكم الذي كان رمزا للسلطات الحاكمة في القاهرة؛ حيث رأوا أن يجعلوه في

---

(١) نفس المرجع، ص٨٨.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٨٥؛ صلاح أحمد هريدى: المرجع السابق، ص٨٨.

(٣) ليلى عبد اللطيف: الإدارة في مصر في العصر العثماني، القاهرة ١٩٧٨، ص٣٨٢.

(٤) محمد شفيق غربال: مصر عند مفترق الطرق١٧٩٨-١٨٠١، القاهرة ١٩٣٨؛ صلاح أحمد هريدى: المرجع السابق، ص٩٨.

(٥) أحمد شلبي عبد الغنى الحنفي: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشاوات، تحقيق/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٧٨، ص١٧٠؛ صلاح أحمد هريدى: دور صعيد مصر، ص١١٦.

(٦) عثمان باشا: تولى هذا الرجل ولاية مصر في رمضان عام ١٠٩١هـ/١٦٨٠م، وظل واليا على مصر مدة ثلاث سنوات أي حتى عام ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م، وخلفه في ولاية مصر حمزة باشا. الملوانى: تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق/ محمد الششتاوى، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٩، ص١٥٣.

(٧) ابراهيم الصوالحي العوفي: تراجم الصواعق في واقعة الصناجق، تحقيق/ عصمت محمد حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠١٦، ص١٧١؛ صلاح أحمد هريدى: المرجع السابق، ص١١٦.

مركز قوى يمكنه من القضاء على أية بادرة للعصيان من جانب القبائل العربية الموجودة بالصعيد[١]، وقد تسابق أمراء البكوات المماليك على حكم ولايات الصعيد، ونظرا لأهمية منصب حاكم جرجا فقد كان تعيينه أو عزله لايتم إلا عن طريق الباشا[٢]، بل وكان منصب حاكم جرجا يلي في الأهمية شيخ البلد وزعيم المماليك في القاهرة؛ حيث كان والى جرجا يعين بمرسوم من الباشا، وبعد التعيين يلبس خلعة المنصب ويذهب إلى مقره في موكب كبير يحيط به الأمراء والأغوات والأوجاقات العسكرية[٣]، وكان حاكم جرجا يصحب معه عند تعيينه عدد من رجال الفرق العسكرية المختلفة بقوادهم وأعلامهم ليساعدوه في أداء المهام الموكولة إليه، بالإضافة إلى أنه كان يحيط نفسه بمماليكه الذين كان يصرف عليهم من ماله الخاص، وساعده أيضا قاضى الإقليم والمفتون على المذاهب الأربعة وأعيان الولاية من الملتزمين والعلماء.[٤]

٢- وصف المخطوط:

يوجد بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة مخطوط يحمل اسم" رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا"، ويتكون المخطوط من عدد ٤ ورقات بالإضافة إلى صفحة العنوان، وبمسطرة ١٥ سطرا، فيما عدا الصفحتان الأخيرتان، إذ بلغت مسطرة الصفحة قبل الأخيرة ١٢ سطرا، وبلغت مسطرة الصفحة الأخيرة ٨ سطور، وذلك بخلاف الصفحة الأولى التي تحوى عنوان المخطوط، وناسخه وتاريخ الانتهاء من كتابته، واسم من كتب برسمه المخطوط، وبلغ عدد مسطرة هذه الصفحة ١٧ سطر، ويبلغ حجم كل ورقة في المخطوط حوالي 30x21 سم، بحجم 15x21 سم لكل صفحة من صفحاته التسع، وقد اختصت الصفحة الأخيرة بذكر وقفة كاتب تتضمن معنى لحديث قدسي خارج عن مادة المخطوط كتبت بنوعية خط مغايرة، وطريقة كتابة مختلفة.

والمخطوط موجود في مجلد بقلم معتاد، وهو محفوظ ضمن المخطوطات الأزهرية بمكتبة الأزهر الشريف بالقاهرة، بمجموعة "تاريخ أباظة"، برقم خاص٣٩٣، ورقم عام٦٦٨٦ لمؤلف مجهول، وعلى المخطوط ختم بيضاوي عليه تاريخ سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، وبه إفادة بكون النسخة وقف لورثة

رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا لمؤلف مجهول كان حيا عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م

(١) صلاح أحمد هريدى: المرجع السابق، ص١١٨.

(٢) ابراهيم الصوالحي العوفي: المصدر السابق، ص١٨٥؛ صلاح أحمد هريدى: المرجع السابق، ص١١٨.

(٣) أحمد كتخدا عزبان الدمرداشى: الدرة المصانة في أخبار الكنانة، تحقيق/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨٩، ص١٦٩؛ صلاح أحمد هريدى: المرجع السابق، ص١٢٦.

(٤) أوليا جلبي: الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة، ترجمة/ حسين مجيب المصري، دار الآفاق العربية، بيروت- لبنان (د. ت)، ج١، ص ٥٨٢، ٥٨٣؛ صلاح أحمد هريدى: دور صعيد مصر، ص١٢٧.

"المغفور له سليمان باشا [1] أباظة بالجامع الأزهر".[2]

وتوجد بدار الكتب المصرية بالقاهرة نسخة منقولة من هذا المخطوط الموجود بالمكتبة الأزهرية، وتحمل عنوان"رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمراء الجراكسة"، ويبلغ عدد أوراقها ثلاث ورقات، بدون وقفة كاتب أو أية أدعية وابتهالات، وتتراوح مسطرتها مابين ١٨- ١٩ سطر، وهى محفوظة تحت رقم ١٣٥٤/ تاريخ تيمور، وقد قوبلت وروجعت على النسخة الموجودة بالمكتبة الأزهرية، وعلى صفحة العنوان يوجد ختم بيضاوي غير واضح القراءة، وفى بطاقة التملكات الخاصة بهذا المخطوط في أرشيف دار الكتب مايفيد بأن هذا المخطوط وقفه أحمد بن إسماعيل بن محمد بن تيمور[3] على دار الكتب المصرية في عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م.

٢- مؤلف المخطوط:

يتضح أن مؤلف هذا المخطوط هو شخص مجهول كان حيا في عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م، وقام بنسخه شخص يعرف باسم محمد بن عبد الله الأمير المالكي المذهب، مثلما يظهر من نعته لنفسه في صفحة العنوان، ولكن للأسف لاتوجد له ترجمة في المصادر المعاصرة لتلك الفترة أو المتأخرة عنها - المتاحة للباحث، ولكن بالبحث في كتب الأنساب وجد أن هناك عائلة في صعيد مصر تحمل مسمى" القاضي"، وهى إحدى أشهر بيوت قبائل الأنصار في جرجا من أولاد القاضي عبد الجواد الكبير المالكي[4]، ويتفرع عنها عدة بطون في فرشوط منهم بيت محمد العجوز، وبيت الأمير، وبيت عبد الله، وبالتالي

(١) هو سليمان باشا أباظة، عميد الأسرة الأباظية التي اشتهرت بولوع عدد كبير من أبنائها بالأدب والسفر واقتناء الكتب، وكان هذا الرجل شاعرا، ويتقن كتابة الرسائل على النسق البديعي، وتولى نظارة المعارف في عهد الخديوي توفيق، وقد خلَّف وراءه مكتبة فيها قرابة الألف وخمسمائة مُجلَّد تضمَّنت قرابة الألف مخطوطة جلُّها بخطِّ أكابر النسَّاخ، وتبرع بها ورثه للأزهر الشريف. أبو الوفاء المراغي: كلمة تاريخية عن المكتبة الأزهرية، مخطوط بمكتبة الأزهر الشريف، رقم ٥٥٢٩٩/ تاريخ، ص٣٧؛ نجيب توفيق: أشهر الأسرات الأدبية في مصر، دار العرب للبستاني، القاهرة ١٩٩٥، ص٩٣.

(٢) فهرس المكتبة الأزهرية، مطبعة الأزهر الشريف، القاهرة ١٩٤٩، ج٥، ص٤٥٣.

(٣) هو أحمد بن إسماعيل بن محمد بن تيمور، عالم بالأدب، باحث مصري مؤرخ، كان من أعضاء المجمع العلمي العربي، ولد بالقاهرة من أسرة ذات جاه كبير أصلها من الأكراد، وتلقى مبادئ التعليم في مدرسة فرنسية، وأخذ الأدب عن علماء عصره، وجمع مكتبة قيمة، وتوفيت زوجته وهو في عمر التسعة والعشرين عاما فلم يتزوج، وانقطع على خزانة كتبه إلى أن أصيب بفقد ابن له فجزع عليه ولازمته نوبات قلبية أودت بحياته في عام ١٩٣٠م، ونقلت مكتبته العامرة إلى دار الكتب المصرية. الزركلى: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان ٢٠٠٢، ج١، ص١٠٠.

(٤) هو القاضي العلامة عبد الجواد بن محمد بن أبى الجود الأنصاري الخزرجى الجرجاوي المالكي، مفتى جرجا والصعيد، طلب العلم بجرجا، ثم رحل إلى الأزهر الشريف وتلقى العلم على يد جماعة من العلماء، وتوفي عام ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م. أسامة السيد الأزهري: أسانيد المصريين جمهرة في المتأخرين من علماء مصر ومناهجهم وبيان سلاسل أسانيدهم وذكر أسانيدنا إليهم، الطبعة الأولى، دار الفقيه للنشر والبحوث، القاهرة ٢٠١١،ـ ص٤٦٩.

نجد أن بيت الأمراء بفرشوط هو إحدى بيوت عائلة القاضي الأنصاري.[١]

وعلى ذلك يرجح الباحث هنا أن ناسخ المخطوط المدعو محمد بن عبد الله الأمير ربما يكون أحد أبناء بيت الأمير بفرشوط من عائلة القاضي الأنصاري، وبالتالي فإن كلمة الأمير المتصلة باسمه وكنيته هي لقب عائلته وليس لقب وظيفي متعلق بتوليه هو أو أحد آبائه إمارة الصعيد، كما أن اللهجة المحلية التي كتب بها المخطوط أيضا تتطابق إلى حد كبير مع لهجة أهل الصعيد، مما قد يدفعنا إلى القول بأن مؤلف المخطوط من أبناء ولاية جرجا بصعيد مصر.

وقد كتب هذا المخطوط برسم "مولانا الأوحدي[٢] العريقي[٣] مولانا القاضي أحمد بن المرحوم مولانا القاضي عبد الكريم الأنصاري"، الذي ابتهل الناسخ بالدعاء له ولعائلته في صفحة العنوان، وذكر صفته بأنه قاضي ووالده كان قاضيا كذلك، ولكن للأسف أيضا لا توجد له ترجمة في أي من المصادر أو الوثائق المتاحة للباحث، ولكن بالبحث في سجلات محكمة جرجا في العصر العثماني، وجد أن هناك أسرة تسمى الأنصاري من عائلة القاضي بجرجا، واشتغل الكثير من أفرادها بالقضاء والكتابة بمحكمة جرجا وتسجيل الوثائق الشرعية بها[٤]؛ حيث تشير الكثير من الوثائق إلى أشخاص من نفس هذه الأسرة، كان منهم القاضي إسماعيل بن عبد الجواد الأنصارى، وولده القاضي مصطفى ابن إسماعيل بن عبد الجواد الأنصاري، والقاضي محمد بن محمد بن إسماعيل الأنصاري، والكاتب أحمد ابن عبد الله الأنصاري، ومنهم أيضا القاضي محمد حمودة أفندي الأنصاري القاضي بجرجا وأبريم[٥]، ومنهم كذلك محمد بن يوسف بن عبد الكريم الأنصاري (كان حيا عام ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م)[٦]، والذي ربما يكون ابن أخ للقاضي أحمد بن عبد الكريم الأنصاري ومن أسرته، وعلى ذلك أيضا من المرجح أن يكون ناسخ المخطوط محمد بن عبد الله الأمير المالكي الفرشوطى من أقارب القاضي أحمد بن

(١) ياسر حميد الأنصاري: تاريخ قبائل الأنصار في سائر البلدان والأقطار، المملكة العربية السعودية (د. ت)، ص٢٩٢.

(٢) الأوحدى: هو لقب يشير إلى أن صاحبه احتل درجة رفيعة بين أفراد الطائفة التي ينتمي إليها، وقد نعت به الإمام الشافعي من قبل. مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية- دراسة في تطور الألقاب والوظائف من الفتح العثماني حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٣٣٠.

(٣) العريقى: هو لقب من ألقاب ذوى الأصالة، وكان أكثر مايقع على المدنيين، والمراد ماله من عراقة في كرم الأصل، والنسبة إليه العريقى للمبالغة. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة ١٩٨٩، ص ٣٩٩.

(٤) محمود محمد شعلان: سجلات ومضابط محكمة جرجا الشرعية من عام ١٠٧٣هـ-١٦٦٢م إلى ١٣٢٨هـ-١٩١٠م دراسة أرشيفية وثائقية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر- فرع أسيوط ٢٠٠٤، ص٤٠، ٤١.

(٥) محمود محمد شعلان: سجلات ومضابط محكمة جرجا الشرعية، ص١٣٧.

(٦) ياسر حميد الأنصاري: تاريخ قبائل الأنصار، ص٢٨٦.

عبد الكريم الأنصاري بجرجا الذي كتبه برسمه.

ومن الملاحظ كذلك أن المؤلف المجهول سجل في بداية المخطوط أن مؤلفه هذا يتعلق بذكر ولاة الصعيد منذ أواخر العصر المملوكي وحتى الآن، على الرغم من وجود فترة زمنية تمتد نحو خمسة وعشرين عاما بين تاريخ نسخ المخطوط وانتهاء أحداثه التاريخية، إذ وقف خلاله المؤلف عند فترة تولى الأمير مصطفى بك ولاية جرجا، وحدد المؤلف تاريخ دخوله إليها في يوم الخميس الخامس من شهر شوال عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م، على حين كان تاريخ الفراغ من كتابة المخطوط في يوم الثلاثاء ١١ صفر الخير عام ١١٣١ هـ / الموافق سنة ١٧١٨ م، وهو ماجعل مصنف المخطوطات بالمكتبة الأزهرية يصنفه باسم مؤلف مجهول باعتبار محمد بن عبد الله الأمير ناسخا له برسم القاضي الأنصاري، وكما تنص على ذلك صراحة النسخة المنقولة بدار الكتب المصرية في نهايتها.

ويتضح من خلال استقراء طريقة كتابة المخطوط أن المؤلف من المنتمين لكتاب مدرسة الأجناد في العصر العثماني، والتي كان من مميزاتها أنها لم تكن لها أية خطة في كتابة الأحداث التاريخية، وطريقتها في الكتابة أميل إلى طريقة الكتابة الشعبية، وإن قدمت مادة تاريخية فريدة في أهميتها، وقد ازدهرت تلك المدرسة في مصر خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي وقبل ظهور كتابات الجبرتى، بل وتكاد تكون قد احتكرت كتابة التاريخ حتى ذلك الوقت وتحملت العناء الأكبر في كتابته، ومرجع ذلك كان بالأساس لكثرة حوادث الصراع والفتن بين الفرق العثمانية والبيوتات المملوكية، ويمثلها عدد كبير من المؤلفات مثل: كتاب" بيان ملوك عثمان نوابهم في مصر إلى غاية تاريخه" لمؤلف مجهول، وكتاب" تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب" ليوسف بن الوكيل المعروف بالملوانى، وكتاب" الدرة المصانة في أخبار الكنانة" لأحمد الدمرداشى كتخدا، وكتاب" تاريخ وقائع مصر من سنة ١١١٠ إلى سنة ١١١٥هـ" للحاج مصطفى تابع المرحوم حسن أغا عزبان دمرداش [١]، وكان الغالب على مدرسة الأجناد أيضا قلة مؤرخيها، لكنهم تمكنوا من رسم صورة واضحة للنفوذ الواسع الذي وصل إليه الأمراء المماليك خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين. [٢]

كما أن بعض المؤرخين في العصر العثماني وما أكثرهم كانوا يميلون إلى الكتابة بالأسلوب العامي مع كونهم أفاضل علماء عصرهم وسمو مكانتهم العلمية، والأمثلة على ذلك كثير، كما فعل المرادي في كتابه"سلك الدرر"، وغيره من المؤرخين. [٣]

---

(١) عبد الله محمد عزباوي: المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧، ص٩٩-١١١.

(٢) الجبرتى: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٩٧، ج١، مقدمة المحقق.

(٣) محمد التويجي: المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، عالم الكتب، سوريا ١٩٨٦، ص١٦٨.

٤- أهمية المخطوط:

يتناول هذا المخطوط أمراء جرجا في الفترة ما بين (٩٢٢ - ١١٠٥ هـ/ ١٥١٦ - ١٦٩٣ م)، وهي مدة تقارب ٨٣ عاما، تبدأ منذ أواخر عهد دولة المماليك الجراكسة زمن سلطنة السلطان قنصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥١٦م)، وتنتهي زمن خلافة السلطان العثماني أحمد الثاني بن إبراهيم الأول بن أحمد الأول بن محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني ابن السلطان سليمان القانوني، وهى فترة كبيرة تعاقب فيها الكثير من بني عمر الهواري والأمراء المماليك على حكم ولاية الصعيد وشهدت خلالها البلاد كثيرا من المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كما أن مؤلف المخطوط ذكر أن الأمير الذي تولى ولاية الصعيد منذ عصر السلطان الغوري ولمدة سبع سنوات خلال حكم العثمانيين هو الأمير علي بن منصور، علي حين أن بعض المصادر والمراجع المتعلقة بهذا الشأن تذكره باسم علي بن عمر(١)، ولكن صوابه علي بن منصور(٢)، وعلى ما يبدو أن المصادر أشارت إليه إجمالا لكونه أحد أحفاد الأمير عمر بن عبد العزيز الهواري، ولكن المؤلف ذكره محددا باسمه واسم أبيه منصور، الذي هو من أحفاد الأمير عمر الهواري المشار إليه سابقا، مما قد يزيد قناعة بالقول بأن هذا المؤلف هو أحد أبناء إقليم صعيد مصر لتفرده بمعرفته الكاملة باسم الأمير علي واسم أبيه منصور من أحفاد الأمير عمر بن عبد العزيز الهواري، أو على الأقل على معرفة كبيرة بأمراء جرجا وأسمائهم وكناهم وألقابهم، وهو مالم يتوافر لكثير من المؤرخين الذين أشاروا في مؤلفاتهم لولاية الصعيد عند أواخر العصر المملوكي وبداية العصر العثماني.

ويتضح من خلال المخطوط ذاتية المؤلف التي تجلت عند الحديث في البداية عن والى جرجا منذ عصر السلطان الغوري، فعلى الرغم من أن السلطان طومان باى تولى الحكم لمدة عام بعد الغوري بين عامي (٩٢٢- ٩٢٣هـ/ ١٥١٦- ١٥١٧م)، إلا أنه وعلى مايبدو أن المؤلف لم يعترف بسلطنته ولم يشر إليها شأنه في ذلك شأن قبيلة الهوارة بجرجا التي لم تقدم أية مساعدة للسلطان طومان باى في قتاله ضد العثمانيين ورفضوا مساعدته وإيوائه - كما تقدم، وبالتالي ذكر أن ولاية علي بن منصور كانت أربعة عشر سنة، منها سبع سنوات في عهد السلطان الغوري وسبع سنوات أخرى كان فيها واليا لجرجا من قبل السلطان سليم العثماني، ولعل هذا الأمر هو مايدفعنا إلى القول بأن مؤلف المخطوط هو أحد أبناء ولاية جرجا، ولم يشر بأي شكل من الأشكال ولو بإشارة جانبية لوالى جرجا في سلطنة طومان باى، مما يزيد الاعتقاد في القول بأن مؤلف المخطوط من أبناء ولاية جرجا التي لم تعترف بسلطنة طومان باى آخر سلاطين المماليك.

رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا لمؤلف مجهول كان حيا عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣، ص٢٩٧؛ ابن زنبل الرمال: آخرة المماليك، ص٢٦٠؛ ليلى عبد اللطيف: الإدارة في مصر في العصر العثماني، ص٣٨٢.

(٢) مجهول: رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا، ص١؛ نوال طلال الشريف: الدور السياسي لعمر بن عبد العزيز الهواري وأبناءه، ص١٧٤.

وتتفق المعلومات الواردة بالمخطوط مع ما ورد من معلومات بشأن تعيين الأمير السنجق سلمان جانبلاط، الذي عينته الحكومة العثمانية واليا على الصعيد لإعادة ضبط الأمور التي اضطربت أثناء حكم أمراء بني عمر الهواري لعمارة الجسور والاهتمام بتحصيل الأموال السلطانية، وذلك خلفا للأمير يونس بن ريان في عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م[١]، ولكن المخطوط يختلف في تاريخ تعيينه بدلا من أمراء بني عمر الهواري في حكم ولاية جرجا، إذ أن المخطوط يؤكد أن الفترة مابين (٩٨١-١٠١٥هـ/١٥٩٣-١٦٠٦م) تذبذب فيها حكم جرجا بين أمراء بني عمر الهواري والأمراء المماليك المعينين من قبل الحكومة العثمانية على ولاية الصعيد؛ حيث تخلل فترات حكم أمراء بني عمر الهواري لجرجا انتزاع لحكم الولاية على يد هؤلاء الأمراء المماليك أكثر من مرة- كما يتضح من أسماء هؤلاء الأمراء من خلال المخطوط، الذي يوضح أيضا أن الأمير سلمان باشا كان واليا على جرجا من عام ٩٨١-٩٨٢هـ/ ١٥٧٣- ١٥٧٤ خلفا للأمير حمد بن محمد بن داود عام ٩٨١هـ/١٥٧٣م، وليس في عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م خلفا للأمير يونس بن ريان كما تذكر المصادر والمراجع المتداولة في هذا الشأن، بل ويحدد تاريخ انتهاء ولاية الأمير عيسى بن حمد الثانية في عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦م في حكم جرجا كنهاية تامة لولاية بني عمر الهواري على جرجا.

٥- منهج التحقيق:

اعتمد الباحث في الدراسة على النسخة الأصلية للمخطوط، وهى النسخة المحفوظة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، ورمزنا لها بالرمز (ز) مع مقارنتها بالنسخة المنقولة عنها، وهى نسخة دار الكتب المصرية، ورمزنا لها بالرمز (د) لمحاولة استقراء وفهم مادة المخطوط وغرض الكاتب من المخطوط، وعلى الرغم من أن النسخة الخاصة بدار الكتب هي نسخة منقولة عن النسخة الأصلية المحفوظة بالمكتبة الأزهرية، إلا أنها أفادت كثيرا في تفسير بعض الغموض والالتباسات التي وردت بالنسخة الأصلية عند ذكر بعض التواريخ والكلمات، وقد حاولنا تصحيح الأخطاء الواردة بالنص مع وضعها بين قوسين، وذلك دون الإخلال بالنص، مع مقارنتها بما ورد في النسخة (د) المنقولة عن النسخة الأصلية.

٦- الدراسة التحليلية للنص:

يلاحظ من خلال النص أن هناك بعض السنوات التي أغفل المؤلف ذكرها خلال استعراض سنوات حكم الأمراء في الصعيد دون أن يلتفت إليها، فقد ذكر المؤلف أن الأمير علي بن موسى تولى الإمارة في الفترة من (٩٨٤-٩٨٧هـ/ ١٥٧٦-١٥٧٩م)، ثم أعقبه الأمير حمد بن إبراهيم في الفترة من (٩٩١-٩٩٣هـ/ ١٥٨٣-١٥٨٥م)، وبالتالي هناك أربع سنوات أغفل المؤلف ذكرها، وبنفس الشاكلة

(١) للمزيد راجع أحمد شلبي: أوضح الإشارات، ص١١٩؛ على مبارك: الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة، طبعة بولاق، القاهرة ١٨٨٧، ج١٠، ص٥٤؛ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المغاربة في مصر في العصر العثماني ١٥١٧- ١٧٩٨م، تونس ١٩٨٢، ص٣٥، ٣٦؛ مايكل ونتر: المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة/ إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١، ص١٧٠- ١٧٢.

عندما ذكر أن الأمير الديرمونى تولى الإمارة في الفترة من (٩٩٥-٩٩٦هـ/ ١٥٨٦-١٥٨٧م)، ثم أعقبه فترة إمارة جعفر بن الجاويش (١٠٠٤-١٠٠٦هـ/١٥٩٥-١٥٩٧م)، وبالتالي هناك ثماني سنوات أغفل المؤلف ذكرها، وذكر من تولى إمارة الصعيد خلالها، ومن ثم يكون المخطوط قد أسقط عدد اثنى عشر سنة من تاريخ إمارة الصعيد في الفترة التي تناولها بين أعوام (٩٢٢ - ١١٠٥ هـ/ ١٥١٦ - ١٦٩٣ م).

ويلاحظ وضوح الخط المكتوب به المخطوط، مع وجود بعض التقريظات والتصويبات الجانبية بخط الناسخ نفسه، وواحدة فقط منها بخط مختلف، فضلا عن وجود شطب جانبي لبعض الكلمات واستدراكات لبعض التواريخ داخل المتن في النسخة الأصلية، ويلاحظ أن ماشطب من كلمات وماوضع من استدراكات داخل المتن وخارجه مكتوبة ومشطوبة بنفس الخط الذي كتب به المخطوط، وذلك باستثناء ماكتب على جانب المتن عند بدايته، والتي تحوى عدد سطور الصفحة (س١٥)، بالإضافة إلى كلمة أخرى عبارة عن توقيع يقرأ ظاهرها باسم (يوسف)، وتحتها نجد كلمة (ينظر آخرها)، ويبدو أن هذه الكلمات الأخيرة المشار إليها قد كتبت بجانب النص في فترة زمنية لاحقة من قبل شخص أراد وضع تصنيف مبدئي للمخطوط، مع ملاحظة اختلاف نوعية الخط التي كتبت بها تلك الكلمات الثلاث الأخيرة عن بقية الخط المكتوب به المخطوط في متنه واستدراكاته الجانبية الأخرى.

كما يلاحظ حرص الناسخ على إتباع طريقة ترقيم المخطوط من خلال طريقة التلحيق أو التعقيب، وهى كتابة الكلمة التي ستبدأ بها الصفحة القادمة من المخطوط في أسفل هامش الصفحة، وهى سمة الكثير من المخطوطات، كما أن الصفحة الأخيرة من المخطوط في النسخة الأصلية ليست من ضمن مادته التاريخية ولم يكتبها الناسخ نفسه، بل كتبها شخص آخر بخط مختلف وقلم مختلف وحبر مختلف أيضا، وهى عبارة عن صفحة عدد مسطرتها ثمانية أسطر، قراءتها كالتالي" بسم الله الرحمن الرحيم... يقول الله جل الله ربى أنا الجبار فاطلبني... تجدني أنا الموجود فاطلبني تجدني فان...تطلب سواى لم تجدني أنا المقصود لاتقصد.... سواى كثير الخلق فاطلبني تجدني أنا الرب...الذي تخشى عذابي جميع الخلق فاطلبني..تجدني أنا الملك المهيب جل قدري عظيم.. القدر".

وتوضح طريقة كتابة المخطوط الأصلي أن كاتبه كتبه تباعا، بحيث لا نجد بين سطوره نقطا أو فواصل بين كل عبارة وأخرى، أو بين كل موضع والذي يليه، فالمخطوط يبدأ وينتهي من غير أن نعرف له تبويبا أو وقفا وخاتمة في نهايته، والصفحة الأخيرة منه ليس بها مايشير إلى وجود صفحات تالية من خلال ترقيمها بكتابة الكلمة التي ستبدأ بها الصفحة اللاحقة وفق طريقة التلحيق، وليس بها أيضا ما يشير إلى وجود وقفة الكاتب في الصفحة الأخيرة من المخطوط، والتي على مايبدو أنها أضيفت في فترة تالية من كتابة المخطوط، وكل هذا يجعل الباحث يذهب إلى القول بأن المخطوط بهذه الكيفية وهذا الشكل هو مخطوط كامل غير منقوص أو مجتزء الصفحات.

وقد أهمل كاتب المخطوط في النسخة الأصلية وضع النقاط إلى حد ما، لكن أغلب كلمات المخطوط

وردت منقوطة، والقليل منها ورد دون نقط؛ حيث أغفله كاتب النص ربما نتيجة لسرعته في الكتابة، ونرى ذلك بوضوح في المواضع الآتية: في السطر رقم ١ من الصفحة الأولى من المخطوط، والتي تتضمن عنوان المخطوط وكاتبه وتاريخ الفراغ منه، عند ذكر عبارة (وكان الفراغ من هذا الكتاب)؛ حيث ذكر كلمة الفراغ بدون نقطة فجاءت الفراع، وفى السطر رقم ٨ من نفس الصفحة عند ذكر كلمة (مذهبا)؛ حيث كتبها بدون نقطة الباء، وفى السطر رقم ١٠ من نفس الصفحة عند ذكر كلمة (وجميع المسلمين)؛ حيث كتبها بدون نقطتي الياء السفلى، وفى السطر رقم ١٦ من نفس الصفحة عند ذكر عبارة (ولطف به في الدارين)؛ حيث كتبها بدون نقطتي الياء السفلى، وفى السطر رقم ١٧ من نفس الصفحة عند ذكر كلمة (آمين)؛ حيث كتبها بدون نقطتي الياء السفلى، ونجد في السطر رقم ٣ في الصفحة رقم ٢ عند ذكر كلمة (الشراكسة)؛ حيث كتبها بدون نقاط حرف الشين، فجاءت (السراكسة)، وفي السطر رقم ٨ من نفس الصفحة عند ذكر كلمة (أربعة)؛ حيث كتبها بدون نقطتي التاء المربوطة، وفى السطر رقم ٤ من الصفحة رقم ٣ عند ذكر كلمة (ابن داود)؛ حيث كتبها بدون نقطة الباء، وفى السطر رقم ١٣ من الصفحة رقم ٤ عند ذكر اسم الأمير (حمد ابن محمد)؛ حيث كتبها بدون نقطة الباء أيضا، وفى نفس الصفحة عند قول (أخذ سنة واحد وتسعين)؛ حيث كتبها بدون نقطة الذال، وفى السطر رقم ٩ من الصفحة رقم ٦ عند ذكر كلمة (ولم يسبق)؛ حيث كتبها بدون نقطتي الياء، وفى السطر رقم ١٠ من نفس الصفحة عند ذكر كلمة (ثم أخذ)؛ حيث كتبها بدون نقطة الذال فجاءت (أخد)، وفى السطر رقم ٦ من الصفحة رقم ٧ عند ذكر عبارة (وأخذ دليور)؛ حيث كتبها بدون نقطة الذال فجاءت (وأخد)، وفى السطر رقم ٩ من نفس الصفة عند ذكر عبارة (ثم أخذ دليور)؛ حيث كتبها بدون نقطة الذال فجاءت (ثم أخد)، وفى السطر رقم ١٠ من نفس الصفحة عند ذكر عبارة (ثم أخذ ذو الفقار بك)؛ حيث كتبها بدون نقطة الذال فجاءت (ثم أخد)، وفى السطر رقم ١٣ من نفس الصفحة عند ذكر عبارة (ثم أخذ سنة سبعة وثمانين)؛ حيث كتبها بدون نقطة الذال فجاءت (ثم أخد)، وفى السطر رقم ٢ من الصفحة رقم ٨ عند ذكر عبارة (وأخذ فيها غانم)؛ حيث كتبها بحرف الزاي بدلا من الزال، مع عدم وضع نقطة حرف الخاء، وعدم وضع نقطتي حرف الياء في كلمة فيها، فجاءت بالشكل الآتي (واخز فها غانم).

ويلاحظ في هذا المخطوط ركاكة بعض الكلمات والعبارات التي استخدمها المؤلف، والتي أشبه بنطق العامية المصرية، والتي قد تعطينا دلالة بأن المؤلف هو أحد أبناء الريف المصري الذي يعرف لهجته وألفاظه العامية بدقة، وتعطينا أيضا انطباعا يدل على ضعف المستوى اللغوي لكاتب النص، ولكن يوضح في الوقت ذاته طبيعة ثقافته التاريخية المصطبغة بالصبغة الدينية من خلال دعائه بالرحمة للأمراء السابقين من حكام الصعيد من بني عمر الهواري.

وقد جاء استخدام الكلمات الركيكة والعامية في المخطوط من جانب المؤلف في عدة مواضع، ونرى ذلك في صفحة العنوان عند قوله (رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا)، وعند قوله (في يوم الثلاث- مع ملاحظة عدم وجود الثاء الأولى في الكلمة)، وعند قوله (سنة اثنين وعشرين وتسع مايه)،

وكذلك عند قوله (يوميذ الأمير علي بن منصور)، وعند قوله (واحد وستين وتسع مايه)، وقوله (أربعة وسبعين وتسع مايه)، وقوله (سنة واحد وثمانين وتسع مايه)، وقوله (الباشاه)، وقوله (المراكب بتوع الباشاه)، وعند ذكر قوله (يملى ما)، وقوله (الحكومة منصوبة)، وقوله أيضا (سنة واحد وتسعين وتسع مايه)، وعند قوله (ثم أخذ بازيد باشه باشت الحبش)، وقوله (كانت له قصة عجيبة من الطغيان والأشر والبطر والظلم)، وقوله (وكانت مدت ولايته)، وقوله (وعزل في أوايل سنة أربعة وسبعين)، وفى قوله (وكانت في ولايته وقوع المناره بتاع المعلق).

بينما جاءت الأخطاء الكتابية في أكثر من موضع بالمخطوط، ولعل أولها ما يتعلق بإهمال الكاتب تماما لرسم الهمزات، فالمخطوط يكاد يخلو تماما من وجود الهمزات الخاصة بالكلمات مثل: كلمة الأمير- أفقر- أخذ - أقام- أول- لأرض- أبى تيج.....إلخ، كما تظهر الأخطاء الكتابية في المخطوط، والتي ربما وقع فيها الناسخ لسرعته في الكتابة وعدم تأنيه، فنجد في السطر الأول من الصفحة رقم ٢ يقول (هذه نبزة)، وصوابها (هذه نبذة)، وفى نفس السطر من نفس الصفحة كتب (منذ وا بولاية السراكسة)، وصوابها (منذ أواخر ولاية الشراكسة)، كما أنه تذبذب مرات عديدة في كتابة اسم (جرجا)، فتارة يكتبه (دجرجه)، وتارة أخرى يكتبه (دجرجا)، ومن الأخطاء الكتابية التي وقع فيه المؤلف كما في السطر رقم ٣ من الصفحة رقم ٤؛ حيث كتب كلمة (السقا)، وصوابها (السقاء)، وفى السطر رقم ٣ من الصفحة رقم ٥ كتب عبارة (ولم يكلم السنة)، وصوابها (لم يكمل السنة)، وفى السطر رقم ١٥ من الصفحة رقم ٧ كتب (واقام سنة ولم تكلم)، وصوابها (أقام سنة ولم تكمل).

أما عن الشطب والاستدراكات التي كتبها المؤلف، فتظهر في العديد من المواضع، وكان أولها مايظهر في السطر رقم ٩ من الصفحة رقم ٢ عندما أخطأ في كتابة سنة تولى الأمير داود؛ حيث كتبها سنة تسعة وعشرين، ثم شطبها وكتب بجانبها على يمين الصفحة بخط أقل سماكة (ثلاثة وأربعين) وهو الصواب، وفى السطر رقم ١٠ من الصفحة رقم ٣ عند حديثه عن علي بن موسى سقطت منه سهوا كلمة (ابن)، ثم عاد واستدركها وكتبها في أعلى الاسم بعد أن وضع علامة للاستدراك، وفى السطر الأول من الصفحة رقم٤ نجده شطب كلمة (الوقت) التي تبدأ بها الصفحة، ربما لأنه كتبها خطأ، لكنه كتبها مرة أخرى صحيحة في سياق الكتابة.

ومن استدراكاته أيضا ما نجده في السطر رقم ٣ من نفس الصفحة عند كتابته لعبارة (قصدي بك خلوة)، فقد سقطت منه كلمة (بك)، لكنه عاد واستدركها وكتبها أعلى العبارة في موضعها، وفى السطر رقم ١٢ من الصفحة رقم ٥ سقطت منه كلمة (عشر) في ذكر ولاية الأمير يوسف، وعاد واستدركها وكتبها أعلى السطر على النحو الصحيح (سبعة عشر وألف)، وفى السطر رقم ٢ من الصفحة رقم ٧ سقطت منه كلمة (أقام سنة) عند حديثه عن ولاية الأمير أحمد بك في عام سبعين وألف، ولكنه استدركها وكتبها على يسار الصفحة مخالفا كتابتها فوق العبارة كما في الحالات إلى تمت من قبل.

وبالإضافة لتلك الحالات التي سقطت منه خلالها بعض الكلمات أثناء كتابة النص واستدركها، فهناك

بعض الحروف والكلمات التي سقطت منه داخل النص ولم يلاحظها لكي يستدركها، ففي السطر رقم ١٠ من الصفحة رقم ٢، وعند ذكر عبارة (الأمير منصور وإسماعيل أولاد على ابن منصور) سقط منه حرف الدال في كلمة أولاد، لكنه لم يلاحظها، وبالتالي لم يضع استدراكا لها.

أما في النسخة المنقولة بدار الكتب المصرية فيلاحظ وضوح الخط المكتوب به النسخة، وجاء العنوان يحمل اسم" رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمراء الجراكسة"، على عكس ماورد في النسخة الأصلية التي جاء فيها العنوان كالآتي" رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا"، وعلى الرغم من وضوح النسخة المنقولة إلا أنها لم تخلُ أيضا من بعض الأخطاء التي استدركها الناسخ، فنجد مثلا أن الناسخ كتب على صفحة العنوان" كتبت برسم مولانا القاضي الأوحدى الغريقى"، وصحتها العريقى، كم أنه شك في صحة كلمة (عمته) في الصفحة رقم ٣ عند ذكر ولاية إبراهيم كشك على جرجا، ومن ثم وضع فوقها علامة، ثم عاد واستدرك أنها صحيحة على يمين النص وكتبها مرة أخرى برسمها الأصلي كما ورد في الأصل، كما نجد أن بعض المسميات جاءت في هذه النسخة مختلفة عن التي وردت في النسخة الأصلية، فنجد عند ذكر ولاية (ذو الفقار) على جرجا نجد أن اسمه ورد في النسخة المنقولة باسم (ذو الفقير)، لكن صحتها كما رود في النسخة الأصلية.

كما وردت بعض الكلمات صحيحة في النسخة الأصلية، ولكن جاءت خطأ في النسخة المنقولة ومثل ذلك في الصفحة الأولى في عبارة (ثم أخذ في سنة تسعة وعشرين وتسعمائة الأمير داود)، نجد أنها وردت في النسخة المنقولة (ثم أخذه)، فضلا عن وجود بعض الكلمات التي وردت خطأ في النسخة الأصلية، وحاول الناسخ في النسخة المنقولة تصحيحها ولكنه وقع في الخطأ أيضا، ومثل ذلك نجده في كلمة (ولم يكمل السنة)، فنجد أنها وردت في النسخة الأصلية (ولم يكلم)، بينما وردت في النسخة المنقولة (ولم يتكلم)، ولكن صحيحها (ولم يكمل السنة) كما يفهم من سياق النص، ولكن في العموم جاءت هذه النسخة صحيحة ومستدركة في كثير من المواضع التي وردت خطأ في النسخة الأصلية.

٧- لوحات من المخطوط:

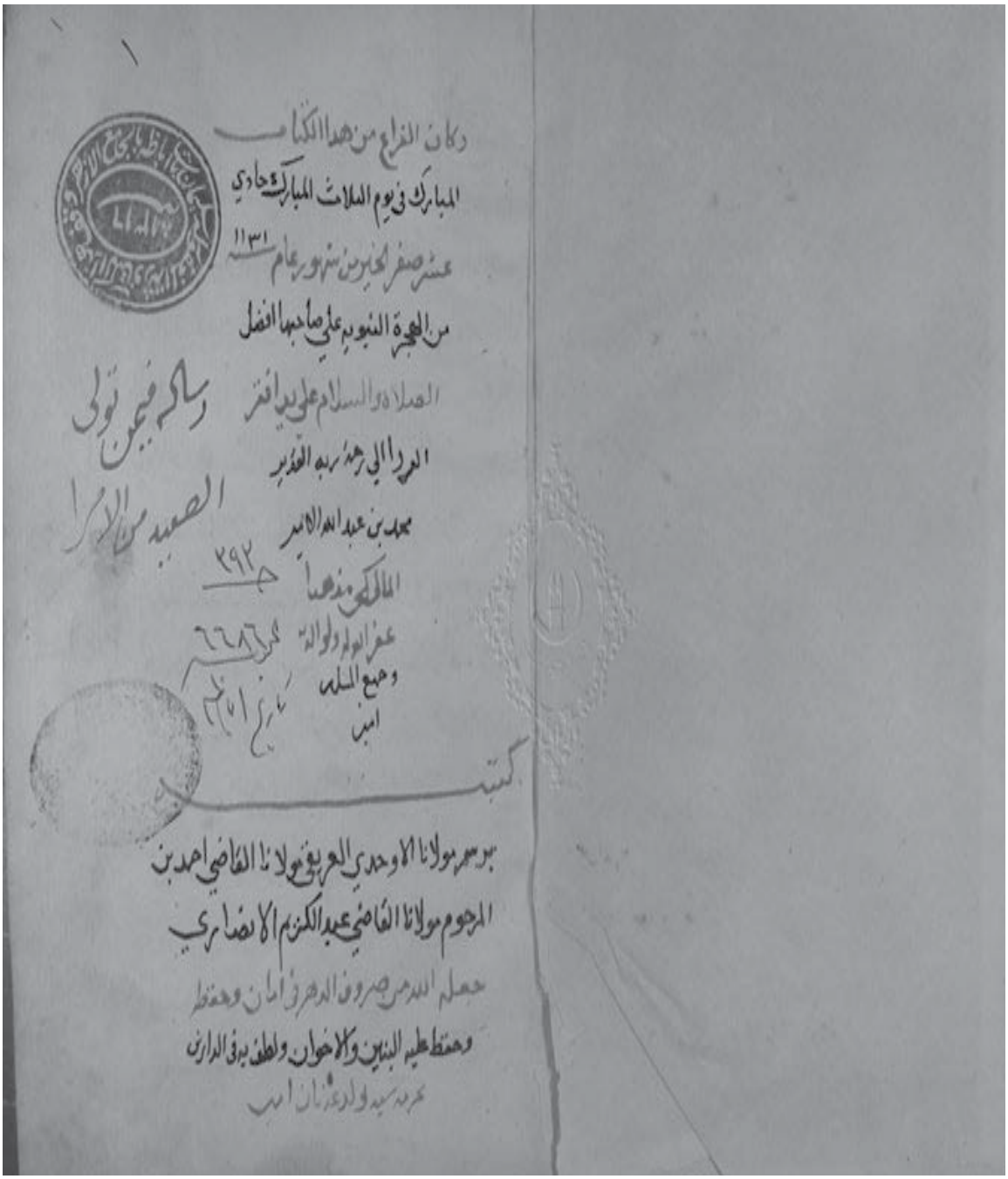

صفحة العنوان

(النسخة الأصلية – المكتبة الأزهرية)

رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا لمؤلف مجهول كان حيا عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م

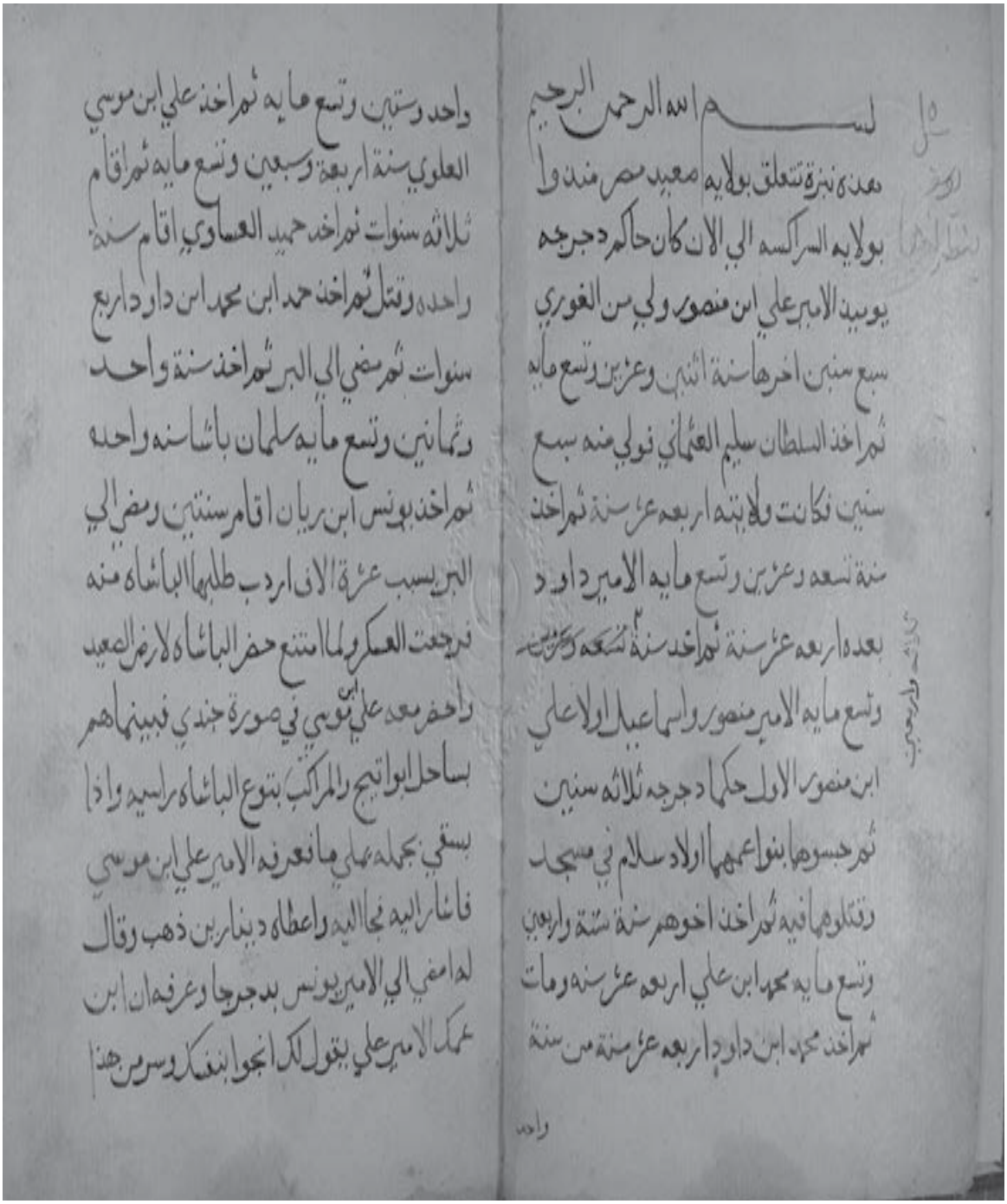

بسم الله الرحمن الرحيم
هذه نبذة تتعلق بولاية معبد مصر منذ وا
بولاية السراكسه الي الان كان حاكم دجرجه
يوسف الامير علي ابن منصور ولي من الغوري
سبع سنين اخرها سنة اثنين وعشرين وتسع مايه
ثم اخذ السلطان سليم العثماني تولي منه سبع
سنين فكانت ولايته اربعه عشر سنة ثم اخذ
سنة تسعه وعشرين وتسع مايه الامير داود
بعده اربعه عشر سنة ثم اخذ سنة تسعه وعشرين
وتسع مايه الامير منصور واسماعيل اولاد علي
ابن منصور الاول حكما دجرجه ثلاثه سنين
ثم حبسوها بنو اعمهما اولاد سلام في مسجد
وقتلوهما فيه ثم اخذ اخوهم سنة ستة واربعين
وتسع مايه محمد ابن علي اربعه عشر سنه ومات
ثم اخذ محمد ابن داود اربعه عشر سنة من سنة

واحد وستين وتسع مايه ثم اخذ علي ابن موسي
العلوي سنة اربعة وسبعين وتسع مايه ثم اقام
ثلاثه سنوات ثم اخذ حميد العساوي اقام سنة
واحده وقتل ثم اخذ حمد ابن محمد ابن داود اربع
سنوات ثم مضي الي البر ثم اخذ سنة واحد
وثمانين وتسع مايه سلمان باشا سنه واحده
ثم اخذ يونس ابن ريان اقام سنتين ومضي الي
البر بسبب عثرة الاي اردب طلبها الباشاه منه
فرجعت العسكر ولما امتنع حضر الباشاه لازم الصعيد
واحضر معه علي بن موسي في صورة جندي فبينما هم
بساحل ابوتيج والمراكب بتوع الباشاه راسيه واذا
بستي بجمله علي ما نعرفه الامير علي ابن موسي
فاشار اليه فجا اليه واعطاه دينارين ذهب وقال
له امضي الي الامير يونس بدجرجا وعرفه ان ابن
عمك الامير علي يقول لك انجوا بنفسك وسر من هذا

الورقة الأولى

(النسخة الأصلية – المكتبة الأزهرية)

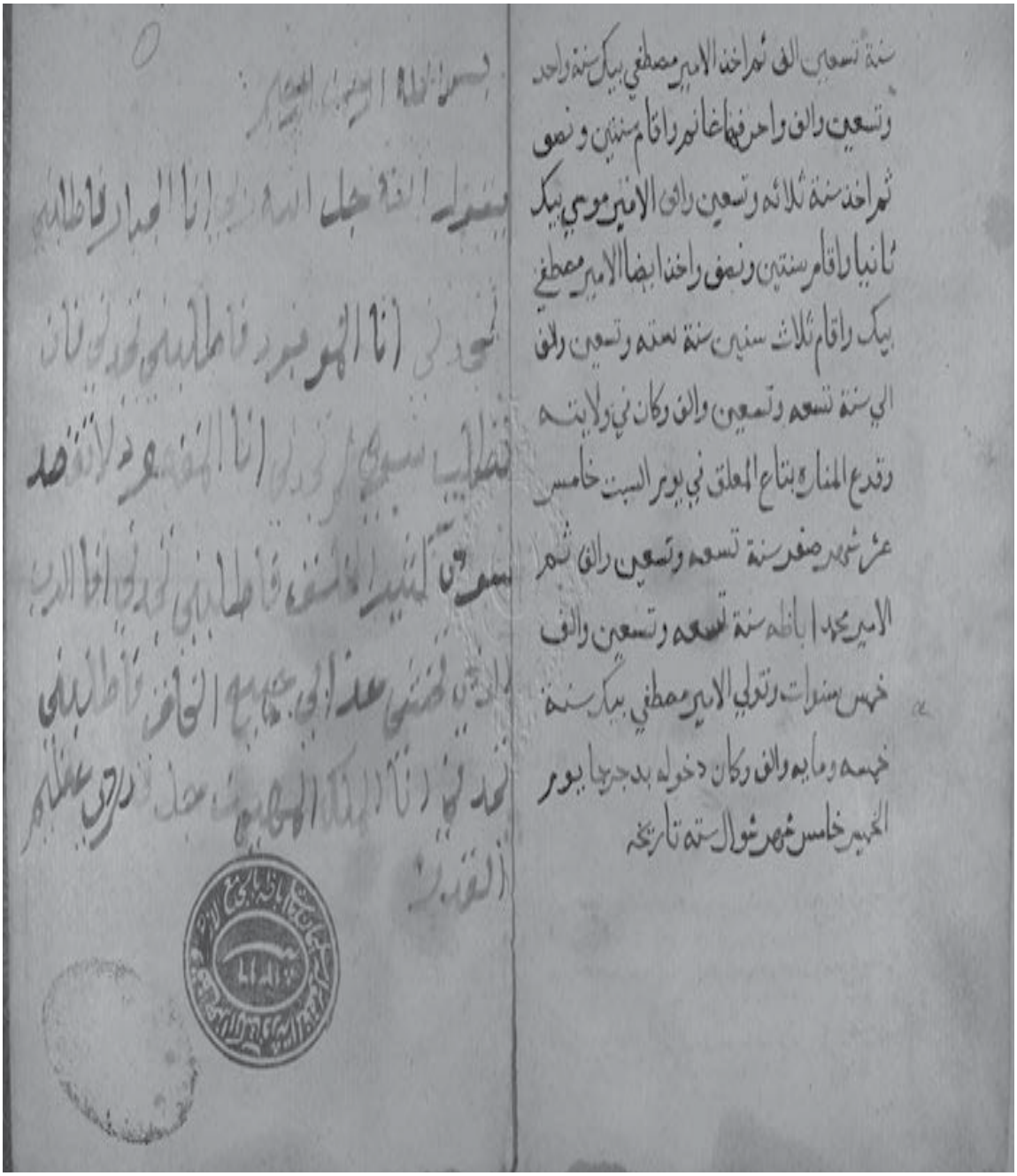

سنة تسعين الف ثم اخذ الامير مصطفي بيك سنة واحد وتسعين والف واحرقها غانم واقام سنتين ونصف ثم اخذ سنة ثلاثه وتسعين والف الامير موسي بيك ثانيا واقام سنتين ونصف واخذ ايضا الامير مصطفي بيك واقام ثلاث سنين سنة اربعه وتسعين والف الي سنة تسعه وتسعين والف وكان في ولايته وقدع المناره بتاع المعلق في يوم السبت خامس عشر شهر صفر سنة تسعه وتسعين والف ثم الامير محمد باشه سنة تسعه وتسعين والف خمس سنوات وتولي الامير مصطفي بيك سنة خمسه ومايه والف وكان دخوله بدجرجا يوم الخميس خامس شهر شوال سنة تاريخه

الورقة الأخيرة

(النسخة الأصلية – المكتبة الأزهرية)

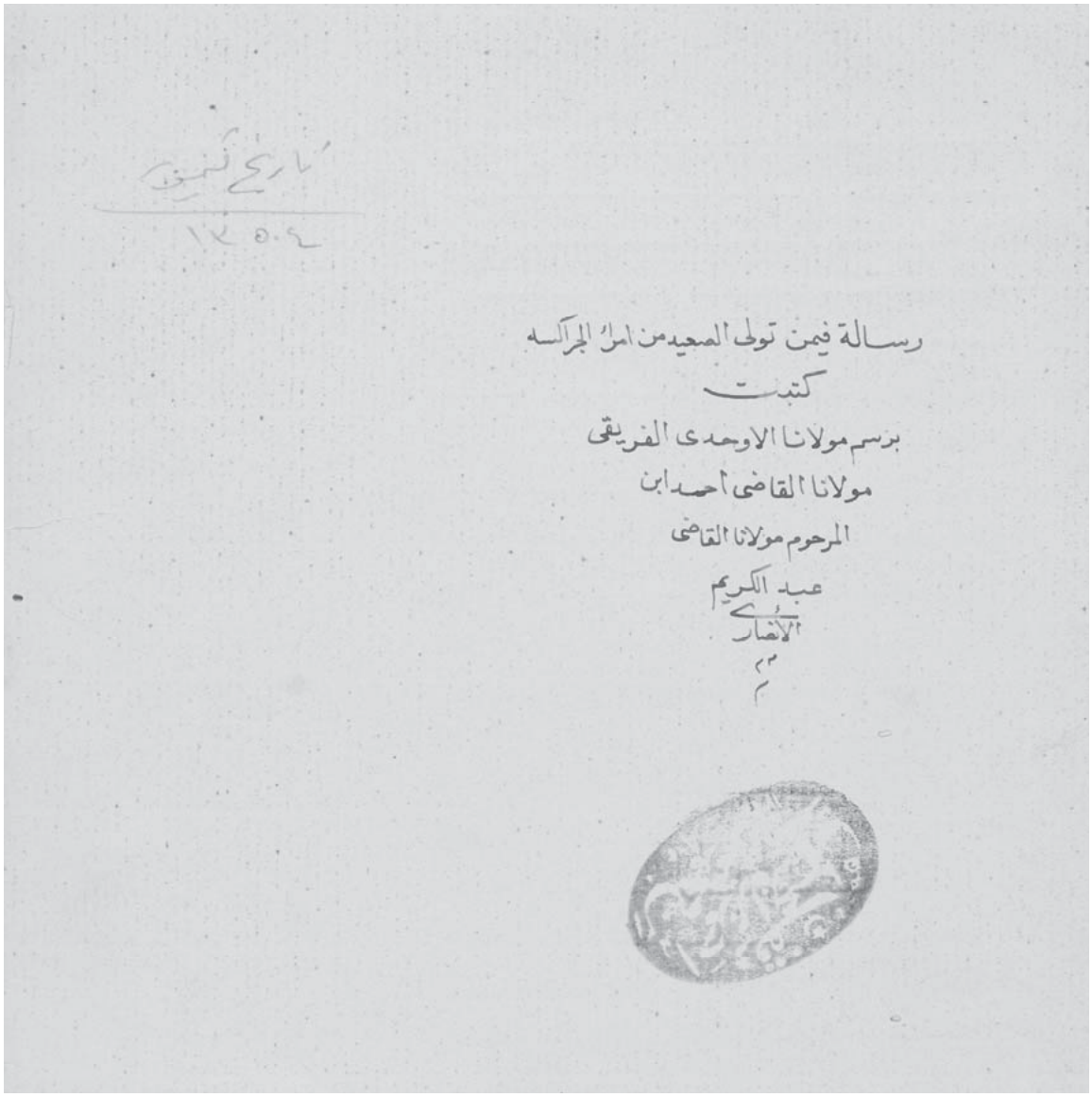
رسالة فيمن تولى الصعيد من امراء الجراكسه
كتبت
برسم مولانا الاوحدى الفريقى
مولانا القاضى احمد ابن
المرحوم مولانا القاضى
عبد الكريم
الانصارى

صفحة العنوان

(النسخة المنقولة – دار الكتب المصرية)

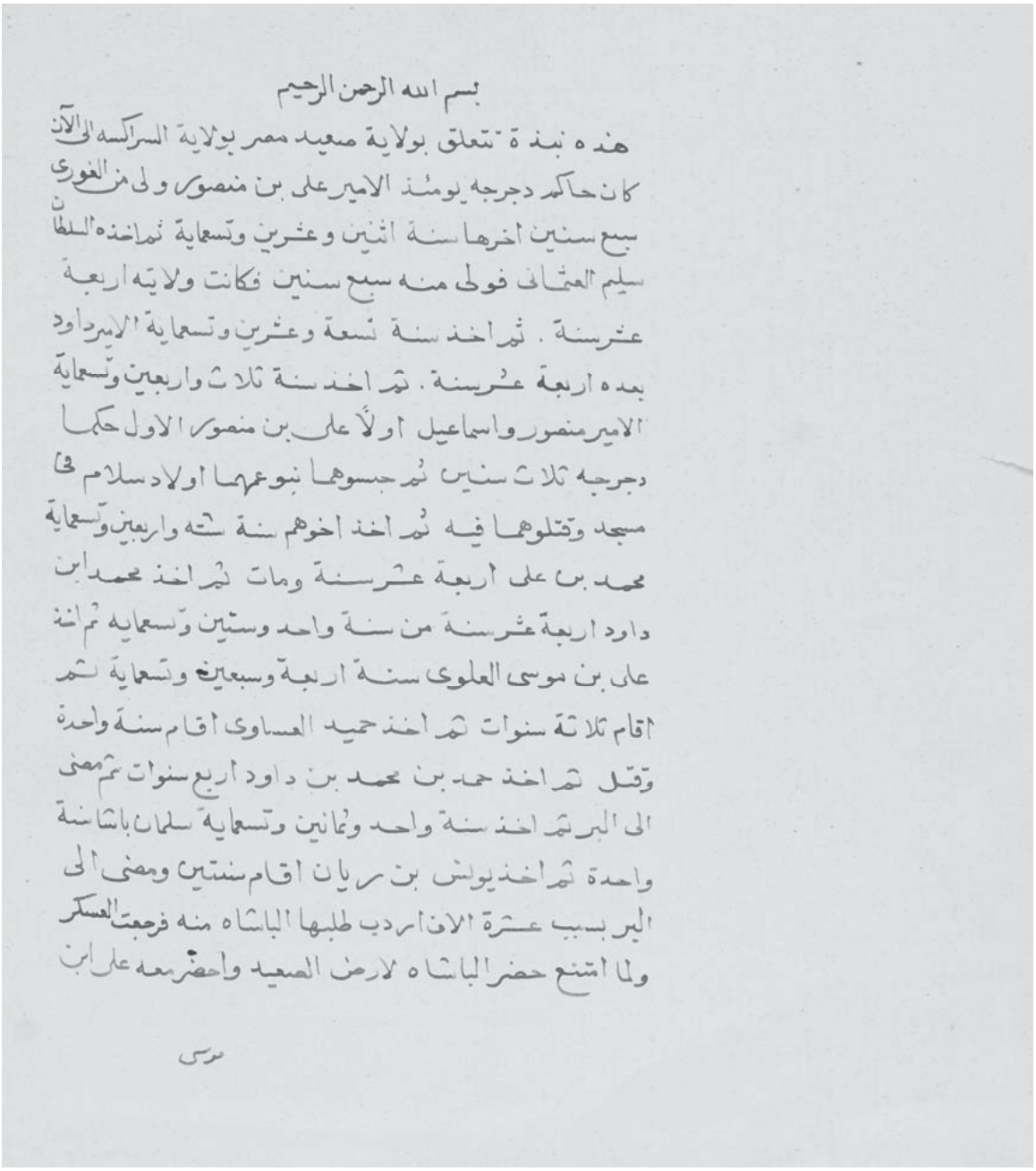

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه نبذة تتعلق بولاية صعيد مصر بولاية السراكسه الى الآن
كان حاكم دجرجه يومئذ الامير على بن منصور ولى من الغورى
سبع سنين اخرها سنة اثنين وعشرين وتسعماية ثم اخذه السلطان
سليم العثمانى فولى منه سبع سنين فكانت ولايته اربعة
عشر سنة . ثم اخذ سنة تسعة وعشرين وتسعماية الامير داود
بعده اربعة عشر سنة . ثم اخذ سنة ثلاث واربعين وتسعماية
الامير منصور واسماعيل اولاد على بن منصور الاول حكما
دجرجه ثلاث سنين ثم حبسوها نبوعهما اولاد سلام فى
مسجد وقتلوهما فيه ثم اخذ اخوهم سنة ست واربعين وتسعماية
محمد بن على اربعة عشر سنة ومات ثم اخذ محمد ابن
داود اربعة عشر سنة من سنة واحد وستين وتسعمايه ثم اخذ
على بن موسى العلوى سنة اربعة وسبعين وتسعماية ثم
اقام ثلاثة سنوات ثم اخذ حميد العساوى اقام سنة واحدة
وقتل ثم اخذ حمد بن محمد بن داود اربع سنوات ثم مضى
الى البر ثم اخذ سنة واحد وثمانين وتسعماية سلمان باشا سنة
واحدة ثم اخذ يونس بن ريان اقام سنتين ومضى الى
البر بسبب عشرة الاف اردب طلبها الباشاه منه فرجعت العسكر
ولما امتنع حضر الباشاه لارض الصعيد واحضر معه على ابن

مرسى

الصفحة الأولى

(النسخة المنقولة – دار الكتب المصرية)

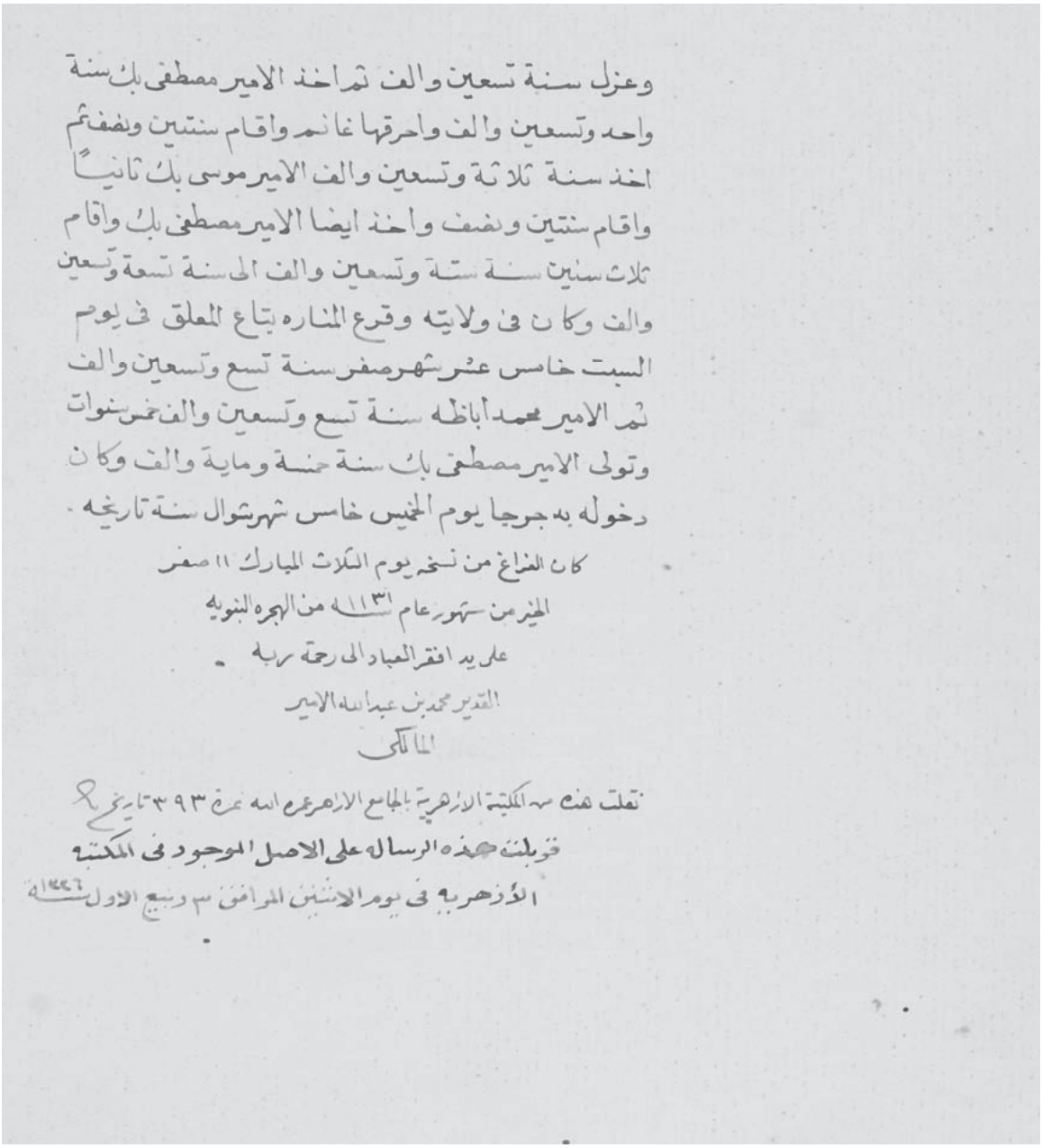

وعزل سنة تسعين والف ثم اخذ الامير مصطفى بك سنة
واحد وتسعين والف واحرقها غانم واقام سنتين ونصف ثم
اخذ سنة ثلاثة وتسعين والف الامير موسى بك ثانيا
واقام سنتين ونصف واخذ ايضا الامير مصطفى بك واقام
ثلاث سنين سنة ستة وتسعين والف الى سنة تسعة وتسعين
والف وكان فى ولايته وقرع المناره بتاع المعلق فى يوم
السبت خامس عشر شهر صفر سنة تسع وتسعين والف
ثم الامير محمد اباظه سنة تسع وتسعين والف خمس سنوات
وتولى الامير مصطفى بك سنة خمسة ومايه والف وكان
دخوله به جرجا يوم الخميس خامس شهر شوال سنة تاريخه .

كان الفراغ من نسخه يوم الثلاث المبارك ١١ صفر
الخير من شهور عام ١١٣١ هـ من الهجره النبويه
على يد افقر العباد الى رحمة ربه .
القدير محمد بن عبد الله الامير
المالكى

نقلت هذه من المكتبة الازهرية بالجامع الازهر برقم ٣٩٣ تاريخ
قوبلت هذه الرساله على الاصل الموجود فى المكتبه
الأزهريه فى يوم الاثنين الموافق ٣ ربيع الاول ١٣٤٦ هـ

الصفحة الأخيرة

(النسخة المنقولة – دار الكتب المصرية)

النص المحقق

١-حكام ولاية جرجا من بني عمر منذ عصر السلطان الغوي حتى عام ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م:

هذه نبذة تتعلق بولاية صعيد مصر منذ [١] (أواخر) [٢] (ولاية) [٣] (الشراكسة)[٤] إلى الآن كان حاكم دجرجة[٥] يومئذ [٦] الأمير علي (بن) [٧] منصور[٨] ولى من الغوري [٩] سبع سنين آخرها سنة اثنين وعشرين (وتسعمائة)[١٠].

(١) فى (ز) مكتوبة هكذا، وغير موجودة في (د).

(٢) فى (ز) مكتوبة هكذا، وغير موجودة في (د).

(٣) فى (ز) مكتوبة (بولاية)، وفى (د) كذلك، وهى خطأ كتابي من المؤلف، وصوابها ولاية وبه يستقيم المعنى.

(٤) فى (ز) (السراكسة)، وفى (د) كذلك، وهى لهجة عامية، وصوابها الشراكسة أو الجراكسة.

(٥) يلاحظ أن المؤلف تارة يكتبها هكذا وتارة أخرى يكتبها: دجرجا، والمقصود بها جرجا إحدى مراكز محافظة سوهاج بصعيد مصر الآن. للمزيد راجع محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ج٤، ق٢، ص١١٣.

(٦) فى الأصل (ز) مكتوبة (يوميذ)، وهى لفظة عامية، وفى (د) صحيحة يومئذ.

(٧) فى الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٨) يسميه المؤلف علي بن منصور، بينما هناك بعض المصادر والمراجع التي تطلق عليه أسماء مختلفة مثل الأمير علي بن عمر الهواري، والأمير عمر الهواري، وعلى ما يبدو أن المصادر أشارت إليه إجمالا لكونه أحد أحفاد الأمير عمر بن عبد العزيز الهواري، ولكن المؤلف ذكره محددا باسمه واسم أبيه منصور، الذي هو من أحفاد الأمير عمر الهواري المشار إليه سابقا، مما يزيدنا قناعة بأن المؤلف هو رجل من إقليم الصعيد ومن أبناء قبيلة الهوارة لمعرفته التامة وبشكل تفصيلي بالكثير من الشخصيات بمسمياتها الدقيقة. للمزيد عن علي بن منصور المسمى علي بن عمر الهواري انظر: ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣، ص٢٩٧؛ ابن زنبل الرمال: آخرة المماليك، ص٢٦٠؛ ليلى عبد اللطيف: الإدارة في مصر في العصر العثماني، ص٣٨٢؛ نوال طلال الشريف: الدور السياسي لعمر بن عبد العزيز الهواري وأبناءه، ص١٧٤.

(٩) السلطان الغوري: هو أحد سلاطين المماليك، وهو مملوك جركسى من مماليك قايتباي أبدى الزهد في السلطنة وأثبت صلاحيته لها رغم كبر سنه، وعمل على إعادة الأمن والاستقرار لدولة المماليك،إلا أن هناك الكثير من الأخطار الداخلية والخارجية التي واجهته وقد قتل في حربه مع السلطان سليم العثماني في موقعة الريدانية. ابن زنبل الرمال: المصدر السابق، ص١١٥، ١١٦؛ عبد العزيز عبد الدايم: مصر في عصري المماليك والعثمانيين، جامعة القاهرة ١٩٩٤، ص١١٩ ،١٢٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك، دار النهضة العربية ١٩٩٦، ص٢٩١، ٢٩٢.

(١٠) فى (ز) تسع ماية، وفى (د) تسعماية، وهى كلمة عامية، وصوابها تسعمائة، وقد أثبتناها بصورتها الصحيحة في باقي المواضع التي وردت بها بين القوسين.

ثم أخذ السلطان سليم العثماني[١] فولى منه سبع سنين، فكانت ولايته أربعة عشر سنة، ثم أخذ[٢] سنة تسعة وعشرين (وتسعمائة) الأمير داود[٣] بعده أربعة عشر سنة، ثم أخذ سنة (ثلاثة وأربعين) [٤] وتسع (مائة) الأمير منصور وإسماعيل أولاد على ابن منصور الأول حكما دجرجة ثلاثة سنين، ثم حبسوهما بنو عمهما أولاد سلام في مسجد وقتلوهما فيه، ثم أخذ أخوهم سنة ستة وأربعين (وتسعمائة) محمد (بن) [٥] على أربعة عشر سنة ومات، ثم أخذ محمد بن داود أربعة عشر سنة من سنة واحد وستين (وتسعمائة)، ثم أخذ على (بن) [٦] موسى العلوي سنة أربعة وسبعين (وتسعمائة)، ثم أقام ثلاثة سنوات.

ثم أخذ حميد العساوى أقام سنة واحدة وقتل، ثم أخذ حمد (بن) [٧] محمد ابن داود أربع سنوات ثم مضى إلى البر[٨]، ثم أخذ سنة واحد وثمانين (وتسعمائة) سلمان باشا سنة واحدة، ثم أخذ يونس (بن)[٩] ريان[١٠] أقام سنتين ومضى إلى البر بسبب عشرة آلاف إردب طلبها الباشاه منه فرجعت العسكر، ولما

---

(١) هو السلطان العثماني سليم بن بايزيد خان، ولد عام٨٧٢هـ/١٤٦٧م، ثم تولى السلطنة عام ٩١٨هـ/١٥٢١م وعمره ستة وأربعون عاما، وقد تمكن من فتح العديد من البلدان، وفتح مصر والشام، وتوفى عام ٩٢٦هـ/١٥١٩م، وتولى بعده ابنه السلطان سليمان. القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول، تحقيق/ أحمد حطيط، فهمي سعد، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٢، مج٣، ص٤٨.

(٢) فى (ز) صحيحة، ولكن في (د) كتبت خطأ: أخذه.

(٣) الأمير داود: يذكره المراغي في نور العيون بأن اسمه داود الأول من بني عمر، وتولى حكم جرجا في العصر العثماني من عام٩٢٩هـ/١٥٢٢وحتى عام ٩٤٣هـ/١٥٣٦ م، وهو مايتطابق مع ما أورده المؤلف هنا. المراغي: نور العيون في ذكر جرجا منذ عهد ثلاثة قرون، تحقيق ودراسة/ أحمد حسين النمكى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٧، ص١٩٧، وقد أنشأ هذا الأمير مسجدا عرف باسم جامع الداودية، جدده فيما بعد شيخ العرب الأمير همام الهواري عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م، ثم جدده ديوان الأوقاف عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م، وهو لايزال قائما. ليلى عبد اللطيف: الصعيد في عهد شيخ العرب همام، ص ٣٩.

(٤) فى (ز) مكتوبة تسعة وعشرين، ثم شطبها المؤلف وكتبها في الجانب الأيمن من السطر ثلاث وأربعين، وهو الصواب لتكون ولاية الأمير داود مدة أربعة عشر عاما، وفى (د) مكتوبة صحيحة دون شطب.

(٥) فى الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٦) فى الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٧) فى الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٨) مضى إلى البر هو مثل عامي.

(٩) فى الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(١٠) الأمير يونس بن ريان: هو أحد أبناء الأمير ريان بن أحمد بن عيسى، جد الرياينة، الذي توفى عام ٨٨٩هـ/١٤٨٤م. حسين أحمد النمكى: تاريخ ولاية جرجا في العصرين المملوكي والعثماني، دار وعد للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠١١، ج٢، ص١٤٤، وهنا يوضح المؤلف أنه وقع خلاف بين السلطة العثمانية في مصر ووالى الصعيد يونس بن ريان الهواري بسبب عشرة آلاف إردب طلبتها الحكومة منه، ولكن الغريب هنا أن المؤلف لم يذكر ما أجمعت عليه كثير من المصادر والمراجع التي أشارت إلى أنه في ذلك الوقت وتحديدا في عام٩٨٣هـ/١٥٧٥م تم عزل يونس بن ريان عن إمارة جرجا وأودع في السجن لكثرة ماعليه من ديون لوالى مصر العثماني، ومن ثم ارتأت الدولة العثمانية تعيين أميرا من السناجق لضبط أمور الصعيد، فرسمت في ذي الحجة من عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م

امتنـع حضر الباشـاه لأرض الصعيد وأحضر معه علي (بن) [١] موسـى[٢] في صـورة جندي، فبينما هـم بسـاحل أبوتيج والمراكب بتوع [٣] الباشـاه راسـية وإذا بسـقي بجمله (يملأ) [٤] (مـاء) [٥] فعرفه الأميـر علي (بن) [٦] موسـى، فأشـار إليـه (فجاء) [٧] إليه وأعطاه دينارين ذهـب، وقال له امضي إلى الأميـر يونـس بدجرجـا وعرفه أن ابن عمك الأمير على يقول لك انجوا بنفسـك وسـر من هذا الوقت فسار، فوجد الأمير يونس في العلوانية والحكومة منصوبه[٨]، فلما انقضت الحكومة، قال السقا للأمير يونس قصدي (بك) [٩] خلوة يا أمير، فأمر الواقفين جميعا بالانصراف، فقال أنى بسـاحل أبى تيج وإذا بمراكب وعسـكر كثير، وإذا بجندي يتوضأ بإبريق فعرفني فناداني فأتيت له فأعطاني دينارين، وقال لي قل للأمير يونس يقول ابن عمك انجوا بنفسـك فلم يرجع إلى دجرجا، بل أخذ ما وجد من إبل وبقر وغيره ومضى إلى البر.

بتولية الأمير سلمان جانبلاط بك الذي خدم في القدس سابقا وتولى الحكم في جرجا، وتمكن من إعادة الأمور إلى نصابها، ثم تمت ترقيته إلى رتبة باشا، فصدر مرسوم بتوليته على إيالة الحبشة، مما اعتبره سليمان إقصاء له، وتم إرسال أخيه بدلا منه، وبالتالي أعيد تنصيب سلمان مرة أخرى في ربيع الأول من عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م حالكما لجرجا، وطلبت منه الحكومة الأموال المتأخرة لديه، فتعلل بشراق الأراضي- أي عدم وصول المياه إليها- مما اضطر السلطات الحاكمة إلى إعادة بني عمر في حكم جرجا مرة أخرى، واستمروا منذ ذلك التاريخ في حكم بلاد الصعيد خاصة مع تطبيق نظام الالتزام الذي أعاد إليهم السلطة والسيطرة على بلاد الصعيد حتى نصبت الحكومة العثمانية أميرا مملوكيا على الصعيد حتى تم إزالة حكمهم من ولاية جرجا منذ الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي. للمزيد راجع أحمد شلبي: أوضح الإشارات، ص١١٩؛ على مبارك: الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة، ج١٠، ص٥٤؛ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المغاربة في مصر في العصر العثماني ١٥١٧- ١٧٩٨م، تونس ١٩٨٢، ص٣٥، ٣٦؛ مايكل ونتر: المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة/ إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١، ص١٧٠- ١٧٢.

(١) فى الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٢) هو الأمير علي بن موسى العلوي الذي تولى إمارة الصعيد قبل ذلك عام ٩٧٤هـ/١٥٦٦م، واستمرت ولايته عليها مدة ثلاث سنوات حتى عام٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م. حسين أحمد النمكى: تاريخ ولاية جرجا، ص١٤٦.

(٣) فى (ز) و (د) كذلك، وهى لفظ عامي يقصد بها المؤلف المراكب التي تتبع وت خص الباشا والى مصر، مما يعكس ثقافة المؤلف المتأثرة إلى حد كبير بالعامية أكثر منها باللغة العربية الفصحى.

(٤) فى (ز) مكتوبة هكذا (يملى)، وفى (د) مكتوبة (يملأ)، والأولى هي كلمة عامية جرى تداولها على لسان العامة، وصوابها يملأ.

(٥) فى (ز) مكتوبة هكذا (ما)، وفى (د) صحيحة، والأولى كلمة عامية دارجة، وصوابها ماء أو مياه.

(٦) فى الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٧) فى (ز) مكتوبة هكذا (فجا)، وفى (د) صحيحة، والأولى هي نطق عامي لكلمة فجاء إليه، وهي الصواب كما أثبتناه بين القوسين.

(٨) يقصد الحكومة قائمة، وكلمة منصوبة كلمة عامية جرى تداولها على لسان العامة في صعيد مصر، فيقال: الحكومة منصوبة، المعركة منصوبة.... وهكذا.

(٩) هذه الكلمة سقطت من سياق النص في (ز)، ثم عاد المؤلف واستدركها في موضعها في أعلى النص بعد أن وضع علامة الاستدراك، وفى (د) صحيحة في موضعها، لكنها مكتوبة (بيك) في كافة المواضع الأخرى.

فأخذ على (بن) [١] موسى أقام ثلاث سنين، ثم أخذ سنة واحد وتسعين وتسع مائة حمد (بن) [٢] إبراهيم سنتين، ثم أخذ علي (بن) [٣] موسى أقام سنتين، ثم أخذ حمد (بن) [٤] محمد أقام شهرين، ثم أخذ فزاع أقام ثلاثة شهور، ثم أخذ الريرمونى أقام سنة واحدة وقتل، ثم أخذ سنة أربعة بعد آلاف جعفر (بن) [٥]الجاويش [٦] سنتين، ثم أخذ يوسف بيك أقام سنتين، ثم أخذ قام بيك فعصى عليه العربان، وأراد أن يرجع ولم (يكمل) [٧] السنة، فسافر حتى وصل إلى أبى تيج فمنعه الكردوسى، وقال له إن رجعت إلى مصر خرب الباشاه الصعيد فأقام سنة.

ثم أخذ يوسف بيك أقام سنة، ثم أخذ الأمير عيسى (بن) [٨] حمد أقام سنتين، ثم أخذ إبراهيم كشك عمته [٩] ستة أشهر، ثم أخذ الأمير عيسى أقام سنتين وهي آخر دولة الأمرا أولاد عمر، وكان آخر (ت: وليتهم) [١٠] سنة خمسة عشر بعد آلاف رحمة الله عليهم أجمعين. [١١]

---

(١) فى الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٢) فى الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٣) في الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٤) في الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٥) فى الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٦) هو جعفر بك الشهير بابن الجاويش، وكان قبلها قد تولى إمارة الحاج عام٩٩٨هـ/١٥٨٩م، وكان رجلا سهلا في كل شيء. الحضراوى: مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولى إمارة الحاج، تحقيق/ محمد ناصر الخزيم، محمد بن سيد أحمد التمساحي، القاهرة ٢٠٠٧، ص٢٤١.

(٧) فى (ز) مكتوبة هكذا (ولم يكلم)، وهى خطأ كتابي، وفى (د) خطأ أيضا (ولم يتكلم) وما أثبتناه بين القوسين هو الصحيح وفق مايفهم من سياق النص.

(٨) فى الأصل (ز) مكتوبة (ابن)، وهى خطأ، وفى (د) صحيحة .

(٩) فى (ز) مكتوبة هكذا (عمته)، وفى (د) كذلك، وفى (د) وضع أعلاها علامة ثم عاد واستدركها على يمين النص، وكتب بجوارها كلمة صح، وربما قصد بها عمة الإمارة.

(١٠) فى (ز) مكتوبة هكذا (ت: ولتهم)، وفى (د) توليتهم، وهو الصواب.

(١١) يذكر أحمد شلبي أن آخر تولية لأمراء بني عمر على جرجا كانت بولاية سلمان جانبلاط عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م، ونقل عنه على مبارك في الخطط التوفيقية هذا الأمر، بل وأضاف على مبارك أنه اطلع على كتاب لايعرف اسمه ولا اسم مؤلفه يوضح أن الحكومة العثمانية في مصر رسمت بولاية سلمان جانبلاط على جرجا في التاريخ المذكور، ولكن المخطوط يوضح عكس ذلك، إذ يوضح استمرار ولاية بني عمر على جرجا حتى عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦م، إذ كانوا ينتزعون الحكم من المماليك بين الحين والآخر، حتى كان آخر ولاتهم الأمير عيسى ابن حمد في عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦م. للمزيد راجع أحمد شلبي: أوضح الإشارات، ص١١٩؛ علي مبارك: الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة، ج١٠، ص٥٤ .

ب-حكام ولاية جرجا منذ عام١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م وحتى عام ١١٠٥هـ/١٦٩٤ م:

ثم أخذ الأمير يوسف سنة ستة عشر وألف سنة واحدة، ثم أخذ سنة سبعة عشر وألف الأمير عثمان سنتين وعزل في الثالثة بسبب خراب وحريق حصل من العربان وكان سببه قتل همام ابن سيباى .

ثم أخذ يوسف بيك سنة واحدة، ثم أخذ سنة عشرين وألف محمد المحتسب سنة واحدة، ثم أخذ بازيد باشه باشت الحبش[١] سنتين، ثم أخذ سنة أربعة وعشرين وألف سلمان جنبلاط ثلاث سنين، ثم أخذ يوسف بيك عشرة سنوات ومات في شهر صفر سنة سبعة وثلاثين وألف، ثم أخذ الأمير حيدر أقام خمسة سنين وعزل في السادسة، ثم أخذ الأمير على بيك الفقارى[٢] سنة ثلاثة وأربعين وألف إلى أن مات في شهر شوال سنة ثلاثة وستين وألف رحمة الله عليه، وكانت مدة ولايته إحدى وعشرين سنة إلا أربعين يوم، ولم سبق تلك المدة لغيره .

ثم أخذ الأمير محمد بيك [٣] سنة ثلاثة وستين وألف عن سيده المرحوم على بيك إلى سلخ ربيع الآخر سنة تسعة وستين وألف إلى أن مات في شهر رجب عام تاريخه، وكان له قصص عجيبة من الطغيان والأشر والبطر والظلم والخروج على السلطنة، وكان ذلك سبب موته ومات مقتولا، وكانت (مدة) [٤] ولايته نحو خمسة أعوام ونصف عام[٥]، ثم أخذ الأمير أحمد بيك سنة سبعين وألف وعزل، ثم أخذ الأمير مصطفى بيك سبعين يوما[٦]، ثم عزل وقتل مع جمع كثير من أكابرهم وأهل بيتهم.

---

(١) فى (ز) وفى (د) هكذا، وهو يقصد بها بازيد باشا الحبش.

(٢) الأمير على بيك الفقارى: كان هذا الرجل صاحب فترة أطول ولاية على جرجا من عام ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م وحتى عام ١٠٦٣هـ/١٦٥٢م، وقد أنشأ جامعا بجرجا. علي مبارك: الخطط الجديدة لمصر والقاهرة، ج١٠، ص٥٥.

(٣) الأمير محمد بيك: هو الأمير محمد بك الفقارى، تولى ولاية جرجا بعد سيده علي بك عام ١٠٦٣هـ/١٦٥٢م، وأنشأ بها الجامع المعروف بالصينى. المراغي: نور العيون، ص١٧.

(٤) فى (ز) مدت، وفى (د) هكذا وهو الصحيح.

(٥) ويذكر برهان الدين الصوالحي العوفى أنه في عام١٠٦٩هـ/١٦٥٨م صدرت الأوامر بنقل محمد بك حاكم جرجا إلى باشوية الحبشة، وتولية أحمد بك سردار الحبشة السابق ودفتردار مصر حاكما لجرجا، وقبل أحمد بك المنصب، لكن محمد بك رفض قبول المنصب الجديد واعتبره نفيا له، ومن ثم عقد والى مصر مجلسا استفتى فيه القضاة لقتال محمد بك، واعد حملة بنفسه وذهب إلى الصعيد واشتبك مع محمد بك حاكم جرجا، حتى انتهى الأمر بقتل محمد بك، وحملت رأسه ورؤوس بعض أتباعه البارزين إلى القاهرة. للمزيد راجع برهان الدين الصوالحي العوفى: واقعة محمد بك الكبير حاكم ولاية جرجا ١٠٦٩-١٠٧٠هـ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم٢٦٩-تاريخ، ص٩١، ولاشك أن هذا الأمر الذي ذكره الصوالحي يتفق تماما مع ما ذكره مؤلف هذا المخطوط حول نهاية محمد بك حاكم جرجا، الذي اعتبره مؤلفنا خارجا عن السلطة، فضلا عن الاتفاق بين ماذكره الصوالحي والمؤلف حول تاريخ ولايته وقتله ولاية أحمد بك بعده.

(٦) يذكر الصوالحي أن هذا الأمير قبض عليه في عام ١٠٧١هـ/١٦٦٠م على يد أغا الغلال بجرجا، والذي كان يرأس مجموعة من العسكر، وكان سبب القبض عليه راجعا لفراره من واقعة السناجق. إبراهيم الصوالحي: تراجم الصواعق، ص ٥٧٣.

ثم أخذ شعبان بيك سنة واحد وسبعين وألف وأقام ثلاث سنين وعزل في (أوائل) [١] سنة أربعة وسبعين وألف، وأخذ دليور[٢] بيك في السنة المذكورة وأقام سنة، ثم أخذ ذوالفقار بيك[٣] سنة، ثم أخذ محمد بيك المسمى بالشاويش و (المسمى) [٤] بأبواقوره[٥] أقام سنة، ثم أخذ دليور بيك ثانية وأقام أربع سنين، ثم أخذ الأمير محمد بيك أبوالشوراب[٦] أقام سنة، ثم أخذ ذو الفقار بيك وأقام سنة، ثم أخذ يزبك بيك أقام سنتين، ثم أخذ قاسم بيك سنتين ولم يكملهما، ثم أخذ سنة سبعة وثمانين وألف الأمير موسى بيك إلى سنة تسعة وثمانين وألف، ثم أخذ الأمير يوسف بيك أمير الحاج الشريف وأقام سنة ولم (ت: كمل) [٧] وعزل سنة تسعين ألف، ثم أخذ الأمير مصطفى بيك سنة واحد وتسعين وألف، (وأخذ) [٨] فيها غانم وأقام سنتين ونصف، ثم أخذ سنة ثلاثة وتسعين وألف الأمير موسى بيك ثانية وأقام سنتين ونصف، وأخذ أيضا الأمير مصطفى بيك[٩] وأقام ثلاث سنين سنة ستة وتسعين وألف إلى سنة تسعة وتسعين وألف، وكان في ولايته وقوع المنارة

---

(١) فى (ز) مكتوبة هكذا (أوايل)، وفى (د) صحيحة، والأولى لفظة عامية، وصوابها (أوائل) كما هو في (د) ومثبوت بالنص.

(٢) ذكر الرحالة أوليا جلبى أنه كان يسمى باسم"دولار بك"، وكان قد تولى منصب ولاية جرجا، وكان رجلا معروفا بكرمه وشجاعته وتقواه. أوليا جلبى: الرحلة، ج٢، ص ٩٤.

(٣) فى (د) ذو الفقير، وهو خطأ، وماورد بالأصل (ز) هو الصحيح، والأمير ذو الفقار بيك تولى ولاية جرجا في عام ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م، ونجح في إتمام عملية صلح الصناجق، وعن ذلك يذكر الصوالحي" وفى شهر رجب سنة ١٠٧٥ وهو يوم السبت خلع عمر باشا على ذو الفقار بك بحكومة ولاية جرجا وعمر باشا في قراميدان عوضا عن محمد بيك الفقارى"، وهو هنا يتفق ماذكره المؤلف مع الصوالحي حول تاريخ ولاية ذو الفقار بك على جرجا. إبراهيم الصوالحي: تراجم الصواعق، ص٦٢٤، ٦٢٥.

(٤) في (ز) وفى (د) المسماه، وهى خطأ، وصحيحها: المسمى.

(٥) هو محمد بك أبوقورة، تولى ولاية جرجا، وكان سنجقا وسردارا للعسكر، وكان أحد السناجق الثلاثة الذين تجهزوا لقتال الشريف حمودة بمكة في عام ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م. الملوانى: تحفة الأحباب، ص١٤٥.

(٦) كان هناك أسرة كبيرة من المماليك في مصر تسمى" أبو الشوارب"، وكان من مشاهيرها رضوان بك أبو الشوارب وأزبك بك أبو الشوارب ومحمد بك أبو الشوارب. أوليا جلبى: الرحلة،ج٢، ص٩٣؛ الملوانى: المصدر السابق، ص ١٣١.

(٧) فى النسختين خطأ في (ز): (ولم يكلم)، وفى (د): (لم تكلم)، وهى خطأ كتابي، وما أثبتناه بين القوسين هو الصحيح.

(٨) فى النسختين خطأ في (ز): (وأخز فها)، وفى (د): (وأحرقها)، وهى خطأ كتابي أيضا، وما أثبتناه بين القوسين هو الصحيح المتسق مع سياق النص.

(٩) تولى هذا الرجل إمارة جرجا، ثم تم تعيينه سنجقا على ألف من العسكر للذهاب إلى دار الخلافة عن طريق البر. الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٤٤.

بتاع المعلق [1] في يوم السبت خامس عشر شهر صفر سنة تسعة وتسعين وألف، ثم الأمير محمد أباظة[2] سنة تسعة وتسعين وألف خمس سنوات، وتولى الأمير مصطفى بيك[3] سنة خمسة ومائة وألف، وكان دخوله بدجرجا يوم الخميس خامس شهر شوال سنة تاريخه.

****

(١) يقصد المنارة التي بالجامع المعلق بجرجا، والذي أنشأه الأمير محمد أبو السنون بن عمر بن عبد العزيز الهواري أمير جرجا من بني عمر عند أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكان هذا الرجل قد بلغ شأنا عظيما وكثرت أمواله، وعرف هذا الجامع الذي بناه بجرجا بالجامع المعلق، وكانت تحته قيسارية معدة لبيع ماء الورد، ويعرف الآن بجامع المتولي، ومن العجيب أن الرحالة أوليا جلبى ذكر في رحلته التي زار فيها جرجا في حدود عام ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م أن هذه المنارة كانت مكونة من ثلاثة طوابق، وكان لايستطيع أحد الصعود إليها لانحرافها، بل وحذر من هلاك الكثير من البشر في حال وقوعها لوجودها بداخل السوق بجرجا، وكأنه قد تنبأ أوليا جلبى بسقوطها قبل خمسة وعشرين عاما. للمزيد عن هذا الجامع راجع: المقريزي: البيان والإعراب، ص٥٨؛ أوليا جلبى: المصدر السابق، ج٢، ص٣٣٨؛ المراغي: نور العيون، ص٧٨، ح رقم٢١٣؛ على مبارك: الخطط الجديدة لمصر والقاهرة، ج١٠، ص٥٣؛ ليلى عبد اللطيف: الصعيد في عهد شيخ العرب همام، ص٣٨، ٣٩.

(٢) تولى الأمير محمد أباظة تولى على ولاية جرجا بين (١٠٩٩-١١٠٤هـ/١٦٨٧-١٦٩٢م)، ثم عزل عن ولاية جرجا وأصبح سردارا للخزانة، ثم أعيد مرة أخرى واليا لجرجا ومنفلوط عام ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م. للمزيد راجع: أحمد شلبي: أوضح الإشارات، ص٣٣٧؛ حمزة عبد العزيز بدر: الآثار الإسلامية بمنفلوط من الفتح العربي حتى العصر العثماني، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة سوهاج ١٩٨٤، ص١٠٨.

(٣) تولى هذا الرجل ولاية جرجا، ثم بعد تركه للإمارة بها أصبح سردارا على ألفين من العسكر، وتوجه إلى دار الخلافة العثمانية بخط شريف ورد إلى مصر. الملوانى: تحفة الأحباب، ص ١٥٧.

ثبت بأسماء ولاة جرجا منذ عام ٩٢٢هـ/١٥١٦ وحتى عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م
كما جاءت في المخطوط

الاســـم	تاريخ الولاية بالهجري
- الأمير علي بن منصور	٩١٥- ٩٢٩هـ
- الأمير داود	٩٢٩- ٩٤٣هـ
- الأمير منصور وإسماعيل أولاد علي بن منصور	٩٤٣- ٩٤٦هـ
- الأمير محمد بن علي بن منصور	٩٤٦- ٩٦٠هـ
- الأمير محمد بن داود	٩٦١- ٩٧٤هـ
- الأمير علي بن موسى العلوي	٩٧٤- ٩٧٧هـ
- الأمير حميد العساوى	٩٧٧- ٩٨٧هـ
- الأمير حمد بن محمد بن داود	٩٨٧- ٩٨١هـ
- الأمير سلمان باشا	٩٨١- ٩٨٢هـ
- الأمير يونس بن ريان	٩٨٢- ٩٨٤هـ
- الأمير علي بن موسى	٩٨٤- ٩٨٧هـ(١)
- الأمير حمد بن إبراهيم	٩٩١- ٩٩٣هـ
- الأمير علي بن موسى (ولاية ثانية)	٩٩٣-٩٩٥هـ
- الأمير حمد بن محمد	٩٩٥هـ
- الأمير فزاع	٩٩٥هـ
- الأمير الريرمونى	٩٩٥- ٩٩٦هـ(٢)
- الأمير جعفر بن الجاويش	١٠٠٤- ١٠٠٦هـ
- الأمير يوسف بيك	١٠٠٦- ١٠٠٨هـ
- الأمير قام بك	١٠٠٨- ١٠٠٩هـ
- الأمير يوسف بيك	١٠٠٩-١٠١٠هـ
- الأمير عيسى بن حمد	١٠١٠- ١٠١٢هـ
- الأمير إبراهيم كشك	١٠١٢هـ
- الأمير عيسى بن حمد (آخر الأمراء من أولاد عمر الهواري)	١٠١٣- ١٠١٥هـ
- الأمير يوسف بيك	١٠١٦- ١٠١٧هـ

(١) سقوط أربع سنوات.

(٢) سقوط ثماني سنوات.

الاســـم	تاريخ الولاية بالهجري
- الأمير عثمان بيك	١٠١٧ -١٠١٩هـ
- الأمير يوسف بيك	١٠١٩ -١٠٢٠هـ
- الأمير محمد المحتسب	١٠٢٠ -١٠٢١هـ
- بازيد باشا الحبش	١٠٢١ -١٠٢٣هـ
- الأمير سلمان جانبلاط	١٠٢٤ -١٠٢٧هـ
- الأمير يوسف بيك	١٠٢٧ -١٠٣٧هـ
- الأمير حيدر	١٠٣٧ -١٠٤٢هـ
- الأمير علي بيك الفقاري	١٠٤٣ -١٠٦٣هـ
- الأمير محمد بيك	١٠٦٣ -١٠٦٩هـ
- الأمير أحمد بيك	١٠٧٠هـ
- الأمير مصطفى بيك	١٠٧٠هـ
- الأمير شعبان بيك	١٠٧١ -١٠٧٤هـ
- الأمير دليور بك	١٠٧٤ -١٠٧٥هـ
- الأمير ذو الفقار بيك	١٠٧٥ -١٠٧٦هـ
- الأمير محمد بك المسمى بالشاويش أبوأقورة	١٠٧٦ -١٠٧٧هـ
- الأمير دليور بك (ولاية ثانية)	١٠٧٧ -١٠٨١هـ
- الأمير محمد بيك أبو الشوارب	١٠٨١ -١٠٨٢هـ
- الأمير ذو الفقار بيك	١٠٨٢ -١٠٨٣هـ
- الأمير يزبك بيك	١٠٨٣ -١٠٨٥هـ
- الأمير قاسم بيك	١٠٨٥ -١٠٨٧هـ
- الأمير موسى بيك	١٠٨٧ -١٠٨٩هـ
- الأمير يوسف بك أمير الحاج	١٠٨٩ -١٠٩٠هـ
- الأمير مصطفى بيك	١٠٩١هـ
- الأمير غانم بك	١٠٩١ -١٠٩٣هـ
- الأمير موسى بيك (ولاية ثانية)	١٠٩٣ -١٠٩٥هـ
- الأمير مصطفى بيك	١٠٩٦ -١٠٩٩هـ
- الأمير محمد أباظة	١٠٩٩ -١١٠٤هـ
- الأمير مصطفى بيك	١١٠٥هـ

رسـالة فيمن تولى الصعيد من الأمـرا لمؤلف مجهول كان حيا عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م

الخاتمة

١- أوضحت الدراسة أن مخطوط " رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا" تم تأليفه على يد شخص مجهول كان حيا في عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م، ثم تم نسخه على يد محمد بن عبد الله الأمير المالكي المذهب من أبناء ولاية جرجا- على أغلب الظن- في عام ١١٣١هـ/١٧١٨م، برسم القاضي أحمد ابن عبد الكريم الأنصاري بجرجا، ويلاحظ في هذا المخطوط ركاكة بعض الكلمات والعبارات التي استخدمها المؤلف، والتي أشبه بنطق العامية المصرية، والتي قد تعطينا دلالة بأن المؤلف هو أحد أبناء الريف المصري الذي يعرف لهجته وألفاظه العامية بدقة، وتعطينا أيضا انطباعا يدل على ضعف المستوى اللغوي لكتابة النصوص في تلك الفترة.

٢- يلاحظ من المخطوط أن من قام بنسخه شخص يدعى محمد بن عبد الله الأمير المالكي المذهب، ولكن للأسف لاتوجد له ترجمة في المصادر المعاصرة لتلك الفترة أو المتأخرة عنها - المتاحة للباحث، ولكن بالبحث في كتب الأنساب وجد أن هناك عائلة في صعيد مصر تحمل مسمى"القاضي"، وهي إحدى أشهر بيوت قبائل الأنصار في جرجا، وتولى عدد كبير منهم منصب القضاء الشرعي بجرجا كما تبين من خلال سجلات محاكم جرجا الشرعية، ويتفرع عنها عدة بطون في فرشوط منهم بيت محمد العجوز، وبيت الأمير، وبيت عبد الله، وبالتالي نجد أن بيت الأمراء بفرشوط هو إحدى البيوت المتفرعة من عائلة القاضي الأنصاري بجرجا، وعلى ذلك يرجح الباحث هنا أن ناسخ المخطوط محمد بن عبد الله الأمير ربما يكون أحد أبناء بيت الأمير بفرشوط من عائلة القاضي الأنصاري، وبالتالي فإن كلمة الأمير المتصلة باسمه وكنيته هي لقب عائلته وليس لقب وظيفي متعلق بتوليه هو أو أحد آبائه إمارة الصعيد، كما أن اللهجة المحلية التي كتب بها المخطوط أيضا تتطابق إلى حد كبير مع لهجة أهل الصعيد، مما قد يدفعنا إلى القول بأن مؤلف المخطوط وناسخه والقاضي الذي كتب برسمه من أبناء ولاية جرجا بصعيد مصر.

٣- يتبين من خلال المخطوط حرص المؤلف على إتباع طريقة ترقيم المخطوط وفق طريقة التعقيب أو التلحيق في أسفل الصفحة، وهى سمة الكثير من المخطوطات، إلا أن الصفحة الأخيرة من المخطوط في النسخة الأصلية ليست من ضمن مادته التاريخية ولم يكتبها المؤلف نفسه، ولم يشر إلى وجودها من خلال طريقة التعقيب المشار إليها، بل كتبها شخص آخر بخط مختلف وقلم مختلف وحبر مختلف أيضا، وهي عبارة عن وقفة كاتب تتضمن ما يشبه ابتهالا دينيا خارجا عن مادة المخطوط أضيفت في فترة تالية من كتابة المخطوط، وكل هذا يجعل الباحث يذهب إلى القول بأن المخطوط بهذه الكيفية وهذا الشكل هو مخطوط كامل غير منقوص أو مجتزء الصفحات.

٤- أظهرت الدراسة أن هذا المخطوط قد أغفل وأسقط مؤلفه بعض السنوات خلال استعراض سنوات حكم الأمراء في الصعيد دون أن يلتفت إليها المؤلف، فقد ذكر المؤلف أن الأمير علي بن موسى تولى الإمارة في الفترة من (٩٨٤-٩٨٧هـ/ ١٥٧٦-١٥٧٩م)، ثم أعقبه الأمير حمد بن إبراهيم في الفترة من (٩٩١-٩٩٣هـ/ ١٥٨٣-١٥٨٥م)، وبالتالي هناك أربع سنوات أغفل المؤلف ذكرها، وبنفس الشاكلة عندما ذكر أن الأمير الريرمونى تولى الإمارة في الفترة من(٩٩٥-٩٩٦هـ/ ١٥٨٦-١٥٨٧م)، ثم أعقبه فترة إمارة جعفر بن الجاويش(١٠٠٤-١٠٠٦هـ/١٥٩٥-١٥٩٧م)، وبالتالي أيضا هناك ثماني سنوات أغفل المؤلف ذكرها، وذكر من تولى إمارة الصعيد خلالها، ومن ثم يكون المخطوط قد أسقط عدد أثنى عشر سنة من تاريخ إمارة جرجا خلال الفترة التي تناولها بين

أعوام (٩٢٢ - ١١٠٥ هـ/ ١٥١٦ - ١٦٩٣ م).

٥- بينت الدراسة أن ولاية جرجا كانت إحدى الولايات الهامة بصعيد مصر عند أواخر العصر المملوكي، وأن السلطان طومان باى لجأ إلى أمراء الهوارة لمساعدته في حربه ضد العثمانيين، إلا أنهم رفضوا مساعدته وإيوائه بحجة استخدام العثمانيين للسلاح الناري في الحروب، ولكن كما يبدو من المخطوط أن جرجا لم تعترف بسلطنة طومان باى من الأساس، وهو ما جعل مؤلف المخطوط يعزف عن الإشارة لحاكم جرجا في عهد السلطان طومان باى آخر السلاطين المماليك، ويكتفي بالقول بأن الأمير علي بن منصور تولى الولاية من قبل السلطان المملوكي قانصوه الغوري ومن بعده السلطان سليم العثماني مباشرة.

٦- يتلاحظ من المخطوط أن بعض المعلومات الواردة به جاءت أكثر تفصيلا مما ورد في بعض المصادر والمراجع المتعلقة بذكر ولاة الصعيد في تلك الفترة فيما يتعلق بانتزاع حكم الصعيد من يد أولاد الأمير عمر الهواري عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م وتعيين أحد الأمراء السناجق سلمان جانبلاط أميرا على الصعيد لإعادة ضبط الأمور والاهتمام بالأموال السلطانية وعمارة الجسور التي ساءت كثيرا في ولاية الأمير يونس بن ريان على الصعيد، ثم عودة الحكم في الصعيد مرة أخرى لبنى عمر الهواري بعد انتهاء ولاية سلمان جانبلاط؛ حيث أن المؤلف لم يشر إلى ذلك في مخطوطه، بل أشار إلى أن الأمير سلمان تولى إمارة الصعيد في عام في عام ٩٨١هـ/١٥٧٥م، ثم تولاها مرة أخرى في عام ١٠٢٤هـ/١٦١٥م، أي بعد التاريخ المذكور الذي نصت عليه المصادر بنحو ستة وثلاثين عاما، وأوضح المؤلف أن الفترة من عام ٩٨١-١٠١٥هـ/١٥٧٥-١٦٠٦م تذبذب فيها حكم ولاية جرجا بين أمراء بني عمر الهواري والأمراء المماليك الجراكسة، حتى انتهت ولاية بني عمر الهواري تماما على جرجا بانتهاء الولاية الثانية للأمير عيسى بن حمد في عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦م.

٧- من خلال دراسة المخطوط يمكن القول إنه على الرغم من إخلاص ولاة بني عمر الهواري للعثمانيين ووقوفهم إلى جانبهم أثناء الفتح العثماني لمصر عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م من خلال التقاعس ورفض مساندة وإيواء السلطان المملوكي طومان باى آخر السلاطين المماليك، إلا أن العثمانيين ظلوا يتربصون الفرصة لبسط أيديهم على حكم ولاية جرجا وانتزاعها من أيدي بني عمر الهواري من خلال تعيين بعض الأمراء المماليك الموالين لهم على حكمها منذ فترة مبكرة لم تتجاوز الثمانية وخمسون عاما بعد دخول السلطان العثماني أرض مصر، إذ بحلول عام ٩٨١هـ/١٥٧٣م تم تعيين الأمير سلمان باشا حاكما لجرجا لمدة عام واحد، ثم عاد الحكم فيها مرة أخرى لأولاد عمر الهواري على يد الأمير يونس بن ريان(٩٨٢- ٩٨٤هـ/١٥٧٤- ١٥٧٦م)، ثم انتزعت منهم مرة أخرى يد الأمير جعفر ابن الجاويش(١٠٠٤-١٠٠٦هـ/١٥٩٥- ١٥٩٧م)، ثم عاد الحكم لبنى عمر مرة أخرى في ولاية الأمير عيسى بن حمد الأولى(١٠١٠-١٠١٢هـ/١٦٠١- ١٦٠٣م)، ثم انتزعها منهم الأمير إبراهيم كشك في عام ١٠١٢هـ/١٦٠٣م، حتى عادت لآخر مرة لبد بني عمر الهواري خلال الولاية الثانية والأخيرة للأمير عيسى بن حمد (١٠١٣-١٠١٥هـ/١٦٠٤- ١٦٠٦م)؛ حيث كان هو التاريخ الأخير لتولي أمراء بني عمر الهواري حكم جرجا؛ حيث تعاقب على حكمها بعد ذلك الأمراء المماليك.

****

رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا لمؤلف مجهول كان حيا عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات:

١- إبراهيم الصوالحي العوفيى (ت: ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م) برهان الدين الصوالحي العوفي:

- واقعة محمد بك الكبير حاكم ولاية جرجا ١٠٦٩-١٠٧٠ه.

* مخطوط بدار الكتب المصرية رقم٢٦٩- تاريخ.

٢- أبو الوفاء المراغي:

- كلمة تاريخية عن المكتبة الأزهرية.

*مخطوط بمكتبة الأزهر الشريف، رقم ٥٥٢٩٩/ تاريخ.

ثانيا: المصادر الأصلية:

١- ابن إياس (ت: ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي:

- بدائع الزهور في وقائع الدهور.

* تحقيق/ محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٢.

٢- إبراهيم الصوالحي (ت: ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م) برهان الدين الصوالحي العوفي:

- تراجم الصواعق في واقعة الصناجق.

* تحقيق/ عصمت محمد حسن،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠١٦.

٣- أحمد الدمرداشي (كان حيا عام ١١,٧هـ/١٦٩٥م) أحمد عزبان الدمرداشي:

- الدرة المصانة في أخبار الكنانة.

* تحقيق/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨٩.

٤- أحمد شلبي (ت: ١١٥٠هـ/١٧٣٧م) عبد الغنى الحنفي:

- أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشاوات.

* تحقيق/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٧٨.

٥- أوليا جلبي (ت: في الثلث الأخير من عام ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م):

- الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة.

* ترجمة/ حسين مجيب المصري وآخرون، دار الآفاق العربية، بيروت- لبنان (د. ت).

٦- الجبرتي (ت: ١٢٤١هـ/١٨٢٥م) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي :

- عجائب الآثار في التراجم والأخبار.

* تحقيق/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٩٧.

٧- ابن الجيعان (كان معاصرا للسلطان قايتباي المحمودى (٨٧٣-٩٠١هـ/١٤٨٦-١٤٩٥م)
الإمام شرف الدين يحي بن المقر:
- التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية.
* مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٤.
٨- ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني:
- إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ.
* تحقيق/ حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٩.
٩- الحضراوى (ت: ١٣٢٧هـ/١٩١٢م) أحمد بن محمد بن عبده الحضراوى:
- مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولى إمارة الحاج.
* تحقيق/ محمد ناصر الخزيم، محمد بن سيد أحمد التمساحى، القاهرة ٢٠٠٧.
١٠- ابن زنبل الرمال (ت: ٩٦٠هـ/١٥٢٢م) أحمد الرمال:
- آخرة المماليك.
* تحقيق/ عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨.
١١- السخاوي (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) الحافظ شمس الدين عبد الرحمن:
أ- الضؤ اللامع لأهل القرن التاسع.
* دار الجيل، بيروت- لبنان ١٩٩٢.
ب- الذيل التام على دول الإسلام.
* تحقيق/ حسن إسماعيل، محمود الارناؤوط، دار العروة بالكويت بالتعاون مع دار ابن لقمان بلبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧.
١٢- الصيرفي (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) على بن داود الجوهري:
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان.
* تحقيق/ حسن حبشي، القاهرة ١٩٧٠.
١٣- على مبارك (ت: ١٣١١هـ/١٨٩٣م):
- الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة.
* بولاق ١٨٨٧م.
١٤- أبو الفدا (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م) عماد الدين إسماعيل بن عمر:
- تقويم البلدان.
* دار صادر، بيروت. لبنان (د. ت).
١٥- القرمانى (ت: ١٠١٩هـ/١٦١٠م) أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي:
- أخبار الدول وآثار الأول.
* تحقيق/ أحمد حطيط، فهمي سعد، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٢.

رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا لمؤلف مجهول كان حيا عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م

١٦- القلقشندي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م) أحمد بن علي القلقشندي:
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا.
* القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٢.
١٧- أبو المحاسن (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين يوسف بن تغرى بردى:
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،المؤسسة المصرية للطبع والنشر (د. ت).
١٨- المراغي (ت: ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م) محمد بن محمد بن حامد الجرجاوي:
- نور العيون في ذكر جرجا منذ عهد ثلاثة قرون، تحقيق ودراسة/ أحمد حسين النمكي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٧.
١٩- المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م) تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي:
أ- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
* القاهرة ١٩٩٦.
ب- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق/ عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩.
٢٠- الملوانى (ت: ١١٣١هـ/١٧١٩م) يوسف الملوانى الشهير بابن الوكيل:
- تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب.
* تحقيق/ محمد الششتاوى، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٩.
٢١- ابن مماتي (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) مهذب الدولة أسعد بن أبى مليح:
- قوانين الدواوين.
* تحقيق د/ عزيز سوريال عطية.
* الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩١.
٢٢- ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) شهاب الدين أبو عبد الله الرومي:
- معجم البلدان في معرفة القرى والمدن والسهل والوعر والعمار والخراب من كل مكان.
* دار صادر، بيروت- لبنان (د. ت).

ثالثا: المراجع الحديثة:

١- أحمد محمود أبو حرام:
- ثورات العربان وأثرها على الحياة العامة في مصر زمن سلاطين المماليك.
* رسالة ماجستير، كلية الآداب سوهاج ١٩٨٩.
٢- أسامة السيد الأزهري (دكتور):
- أسانيد المصريين جمهرة في المتأخرين من علماء مصر ومناهجهم وبيان سلاسل أسانيدهم وذكر أسانيدنا إليهم.

* الطبعة الأولى، دار الفقيه للنشر والبحوث، القاهرة ٢٠١١.

٣- الزركلى:

- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.

* دار العلم للملايين، بيروت- لبنان ٢٠٠٢.

٤- حسن الباشا (دكتور):

- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار.

* القاهرة ١٩٨٩.

٥- حسين أحمد النمكى (دكتور):

- تاريخ ولاية جرجا في العصرين المملوكي والعثماني.

* دار وعد للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠١١.

٦- حمزة عبد العزيز بدر (دكتور):

- الآثار الإسلامية بمنفلوط من الفتح العربي حتى العصر العثماني.

* رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة سوهاج ١٩٨٤.

٧- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور):

أ- الأيوبيون والمماليك .

* دار النهضة العربية ١٩٩٦.

ب - مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك.

* القاهرة ١٩٧٠.

٨- سعيد عثمان يونس (دكتور):

- صعيد مصر في عصر المماليك البحرية .

* رسالة ماجستير، كلية الآداب بقنا ١٩٩٥.

٩- صلاح أحمد هريدى (دكتور):

- دور الصعيد في مصر العثمانية.

* دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤.

١٠- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور):

- المغاربة في مصر في العصر العثماني ١٥١٧- ١٧٩٨م.

* تونس ١٩٨٢.

١١- عبد العزيز محمود عبد الدايم (دكتور):

- مصر في عصري المماليك والعثمانيين .

* جامعة القاهرة ١٩٩٤.

١٢- عبد الله محمد عزباوى (دكتور):

رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا لمؤلف مجهول كان حيا عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م

- المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر.
* الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧.
١٣- فهرس المكتبة الأزهرية، مطبعة الأزهر الشريف.
* القاهرة ١٩٤٩.
١٤- ماهر أحمد مصطفى (دكتور):
- صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة.
* الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٤.
١٥- مايكل ونتر:
- المجتمع المصري تحت الحكم العثماني.
* ترجمة/ إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١.
١٦- محمد التويجى (دكتور):
- المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات.
* عالم الكتب، سوريا ١٩٨٦.
١٧- محمد أمين صالح (دكتور):
- تاريخ الجيزة في العصر الإسلامي.
* مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٩١.
١٨- محمد رمزي:
- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية.
* الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤.
١٩- محمد شفيق غربال:
- مصر عند مفترق الطرق١٧٩٨-١٨٠١.
* القاهرة ١٩٣٨.
٢٠- محمد عبد النعيم عبده :
- صحراء مصر الشرقية في العصرين الأيوبي والمملوكي.
*رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٩٣.
٢١- محمود الحويرى (دكتور):
- أسوان في العصور الوسطى.
* القاهرة ١٩٨٠.
٢٢- محمود محمد شعلان (دكتور):
- سجلات ومضابط محكمة جرجا الشرعية من عام ١٠٧٣هـ-١٦٦٢م إلى ١٣٢٨هـ-١٩١٠م- دراسة أرشيفية وثائقية.
* رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر- فرع أسيوط ٢٠٠٤.

٢٣- مصطفى بركات (دكتور):
- الألقاب والوظائف العثمانية- دراسة في تطور الألقاب والوظائف من الفتح العثماني حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات.
* دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠.
٢٤- ليلى عبد اللطيف أحمد (دكتور):
- الصعيد في عهد شيخ العرب همام.
* الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧.
٢٥- نجيب توفيق:
- أشهر الأسرات الأدبية في مصر.
* دار العرب للبستاني، القاهرة ١٩٩٥.
٢٦- نسيم مقار (دكتور):
- أضواء على تاريخ الهوارة .
* المجلة التاريخية المصرية العدد ٢٦، القاهرة ١٩٧٩.
٢٧- نوال طلال الشريف (دكتور):
- الدور السياسي لعمر بن عبد العزيز الهواري وأبناءه بمصر المملوكية (٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م).
* مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق ٢٠١٠.
٢٨- وليم مويير:
- تاريخ دولة المماليك في مصر.
* ترجمة/ محمود عابدين، سليم حسن، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٥.
٢٩- ياسر حميد الأنصاري (دكتور):
- تاريخ قبائل الأنصار في سائر البلدان والأقطار.
* المملكة العربية السعودية (د. ت).

****

رسالة فيمن تولى الصعيد من الأمرا لمؤلف مجهول كان حيا عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م

The Book of earning on the Doctrine of the Great Imam Abu Hanifa, may God have mercy on him

Dr. Tayseer Abdullah Al-Na'is / Syria

The research presents a verified version of the first manuscript written in the topic of Islamic economic theory, which is the book of earning by Imam Muhammad ibn al-Hassan, where the book was divided into five chapters, in which he dealt successively with knowledge of earning, knowledge of clothing, knowledge of food, and knowledge of speech. The book concludes with a chapter in which he talked about the rule of expanding the needs above the minimum after the performance of the obligatory ones. In the chapter of earning Imam Muhammad spoke about the ruling of earning, its types, and its ranks, and sections for seeking knowledge. He concluded the chapter with four benefits of spreading 'Salam' and greeting sneezer.

And in the next two chapters (eating, clothing) dealt with the ranks of each of them, and included benefits that deal with rulings and etiquettes appropriate for these two chapters.

Theses on princes who took the charge of "Saeed" by unknown author

Dr. Mohamed Abdel Salam Abbas Ibrahim / Egypt

The subject of this research deals with the study and editing of the manuscript "Theses on princes who took the charge of "Saeed", as this manuscript is considered one of the manuscripts that did not receive the favor of study and editing. Despite the small number of its pages and the slang written in it, it contains a lot of information and dates of The Sultan of Jarja from the Family of Bani Omar al-Hawari and the Mamluk rulers since the Sultanate of the Mamluk Sultan Qansuh al-Ghuri (906-922 Ah/1500-1516 AD).

families and homes in Arabic poetry. Today we will get to know a house whose sons were known for both knighthoodand poetry; and this house is the house of Sulmiy Bin Rabia Al-Dabbi; who are the poets of this house? This is what we will get to know in this research.

A manifestation of Sultan Ahmad al-Mansur al-Dhahabi's attention to Arabic calligraphy

Dr. Abdulhakim Hammadi Khalfi / Morocco

The Sultans of Morocco generally had a special interest in Arabic calligraphy, as many of them were very good at writing in a variety of scripts, which they showed in a series of copies that they copied with their own hands, especially those relating to copies of the Holy Qur'an. I have previously traced the biographies of a few of these sultans who practiced virtually the art of calligraphy and writing, in a previous research, and sultan al-Dhahabi was among those I mentioned, but what I reported did not do him his right, compared to the great services that he gave to Arabic calligraphy, and on many levels. The idea of singling out this unique personality with research that gathers scattered news about this subject continues to impose strongly, especially since we lack the writings that dealt with this artistic and bright aspect of his life. It is the aspect that we will try to shed light on through this research named; "A manifestation of Sultan Ahmad al-Mansur al-Dhahabi's attention to Arabic calligraphy".

Engineering techniques in the mosques of Aleppo during the Ottoman era and how to preserve them "Al-Adiliya Mosque in Aleppo as a model"

Dr. Wafa Al-Naasan / Syria

The Arab heritage is rich in many historical monuments that still remain until now attesting with its distinctive architectural elements on the ingenuity of the Arabs and their high engineering sense, and the mosques are considered the most widespread of these monuments because of their importance within the Muslim community. This research includes a study of the engineering techniques of the structural elements of the Al-Adiliya Mosque in Aleppo during the Ottoman era, in order to point out the importance of the civilized role played by Aleppo city in the field of stone-only construction. The study focused on the history of the mosque, its pre-restoration status, and the restoration work proposed for it in order to preserve it, as the Al-Adiliya Mosque is a distinctive example of Ottoman architecture in Aleppo.

Abstracts of Articles

Women's Issues in Andalusia (5th and 6th Centuries Hijri) through "Nawazel of ibn al-Hajj al-Tujibi" (D. 529 AH)

Hisham El-Bakkali / Morocco

The books of jurisprudence constitute a rich mine for the historian, as they are rich in data of interest to the social, economic, religious, political and socio-cultural aspects of the society experienced by the Mufti. Although this type of sources has been overlooked by The Arab Estography for a long time, it is now one of the most important sources of historian for writing Islamic history, especially in the middle Ages.

"The Nawazel of Ibn al-Hajj" gives us a clear picture of the sectarian and the Almoravid era, whether on the socio-economic level, or on the religious level that we lack in many traditional historical yearbooks. It monitors Andalusian society with its customs and traditions associated with the women's world, through questioning the fatwa, and all this within the framework of the renewal in the historical school, which opened to sources that were not originally written for the historian.

Formation of the style in Arabic rhetoric "Presence of the Recipient"

Prof. Dr. Walid Ibrahim Al-Qassab / KSA

The science of style is a Western linguistic science, arose from modern linguistics, and is an attempt to meet between linguistics and literary criticism. Linguists offer this science to the literary critic in order to use it to study the linguistic material in the literary work, which is scientifically classified, it is said to help to understand the work in his hands more objectively, focusing on the nature of literature, its linguistic characteristics, and what distinguishes it from Normal speech.

But the truth is that Arabic rhetoric - with its three sciences - is the science of Arabic style, and what is done today under the so-called "stylistic" or science of style is nothing but a new distribution of the different topics of Arabic rhetoric, and this is done - in most cases - with new terms that are replaced by old known terms.

The Poetic Families - Family of Sulmiy Bin Rabia Al-Dabbi

Dr. Abdul Latif Hamoudi Al-Tai / Iraq

Arabic poetry has known from ancient times poetic families or poetic homes; such as the house of the poet of wisdom and peace, Zuhair bin Abi Salma; the house of the poet Hassan bin Thabit Al-Khazraji Al-Ansari; and the house of the veteran poet Al-Khansaa, the daughter of Al-Sharid Al-Salami; And the house of the poet of naqāʾid, Jarir bin Atiyah Al-Khutafi, and other well-known

INDEX

Editorial

Justice is the basis of civilization and the pillar of system in everything
Editing Director 4

Researches Titles:

Women's Issues in Andalusia (5th and 6th Centuries Hijri) "through Nawazel of ibn al-Hajj al-Tujibi" (D. 529 AH
Hisham El-Bakkali 6

Formation of the style in Arabic rhetoric "Presence of the Recipient"
Prof. Dr. Walid Ibrahim Al-Qassab 35

The Poetic Families - Family of Sulmiy Bin Rabia Al-Dabbi
Dr. Abdul Latif Hamoudi Al-Tai 56

A manifestation of Sultan Ahmad al-Mansur al-Dhahabi's attention to Arabic calligraphy
Dr. Abdulhakim Hammadi Khalfi 71

Engineering techniques in the mosques of Aleppo during the Ottoman era and how to preserve them "Al-Adiliya Mosque in Aleppo as a model"
Dr. Wafa Al-Naasan Abdul Majeed 87

Manuscripts' Verification

The Book of earning on the Doctrine of the Great Imam Abu Hanifa, may God have mercy on him
Dr. Tayseer Abdullah Al-Na'is 109

Theses on princes who took the charge of "Saeed" by unknown author
Dr. Mohamed Abdel Salam Abbas Ibrahim 145

Abstracts 190

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 28 : No. 109 - Rajab - 1441 A.H. - March 2020

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍّ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتاب مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

١٠٩

آفاق الثقافة والتراث

السنة الثامنة والعشرون : العدد مئة وتسعة - رجب ١٤٤١ هـ / مارس (آذار) ٢٠٢٠ م

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage - Dubai

Volume 28 : No. 109 - Rajab - 1441 A.H. - March 2020

العنوان: مصابيح السنة مع الحواشي

اسم المؤلف: البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي محيي السنة، أبو محمد ٥١٠ هـ

تاريخ النسخ: ٢٣ ذي القعدة ٩٠٦ هـ

Title: Masābīh as-sunna

Author: Abū Muḥammad al-Ḥusajn bin Mas'ūd al-Farrā' al-Baġawī (D 510 AH)

Scribed in: 906 AH

Published by:

Department of Studies, Publications and Foreign Affairs

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage